محاضرات

فى

التيارات والمذاهب الفكرية

الأستاذ الدكتور
محمد مصطفى الشناوى
أستاذ ورئيس قسم العقيدة والفلسفة
كلية الدراسات الإسلامية والعربية
للبنين بدسوق - جامعة الأزهر

دكتور
ثروت حسين سالم
مدرس العقيدة والفلسفة
كلية الدراسات الإسلامية والعربية
للبنين بدسوق - جامعة الأزهر

٢٠٠٤ - ٢٠٠٥ م

تمهيد

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون.

وبعد....

فإن الإسلام دين متكامل لم يدع صغيرة ولا كبيرة تتعلق بشئون الدنيا والآخرة إلا كان له قدم السبق فيها ومن هنا فقد تميز عن الأديان الوضعية التي أخلدت بالإنسان إلى الأرض ونأت به عن الحقيقة وألبسته مسوح الأوهام والأساطير ناهيك عن الأديان السابقة عليه والتي امتد إليها يد التحريف والتبديل مثل اليهودية والنصرانية وخرجت من بينهما دعاوى المادية والمثلية والولدية والوحدة والحلول والإتحاد ... ألخ إلى غير ذلك من سموم الفكر التي بثها أعداء الإسلام في شتى بقاع الأرض للقضاء على الإسلام الذي غير وبدل الأوضاع الشائكة إلى الوجهة القويمة والصحيحة . ومن هنا فإن الصراع بين الحق والباطل مستمر إلى يوم الدين بين أدعياء الباطل وأرباب الحق . وفي هذا الإطار يعمل زعماء الباطل على مر العصور ليلاً ونهاراً لا يكلون ولا يفترون في توظيف طاقاتهم للقضاء على الإسلام . وفي هذا نقرأ قوله تعالى (ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم ..)[1] وقوله (ويسعون في

---

[1] سورة البقرة الآية (١٢٠) .

الأرض فساداً والله لا يحب المفسدين)[١] وقوله (بل مكر الليل والنهار إذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أنداداً ...)[٢] ومن هذا المنطلق فقد باءت مخططاتهم بالفشل وظهر تراجعهم أمام قوة الإسلام المؤيد بنصر الله أينما كان مصداقاً لقوله تعالى (وإن جندنا لهم الغالبون)[٣] فبدأ أدعياء الباطل يعملون على ترويج سمومهم التي فاح خبرها في أرض الإسلام وذلك لزعزعة ثقة المؤمنين بدينهم وليثأروا لدينهم المتهافت الذي اندثر أمام نور الإسلام فبدأ العداء والسلاح الفكري يغزو أرض المسلمين ورأينا في هذا الإطار تيارات وروافد للفكر الغربي تدعو إلى الإهتمام بالروح على حساب المادة وأخرى ترى عكس ذلك ومن هنا تشتت الأفكار وكبتت النوازع وأصبح المرء يتسم سلوكه بالحيوانية يريد أن ينفذ غريزته ولو كان في الحرام وأصاب الناس القلق والفزع في جو لا يعرف الراحة ولا مفهوماً عادلاً للسلام وقد سلف في تاريخ الإنسانية أمثلة لذلك من مثل الهندوكية والبوذية[٤] ومن نحا نحوهما من الديانات والفلسفات والعقائد التي أهدرت حقوق النفس البشرية لإعلائها جانباً على

---

[١] سورة المائدة الآية (٦٤) .

[٢] سورة سبأ الآية (٣٣) .

[٣] سورة الصافات الآية (١٧٣) .

[٤] البوذية مذهب فلسفي براهمي مشتق من الفلسفة الأصلية للديانة البراهمية مع زيادة أو نقصان بعض القراءات وهي تنسب إلى جوتاما كابيلافا المعروف ببوذا ولد في منتصف القرن السادس ق.م ومات وأحرق جسده بعد موته بثمانية أيام كان عمره وقتئذ ٨٠ عاماً .

حساب الآخر فكانت السلبية المريضة التي أظهرت على بعض شبابنا ممن يسيرون وراء السراب الغربي دون تفهم ودون وعي لما يفعلون . وجاءت المادية الأوربية بكل أحقادها ونوازعها لتعلي الجانب المادي والمتاع الجسدي،وبدأت التيارات الفكرية تزداد وبدأت نظرة الناس تتغير فيقاس الناس على مقدار ما معهم من عطايا وهبات . ومن هنا كان التحول سريعاً عن الطريق المستقيم ووصلت بالإنسان إلى شاطئ الحيوانات وظهر ذلك في علاقتهم ومعاملاتهم من استعمار واستعباد واستغلال وهبوط أخلاقي وروحي ....[1] ألخ وحتى الأنظمة والدول الحديثة بدأت تقيم حياتها على أساس هذا النظام المادي بعيداً عن الروح المشتركة والتي يحس فيها الغني بالآم وأوجاع الفقراء والمساكين والسائلين والمحرومين . فكانت عاقبة أمرها خسراً حيث حصل التصادم والمنازعات بين النفس الانسانية نفسها وبين أمور الحياة فكانت نتيجة ذلك إتلاف للمشاعر وإفساد للعواطف وزادت معدلات الجنون وحوادث الانتحار وارتفع عدد المصابين بأمراض ضغط الدم إلى غير ذلك مما خلفته المادية الحديثة . كل ذلك لأنهم ابتعدوا عن نهج الله عز وجل ولو كان الأمر يقف عند حدودهم وفقط لهان الأمر أما وأن يسير في ركابهم مجتمعات إسلامية فهذا مما عمت به البلوى .

---

[1] راجع دراسات في النفس الإنسانية محمد قطب ص ٦٢ ، ٦٣ ط دار الشروق

إلـــي جانـــب هـــذا فقـــد ظهـــرت طوائف وتيارات عديدة تدعو لنفي وجود الإله وإدعـــاء أن الكـــون وجـــد مصـــادفة وبـــدأ هـــذا الفكر ينتشر رويداً رويداً بين ضـــعاف الايمـــان ولعلـــنا نـــتذكر أن هـــذه الدعـــوى قديمـــة ومـــن قبلها عبر الدهـــرية [١] عـــنها بقولهـــم كمـــا حكى القرآن العظيم (وقالوا إن هي إلاّ حياتنا الدنـــيا نمـــوت ونحـــيا ومايهلكـــنا إلاّ الدهر وما لهم بذلك من علم إن هم إلاّ يظـــنون)[٢] وفـــي الســـاحة الإســـلامية وجدنـــا تياراً مدسوساً وملفقاً يدعو إلي إنحصـــار الديـــن وتقـــييده داخـــل البـــيع والصـــوامع والمســـاجد ولا شـــأن له بســـائر أمـــور الحـــياة ومـــن هـــنا عمـــت الفوضـــى وظهر أثارها من نحو الخـــداع والكـــذب والغـــش والمداهـــنة والـــرياء .... ألخ فكانت الشعائر مطية لهـــذا الكـــذب وســـاتراً يســـتتر وراءه هؤلاء العابثين بالدين القويم وصدق الله إذ حكـــى عـــن علمـــاء بنـــي إســـرائيل بقولـــه (أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفســـكم وأنـــتم تـــتلون الكـــتاب أفـــلا تعقلـــون)[٣] ومـــن هـــذا المنطلق كانت

---

[١] دهرية نسبة إلى الدهر وهم فرقة من الزنادقة أو الملاحدة يجحدون الصانع المدبر العام القادر ، ويزعمون أن العالم لم يزل موجودا كذلك بنفسه بلا صانع وينكرون البعث والنبوة والحساب ولا يعرفون الخير ولا الشر وإنما اللذة والمنفعة – وقيل الدهرية هم الزروانية أو الزرفانية حيث زرفان أو زروان هو الدهر أو الزمان المطلق الذي يبلك ولا يهلك وهي طائفة من مجوس فارس راجع المعجم الفلسفي – عبد المنعم الحفني ص ١٢٢. ط الدار الشرقية . راجع أيضا الملل والنحل – الشهرستاني – تحقيق سيد كيلاني ص ٢٣٥ جـ٢ .

[٢] سورة الجاثية الآية رقم (٢٤) ٠

[٣] سورة البقرة الآية رقم (٤٤) ٠

العلمانية والتي فصل أربابها الدين عن الدولة أو عن أمور الحياة وغفل هؤلاء على أن الايمان ليس كلمة تقال ولكن الإيمان ما وقر في القلب وصدقه العمل كما حدث النبي المختار صلى الله عليه وسلم ، وكما أخبرت به الآية الكريمة في قوله تعالى (قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم ......)[٢] .

وبدأ السيل التغريبي والاستشراقي يتدفق نحو العالم الاسلامي فطالعتنا دعوى إنحدار الإنسان المكرم عن الحيوان.ولكن سموم الباطل ونفخاته ونفثاته مهما علا بريقها فسرعان ما تنطفئ ويخبو نورها .

وصدق الله العظيم إذ يقول (بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون)[٣] وصدق إذ يقول (يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلاّ أن يتم نوره ولو كره الكافرون)[٤] .

فالنصر في النهاية لأنصار الاسلام الذين صدّقوا به وعملوا بما فيه .

---

[٢] سورة الحجرات الآية رقم (١٤)
[٣] سورة الأنبياء الآية رقم (١٨)
[٤] سورة التوبة الآية رقم (٣٢)

*الأبـناء الأعـزاء هـذه محاولـة تبصـيرية نقـف خلالهـا إن شاء الله على رؤيـة بعـض التـيارات الإلحاديـة التي تكلمت في حق الذات الإلهية وفي حق الخلـيفة المخـتار مـن قـبله نعـالى فـي الأرض ألا وهو الانسان وما يخصه من شئون اجتماعية واقتصادية وسياسية .... ألخ .

وبذلـك نكـون قـد وضـعنا أيديـنا على بعض هذه التيارات والمذاهب القديمة والمعاصـرة التـي تـريد الفـتك بأفكـار شـباب الأمة والنأي بهم إلي مصاف الحيوانـية لتصـرفهم عـن خـيرتهم التـي خصـهم الله بها بقوله (كنتم خير أمـة أخرجـت للـناس تأمـرون الـناس بالمعـروف وتـنهون عـن المـنكر وتؤمنون بالله .....)[1]

فـأولى بكـم ثـم أولـى أن تنتـبهوا لمثل هؤلاء الأفاكين وأن تتسلحوا بسلاح الإسـلام الـذي أمـركم بـه الله فـي قو له (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخـيل ترهـبون عـدو الله وعدوكـم وآخريـن من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهـم ...)[2] ولقـد وقـع الاختـيار علـى عـدة مـن التيارات الفكرية القديمة والمعاصرة .

---

[1] سورة آل عمران الآية رقم (١١٠)

[2] سورة الأنفال الآية رقم (٦٠).

*الفكر المادى :-تعريف به -أصوله ومبادئه العامة ، فكرة موجزة عن أهم مدارسه القديمة – المدرسة الذرية والابيقورية والرواقية * الفكر المادي والأثر الكنسي * نظرات فى الفكر الماركسى *بعض الدلائل العقلية والنقلية والعلمية التى تثبت وجود الخالق ، *معالم التيار المادى،وبيان بالردود الخاصة لتلك المعالم ،

*:-دراسة نقدية لمذهب التطور وجوانبه الفلسفية وموقف الإسلام من هذه النظرية،

*الوجودية فى سطور – نشاتها وأهم آرائها ،

وبعــد،،،

فهــذه صفحات فى مادة التيارات الفكرية أسال المولى عــز وجل أن أكون قد وفقت فى عرض المادة العلمية بحيــث يجــد فــيها الأبناء والاخوة السهولة واليسر ،والمــادة العلمية الخصبة التى ينتفعون بها ،وقد راعيت فيها الأسلوب السهل والذى يصل الى الأذهان ،إن شاء الله دون عنت أو مشقة ،

*كمــا اسأله تعالى أن تكون هذه الصفحات فيها التذكرة وأن تعــيها أذن واعــية ٠والله اسأل أن يوفق المسلمين لنصــرة الإســلام ورفع راية التوحيد عالية خفاقة ،وأن يكلــل جهد أبنائنا الطلاب بالتوفيق والنجاح وأن يجعلهم عدة للإسلام ومن المدافعين عنه ٠إنه ولى ذلك والقادر عليه وهو حسبنا ومولانا نعم المولى ونعم النصير ٠

إطلالة موجزة عن الفكر المادى

إن القارئ لتاريخ الشعوب والأمم يرى أن الفكر المادى قديم وقد منيت به بعض الجماعات والشعوب وصار علما لها ،فقد رأينا من يؤمن بالمحس والمشاهد وما غاب عن حواسه فلا وجود له ٠فليس لديهم فى هذا الكون سوى هذا العالم المشاهد الملموس المحسوس فما لمسه بيده أو رآه بعينيه أو سمعه بأذنه فهو الموجود وما استتر فلا وجود له٠

فالمادى يرى أن الأشياء ترجع إلى أساس واحد هو المادة ويرى أن العالم مكون من شى واحد وهى أساس كل شى وكذا ينكر المادى الروح القائمة بنفسها والتى قد تتصل بالمادة وقد تنفصل عنها ٠٠٠

*وكذا يعد الماديون العقل مظهرا من مظاهر المادة فالعمليات الفكرية ماهى إلا إفرازات للمخ كما تفرز الكبد الصفراء و العين الدموع وعلى كل ذلك فكل شئ إما مادة أو مظهراً من مظاهرها ٠

*كما أن المادة لاتفنى ولاتحد وقوانينها أبدية لاتتغير ووبالتالى فهى متغيرة الأشكال ولكنها بعيدة عن عملية الخلق ٠؟

وإليك طرفا موجزا عن الفكر المادى عبر أبرز مظاهره ٠

*لم يستطع اليونانيون تصور الإله بعيدا عن المادة فقد شملت ماديتهم العلم والشعر والفن والفلسفة والدين ومن هنا فقد نحتوا التماثيل، وشيدوا المعابد المختلفة فللرزق إله وللرحمة إله ٠٠٠٠٠٠ ألخ وكذا الحب وكذا الجمال ويعد ديمقريطس أول من أشار الى هذا الاتجاه فقال إنه (لاشى موجود إلا المادة وقد امتازت تلك الحضارة بأنها تؤمن بالمحسوس وتبتعد عن الدين فضلا عن الاعتداد بالحياة بشتى أشكالها فالترف وصنوف اللهو من الرقص والغناء يعد تعظيما للإله فلا تعلم دينا من الأديان مثل ماكان عند اليونان فى تقاليده من الأفراح والأعياد والألعاب وقلة الخشوع والخشية٠فلم يكن اليونانيون يعظمون الله تعالى كما يعظم من شيوخهم وكانوا يكتفون فى تعظيمه وتمجيده برسوم عادية وتقاليد جارية ٠ ومن هذا الاتجاه فالآلهة تزنى وترتشى وتظلم وقد صار على هذا الاتجاه الرومان من بعدهم ممثليين للحضارة اليونانية فقد كانوا يعبدون آلهتهم فى المعابد ويهزأون بها فى دور التمثيل [1].

*وكذا دعا أفلاطون إلى الشيوعة أحد مظاهر المادية فالزواج بين الرجال والنساء على المشاع فلا يخص المرء نفسه بزوجه ٠وكذا أولادهم يكونون مشاعا فلا يعرف والد ولده٠فالمصالح الفردية لاوجود لها ومن هنا وجه مذهبه

---

[1] راجع التوحيد الخالص د/ عبد الحليم محمود .

للشيوعية فاشتراكية فى المال والأولاد والنساء والمرء يملك حاجاتـــه الضرورية فقط أو مابها قوام واعتدال المعيشة ، فالطعـــام علـــى المشاع فى موائد عامة وما يتتقضاه الحكام يجـــب إلا يزيد عن مبلغ معين يكفى لسد الحاجة طول العـــام،فمن يرغب بالنساء يجد ومن ترغب فى الرجال تجد وتلك مثالية أفلاطون اشتراكية فى المال والأولاد والنساء هذا مارسمه فى جمهوريته ،

وجـــاء مـــن بعـــده أرسطوليعلن ذوبان شخصية الفرد فى المجـــتمع فالدولة عليها أن تحقق الكمال المادى والمعنوى لأربابها ،،

*وأما أرباب المذهب الرواقى فأعلن أنصاره بزعامة سينيكا أن الـــناس علـــيهم العـــودة إلـــى النقاء وذلك بالعودة إلى الشيوعية البدائية الهمجية ومن هنا فقد ضل الناس حين بدأو يدعون الملكية الخاصة ،

•وكذا عضد هذا الرأى روسو حين رأى إلغاء الملكية الفردية هـــو الحل الأمثل للصلاح الحياة وقالها، لن يكون مصيركم إلا الـــتلف والضياع لو نسيتم أن الأرض ليست ملكا لأحد وأن ثمارها لنا جميعا)[٢]،

---

[٢]راجع خلاصة الفكر الاشتراكى عز الدين فوده ص١٦٢ ط دار الفكر العربى سنة ١٩٦٩ م

ومـــن هنا فقد كان هذا الباب لأصحاب المصالح الخاصة الثائريـــن علـــى أرباب الأملاك الخاصة كالأمراء والملوك ومن يريدون القضاء على القانون .

ومـــن ثم توالت الشيوعية المادية مابين علو وانخفاض حتى صـــارت نظاما سياسيا له أفراده وله أسسه ...... ألخ وكـــان أول داع له كارل ماركس ولنا إن شاء الله وقفة مع أهم معالم هذا التيار المادى فى حينه .

*وقد كان المصريون القدماء يتصوورن الالهة فى مظاهر مادية وقد وقفنا على هذا الأمر سالفا(٣) إلا أنهم يغلب عليهم الخشوع والتعظيم لآلهتهم .

*وكـــذا فى البيئة اليهودية وما دار من إخلاد إلى الأرض فهـــم يطلبون المادة بكافة أشكالهافقد تصورا الإله تعالى فى صورة مادية وعبدوا العجل من دون الله وطلبوا رؤية الله جهـــرة .... ألخ وفى هذا يقول الله تعالى (. يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاء فَقَدْ سَأَلُواْ مُوسَى أَكْبَرَ مِن ذَلِكَ فَقَالُواْ أَرِنَا اللَّه جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُواْ الْعِجْلَ مِن بَعْدِ مَا جَاءتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُّبِينًا) ٤

٣

٤ سورة النساء ١٥٣

وفـــى البيئة العربية وجدنا من يميل الى المادة ويخلد اليها فمـــنها المـــبدأ واليها المنتهى فقال تعالى: (وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِـنْ عِلْـمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ.)° والمستعرض لآيات الذكر الحكيم يجد أن هذه الدعوى قديمة ترددت على ألسنة أقـــوام الأنبـــياء والمرسلين وفي هذا نقرأ قوله تعالى (قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَـمًّى قَالُواْ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ بَشَـرٌ مِّثْلُـنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُـلْطَانٍ مُّبِينٍ....)(٤) فتلك دعوى قديمة يرددها ضعاف العقول والإيمان ولقد حكى الإمام الغزالي متحدثاً عن طائفة مـــنهم – قـــائلاً – الصـــنف الأول وعدهم من الزنادقة (الدهريون) وهم طائفة من الأقدمين جحدوا الصانع المدبر العالم القادر وزعموا أن العالم لم يزل موجوداً كذلك بنفسه وبلا صانع ولم يزل الحيوان من النطفة والنطفة من الحيوان كذلـــك كان وكذلك يكون أبداً)(٥) وقد عدهم الشهرستاني رحمـــه الله من معطلة العرب الذين أنكروا الخالق والبعث والإعـــادة (١). وقد حكى القرآن الكريم قولهم (وقالوا ما

° سورة الجاثية ٢٤

(٤) سورة إبراهيم الآية رقم (١٠)

(٥) المنقذ من الضلال الغزالي د/ عبد الحليم محمود . صـــ٣٤٤ ط. دار المعارف .

(١) الملل والنحل للشهرستاني جـــ١ صـــ ٢٣٥ .

هــي إلاّ حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلاّ الدهر وما لهم بذلك من علم إن هم إلاّ يظنون)(٢) يقول الفخرالرازي رحمه الله عن هذه الآية (فأما شبهة إنكار يوم القيامة-فهي قولــه (وقــالوا إن هي إلاّ حياتنا الدنيا نموت ونحيا) فقولهــم نموت حال كونهم نطفاً في أصلاب الآباء وأرحام الأمهــات (ونحــيا) ما حصل بعد ذلك في الدنيا – الوجه الثانـــي – نمــوت نحن ونحيا بسبب بقاء أولادنا – الوجه الثالــث – يموت بعض ويحيا بعض ......) وأما شبهتهم في إنكار الفاعل المختار فهو قولهم (وما يهلكنا إلاّ الدهر) يعنـــي تولــد الأشــخاص إنما كان بسبب حركات الأفلاك الموجــبة لامــتزاجات الطبائع وإذا وقعت تلك الامتزاجات علـــى وجــه خاص حصلت الحياة ، وإذا وقعت على وجه آخر حصل الموت فالموجب للحياة وللموت تأثيرات الطبائع وحركات الافلاك)(٣)

*واذا كان الفكر المسيحى قد اهتم بالروح وجعلها فى مقابلة المادة فقد بدأ الصراع بين الطرفين ولكن غلبة المادة على الــروح مازال مسيطرا وقد تبنت الكنيسة بعض النظريات الماديـــة وواعتــبرت الخارج عنها خارجا عن الدين ،وهذا

---

(٢) سورة الجاثية الآية رقم (٢٤).

(٣)التفسير الكبير الرازي جـ٢٧ صـ ٢٧٠ ، ٢٧١ ط. دار الفكر .

الأمـــر بفوره جعل هناك عداء بين العلم والدين متمثلا فى رجـــال الكنيســـة ومـــن هـــنا فقد نشأت أجيال من العلماء والمفكريـــن تكـــره الكنيسة وتحتقرها معا وتكن فى نفوسها العـــداوة والاشمئزاز للدين ولرجاله، ومن هنا كانت الفجوة بين الدين والعلم وبين الكنيسة والفكر فى حياة الأوربيين [٦]،

ومـــن ثم أضحت المادة جل حياتهم فالوجود مادى والحياة نفسها ليست الا صفة من صفات المادة،

*وقـــد كان لنظرية دارون حول أصل الأنواع (التطور) شـــأنها الـــبارز فى التحول المادى البحت ومن ثم أضحت أقوال العلماء تدور فى نسق كلامى فحواه قول أحدهم:ـ (أنـــا مؤمـــن بـــالعلم كافـــر بهذه الروح الذى لايجدى على أصحابه ولا على الناس شيئا وعندى أن الامة تأخذ بنصيب مـــن المدنية يكثر أو يقل بمقدار ما تأخذ بنصيب من العلم ومنهجه ،

* وإذا كـــان الكـــون يسير بنفسه بدون خالق إذ لامحل مع المـــادة بالاعتقاد بخالق ٠٠٠٠٠ألخ فالإنسان محصلة للمادة

---

[٦] راجع الفكر الماركسى فى ميزان الاسلام لأستاذنا الدكتور محمد رشاد ص ٢٥ طبعة الفجر الجديد ١٩٨٢، م

وليســت له خاصــة فكــرية علــى الــنحو الذى يصوره الروحانيون ٠

***فما يجرى فى الكون ليس إلا مجرد عمليات ميكانيكية فلا** ضــرورة لخالق مدبر وقد ساعد على هذا الأمر ما قدمه علمــاء الطبيعــية والفلسفة من نظريات فكل مالا يقع تحت نطــاق الحس ولايدخل تحت الوزن والمساحة لاوجود له ٠

*ومن أقوال زعماء الفكر المادى ما سجله هيوم بقوله (لقد رأينا الساعات وهى تصنع فى المصانع ولكننا لم نر الكون وهو يصنع فكيف نسلم بأن له صانعا ٠ ويقول رائد مدرسة التحلــيل النفسى فرويد (إن الدين ناشئ عن الكبت ويقور دور كــايم رائد علم الاجتماع (إن الدين ليس فطرة)ويقول مــاركس[٧](**إن الديــن أفيون الشعوب وأنه مجموعة من الأســاطير ابــتدعها الإقطاعــيون والرأسماليون لتخدير الجماهير الكادحة**)٠ وقد ظهرت الاتجاهات المختلفة لهذا

---

*ماركس زعيم الشيوعية من أصل المانى وضع مذهبه مع صديقه انجلز وحدد مبادئه فى كتابه الشهير رأس المال وتوفى سنة ١٨٨٣ م وسوف نتعرض (باذن الله)لهذا الرجل وفلسفته المادية فيما بعد ٠

التـيار المـادى تهدم الاخلاق وتعبث بالمثل العليا ٠٠٠ألخ ونـتج ما يسمى بفلسفة المنفعة أو اللذة الابيقورية ٠٠٠٠٠ فـرويد فـى أوربـا والبراجماتزم [٨] فى أمريكا والوجودية الملحدة فى فرنسا [٩] وكذا شيوعية ماركس٠

---

(٨) هـى الفلسـفة العملية حيث تجعل من العمل مبدأ مطلقا ويلخص وليم جميس تعاليما بقوله إن تصورنا لموضوع ما هو تصورنا لما قد ينتج عنه من نتائج عملية لاأكثر وتدرس الواقـع لا المجـرد ويهتم الفيلسوف العملى بالمدرك وليس بالمتصور ٠ راجع المعجم الفلسفى ص٤٣

[٩] الوجوديـة : جملـة المذاهب التى ترى أن الانسان هو الكـائـن الموجـود، وأن كلمة وجود لاتنطبق إلا عليه أمالا غـيره فهـو كائن وأن تحليل الوضع الانسانى يكشف عن معنى كونه موجودا وأن وجوده سابق على ماهيته أو بمعنى أصـح لن الموجود إذ يوجد يكون ماهيته بحيث إن الماهية لـيس فى ذاتها سوى الوجود نفسه فى واقعه العينى أو أن الموجود هو فى وقت واحد وجود وماهية ومن ثم لاتكون للوجود ماهية متميزة عنه وهذا بمثابة القول بأنه فى جوهره حـرية ٠٠٠ويلزم من ذلك أن الوجود لايمكن إدراكه إلا على هيئة تاريخ أو باعتباره زمانتية وأن الفرد يستطيع أن

* فالرجل أيا كان مذهبه أو اتجاهه أوكان صنعته لايعرف إلا اتجاهـا واحـدا يؤمـن به ويعتقده ألاوهو عبادة المادة، والاعـتقاد بأنـه لاغاية فى الحياة إلا الحصول على المادة والتمتع بما فيها متمثلا فى المصانع الضخمة ودور السينما ....٠وكل ما يحقق له اللذة المطلقة فهم عبيدا لها ومـن هنا فهم مسخرون لها ٠ فالحياة فى نظر الباحثين ما هى إلا شر مستطير حاق بالغربيين ٠وفى الصفحات التالية سـوف نـتعرف بتفصـيل على تلك المظاهر والاتجاهات المختلفة للتيار المادى ٠

يصنع نفسه ويتخذ مواقفه فى حرية وبالشكل الذى يحقق له وجـوده الكامل ٠ راجع المعجم الفلسفى عبد المنعم الحفنى ص ٣٨٠ ط الدار الشرقية ٠

*إذا كانت قضية الإيمان بوجود الإله قضية بديهية لا تحتاج إلي نظر واستدلال فان هناك سؤالا يفرض نفسه على الساحة وهو اذا كان الأمر كذلك فلم حجد الجاحدون وانكر المنكرون؟ بالرغم من أن آيات الذكر الحكيم التى توالت لم يكن هدفها اثبات وجود الله تعالى بل كان مقصدها بيان عظمة الله تعالى وتدبيره وقدرته وهيمنته على كل مافى العالم من صغيرة وكبيرة وبيان عناية الله تعالى ورعايته وإحكامه المحكم وإبداعه المتقن لكل ما يسرى فى العالم من من قوانيين ونواميس[٢] ولقد توالت هذه الآيات أيضا لتقود الإنسان إلى إسلام وجهه إلى الله تعالى إسلاما كاملابحيث لايصدر ولايرد إلاباسمه سبحانه ولايأتى ما يأتى أو يدع مايدع إلا فى سبيله تعالى[*] . . فلم جحد الجاحدون وأنكر المنكرون إن هذا السؤال سيأتي الجواب عليه فيما بعد.

---

(٢) التفكير الفلسفى فى الاسلام –د/عبد الحليم محمود ص ٥٠ ط دار المعارف الثانية .

(*) التوحيد الخالص د/ عبد الحليم محمود ص ١٤٤ ط دار الكتب الحديثة ١٩٧٣م

نظرات فى الفكر الماركسى

ماركس وحياته

الظروف النفسيه التى نشأ فيه ماركس :

إن التعرف على الظروف النفسيه التى نشأ فيها كارل ماركس لاشك يعطى القارى المفتاح لفهم فلسفته وتحليلها .

وفيلسوف هذه النظرية الأول هو كارل هنريك ماركس وليس هذا اسم أبيه الحقيقى ، وإنما هذا هو الذى تسمى به بعد كفره باليهوديه ، واعتناقه للنصرانية ، وأما الاسم الحقيقى كما ورد على لسان أحد الحاخامات اليهود وهو الحاخام "مردخاى ماركس" ومعنى ذلك أن والده كان من الحاخامات وهم رجال الدين اليهود .

وقد ولد ماركس سنة ١٨١٨ فى مدينة تربر بألمانيا فى هذه الأسرة اليهودية التى تتحول فجأة الى النصرانية ، ويعلل بعض الباحثين لهذا التحول بالظروف المالية والظروف النفسية التى كان يعاينها اليهود فى أوربا من النصارى حيث كانوا يعزلونهم فى حارات خاصة بهم . وينظرون اليهم نظرة الازدراء والكراهية ، مما جعله يهرب من هذه الجنسية ويعتنق النصرانية لهدفين .

الأول : التخلص من نظرات الإزدراء والمعاملات السيئة التى كان يلقاها اليهود فى أوربا .

ثانيهما : أن يكسب لقمة عيشه ويفر من الفقر الذى كان يعانيه .

فى مثل هذا الوسط نشأ ماركس ولم يبلغ سن السادسة حتى كان أبوه قد نصره وعمده ، ولقد عانى ماركس من الفقر الشديد طفلا وشابا وزوجا حتى كانت زوجته تطلب المساعدة من اصدقائه. لدرجة ان بناته قد سرن فى طريق الرذيلة .

ثم انتحرن فيما بعد ، مما عمق فى نفسه رواسب الحقد اليهودى على الأغنياء . لذا يقول أحد تلاميذه عنه المدعو "أثورهل" فى كتابه "كارل ماركس حياته وعمله" "ان ماركس كان نموذجا فيما كان يعانيه من اعتلال نشاطه الروحى ، وكان على الدوام متقلبا مبتئسا حقوداً."

ومن هنا تولدت أفكاره الحاقدة على الأغنياء ! ثم تولدت عنده النزعة الإلحادية والمادية الموروثة عن أجداده اليهود الذين تصوروا الإله مادة وجسداً ، ثم الحالة العلمية والفلسفيه التى نشأ فيها حيث كانت معظم الاتجاهات العلمية والفلسفيه تميل الى الإلحاد وتدعو إليه ، ثد دفعه أبوه الى دراسة الفلسفة فتتلمذ على يد هيجل

وفويرباخ وكان هيجل يدعى أن الكون كله فكرة وأن الأشياء لاوجود لها إلا فى العقل وهذا ماجعل فويرباخ يستنتج من فلسفة هيجل أن الإله لاوجود له إلا فى ذهن الإنسان ، وقد قال مقالته الفاسدة " إن الإنسان هو الذى يخلق الإله وليس الإله هو الذى يخلق الانسان فى هذه الأجواء المشحونة بالكفر والإلحاد نشأ ماركس وبعد أن أنتهى من المرحلة الجامعية قدم اطروحه فى الفلسفة الأبيقورية .

ثم ألف عدداً من المؤلفات التى بلور فيها نظريتة الشيوعية ومنها العائلة المقدسة الذى صدر سنة ١٨٤٤"المثالية الألمانية سنة١٨٥٩" وفقد الفلسفة سنة١٨٤٧"ونقد الإقتصاد السياسى سنة١٨٥٩ ، ثم كتاب رأس المال الذى ألفه صديقة انجلز .

ولم يكن ماركس بالفيلسوف الحق الذى يسمح بالماقشه فى أى عنصر من عناصر نظريتة ، وانما كان كما يحكى عنه معاصروه مضطرب الفكر يستوحى آراءه من روح الحقد والكراهية التى نشأ فيها . وكان شرسا عنيفا لايسمح لأحد بالتعقيب على أفكاره .

مصادر الفكر المركسى

إنه فكر ماركس ليس ذاتيا وإنما يمكن إرجاعه الى مصادر أربعه :

أولا : الإشتراكيات الفلسفية :

لقد حفل الفكر الماركسى فى مختلف عصوره بأفكار شيوعية كما شاهد التاريخ بعض التطبيقات التى لم تدم طويلا فى أعتمادها على هذه الفلسفه وحينما نعود إلى الفلسفة اليونانية نجد أن أفلاطون قد وضع نموذجا لجمهورية خيالية ، يعيش الناس فيها طبقا لمبادىء الشيوعية فى الملكية والنساء ، فليس لفرد أن يملك شيئا ، وليس له أن يؤسس أسرة مستقلة أو يربى أولاده ، بل ينبغى أن يربى الأطفال فى محاض عامة بحيث يصبحوا ملكا للدولة .[١] ويقال أن أفلاطون عدل عن نظريته هذه فى أواخر عمره حيث سجل عودته فى كتابه النواميس .[٢]

وفى القرن الخامس الميلادى ظهرت فى فارس حركة شيوعية قام بها مزدك عام ٤٨٧ م الذى أدعى أن الله جعل الأرزاق فى الأرض ليقسمها العباد فيما بينهم ولكن الناس تظالموا فيها ، ومن هنا دعا إلى شيوعية المال والنساء حتى أختلطت

---

(١) جمهورية افلاطون

(٢) الشيوعية فى موازين الاسلام صـ١١ د/ لبيب السعيد

الأنساب وفسد المجتمع وعمت الفوضى إلى أن قام عقلاء فارس بقتل مزدك على فتنه [١]

وفى العالم الأسلامى ظهرت حركه شيوعية فى القرن الرابع الهجرى قام بها القرامطة . الخارجين عن الإسلام (فى البحرين) وقد أسسوا دولة لهم على أساس من مبادىء الشيوعية فى الأباحية الجنسية والتحلل الخلقى والغاء العقائد والملكية الفردية ولا ينسى التاريخ ما أحدثه القرامطة بالمسجد الحرام حيث نزعوا الحجر الأسود وردموا بئر زمزم بجثث الحجيج المسلمين . [٢]

وفى العصر الحديث ظهرت كثير من المؤلفات لفلاسفة ومفكرين تحدثوا عن امكانية قيام مجتمعات تقوم على أسس اشتراكية شيوعية ومنهم الكاتب الأنجليزى"توماس مور" ١٥١٦م الذى كتب قصته الخيالية "اليوتوبيا" التى وصف فيها جزيره خيالية الأموال فيها شائعة ، والإنتاج فيها يوزع بمعرفة الدولة والناس سعداء فى حياتهم ، وعلى نفس المنهج كتب (كامبانلا) – ١٦٣٠م–"مدينة الشمس" وأما المؤسس الفلسفى للشيوعية فى العصر الحديث فهو الفيلسوف الفرنسى أوجست كونت –١٧٩٨–١٨٥٧–

---

(١) تاريخ المم للطبرى جـ١ صـ٨٨ ، الملل والنتحل للشهرستانى .

(٢) االكامل فى التاريخ لابن الاثير .

الذى أتجه فى فلسفته إلى القضاء على النزعة الفردية واقامة النزعة الإنسانية العامة التى تجعل الفرد ترسا فى آلة المجتمع كما أعتبر كونت الملكية مجرد وظيفة لخدمة المجتمع لا لخدمة أصحاب الملكيات الخاصة .

ثم جاء من بعده فيلسوف فرنسى آخر هو"لويس بلان" الذى قرر أن الحل الوحيد لمشكلة استقلال العمال هو أن تملك الدولة جميع الموارد فتوفر عملا لكل مواطن وتوزع الناتج على الجميع بالقسطاس كما أن أفكار جان جاك وفولتير عن الدين تعد المنبع الأساسى الذى اعتمد عليه ماركس .

ذلك أن فولتير يزعم أن البشرية قد عاشت قرونا متطاولة فى حياة مادية خالصة قوامها الحرث والنحت والبناء قبل أن تفكر فى قضايا الدين والروحانيات وذهب إلى أن فكرة التألية إنما اخترعها دهاه ماكرون من الكهنة القساوسه الذين لقوا من يصدقهم.

كما ذهب جان جاك رسو الى ان الدين ونظم الأخلاق والمجتمع هى مجرد اختراع من ملاك الأراضى الذين حدا بهم جشعهم وحرصهم والحفاظ على ملكيتهم إلى ان يأتمروا بينهم على وضع تلك النظم والقوانين ليخدعوا بها الناس ويضللوا بها الفقراء[١]

---

(١) د/ نبيل محمد السمالوطى الدين والبناء العائلى صـ٦٢ جدة سنة ١٩٨١ .

ثانيا : الفلسفة الألمانية :

اتجهت الفلسفة الألمانية منذ كانت إتجاها مثاليا فقد ألح كانت على مبدأ فاعلية الفكر وقدرتة علىً صياغتة وتركيب المادة التى تأتية من الخارج فكانت هذه المادة هى العائق الوحيد أمام المثالية المطلقة ولذلك فإن من جاءوا بعده من الفلاسفة الألمان قد رفضوا آى سلطان على الفكر من الخارج وقالوا بفاعلية الفكر المطلق وفسروا بالفكر وحده كل شىء . (١)

ثم جاء من بعده فختى وشلبخ وهل فوضعوا أسس المنهج الجدلى الذى تلقفه ماركس وأقام عليه فلسفتة بعد أن أفرغة من محتواه الهيجلى الفكرى وملأه بعناصر مادية مدعياً أن الجدل يتحرك من خلال المادة لا الفكر والروح ولذلك يقول انجلز"لولا الفلسفة الألمانية لما كانت هناك اشتراكية علمية" . (٢)

وقد كان لهيجل على الخصوص أبعد الأثر فى نظرية ماركس ذلك أن هيجل أدعى أن العقل هو الذى يخلق الفكار والأشيائ ويطور المجتمعات والوجود مكل موجود عند هيجل هو فكرة فى عقل الانسان دون أن يكون له استقلال ذاتى خارج عن

---

(١) يوسف كرم : تاريخ الفلسفة الحديثة صـ٢٦٢ .

(٢) لنيين ، مصادر الماركسية صـ٦٢ .

العقل كما أدعى بأن العقل المطلق الذى اطلق عليه لفظ الجلالة (الله) قد اختلط بالطبيعة واتحد بها فى عقل الإنسان وفكره الذى سماه بالعقل المجرد وبذلك يقلل هيجل من قدسيه الإله وينزله من عرشه ويخلطة بالطبيعة فى محاولة لتبرير عقيدتة النصرانية فى اتحاد اللاهوت بالناسوت وهذا ما مهد الطريق أمام "فويرباخ" لكى يستنتج من فلسفة هيجل أن الإنسان هو سيد نفسه وخالق فكرته عن الله فليس للإله وجود مستقل عن الإنسان بل هو فكرة فى عقل الإنسان [١]

ويتتلمذ ماركس على يد فيورباخ وهيجل . فيأخذ عن هيجل منهجه الجدلى وبدلا من أن يقول كما قال هيجل إن الجدل الفكرى هو المحرك للتاريخ يدعى أن الجدل يتحرك من خلال الحركات الجماهيرية والقوى الأقتصادية دون أن يكون للفكر أية فاعلية .

ثم يأخذ من فيورباخ فكرته عن الله والدين فيقول الدين خرافة. داروين :

ثالثا : كانت العقبة الأساسية أمام حركة الالحاد فى أوروبا هى الاجابة على السؤال ، إذا لم يكن الله موجودا ، فكيف خلق العالم ؟

---

(١) العلمانية والاسلام بين الفكر والتطبيق د/ محمد البهى .

وقد وجد داروين الإجابة على هذا السؤال من خلال الفلسفة اليونانية القديمة حيث قال انكسمنس بنظرية التطور والتوالد الذاتى ، فأخذ داروين هذه النظرية وفصلها فى كتابه أصل الأنواع الذى اطلع عليه ماركس فأعجبه ، لأنه وجد فيه المادة المطلوبة لتصفية العقيدة الدينية وازالتها من الوجود [١]

وقد استعان بهذه النظرية فى صياغة فلسفته فى التغير والتحول من خلال ظروف البيئة وضغوطها - كما قال داروين فى عوامل التغير والتطور . [٢]
بل استنتج ماركس من نظرية داروين مالايمكن استنتاجه .

ولذا فإن ماركس حيث أرسل نسخة من كتابه "رأس المال" هدية الى "داروين" لم يقبلها داروين بعد أن قرأ فيها خلط ماركس وهذيانه بل ردها إليه قائلا "إنى اشكر لك رسالتك الودية وأفضل أن يكون هذا الجزء من الكتاب غير مهدى الى ، إذا كان إهداءه الى يتضمن على وجه من الوجوه اقرارى لما فى سائر الكتاب .[٣]

---

(١) موريس بوكاى ما اصل الانسان صـ٤٨ .

(٢) العقيدة الاسلامية د/ سعد الدين صالح .

(٣) د/ أمير عبد العزيز الماركسية فى ميزان الإسلام صـ٥٩ .

رابعاً : الإقتصادى الانجليزى :

وإذا كانت نظرية فائض هى اسا النظرية الإقتصادية الشيوعية التى يرد الشيوعيون عظمة ماركس وعبقريته الى اختراعها ، فان هذه النظرية فى الواقع لم تكن له وإنما صاغها من قبله ريكاردوا وآدم سميث ثم أتى ماركس ولم يصنع أكثر من شرحها وتفصيلها بأسلوبه الخاص ثم نسبها إليه (١)

وهذا مايعترف به لينين حين يقول (لقد تكون الاقتصاد السياسى الانجليزى قبل ماركس وكانت أكثر البلدان الرأسماليه تطوراً فقد درس سميث وادفيد ريكاردوا النظام الاقتصادى مسجلا بداية نظرية القيمة ، وواصل ماركس عجلها فأعطى هذه النظرية أساسا علميا خالصا وطورها بصورة منسجمة الى النهاية) (٢)

---

(١) محمد باقر الصدر اقتصادنا صـ١٨٧

(٢) مصادر الماركسية صـ٨ .

أسس الفلسفة الماركسية :

تقوم الفلسفة الماركسية على عدة أسس وهى مايلى :

أ- المادة الجدلية :

المادية الجدلية تصور خاص لقضايا الألوهية والكون والحياة والإنسان يقوم على اساس مادى بحت ، على اساس أن المادة هى الشيء الوحيد الأصيل فى هذا الكون ، وأن كل مافى الكون ومن فيه منبثق من المادة ومحكوم بقوانين المادة ولاوجود له خارج نطاق المادة ، كما يقوم هذا التصور أيضا على اساس وجود التناقص فى طبيعة المادة ، ومن ثم كل ماينبثق عنها من مخلوقات ومن كيانات بما فى ذلك الكيان الانسانى فهو مادى من جهة ومحكوم بصراع المتناقضات من جهة أخرى .

وتلك هى حقيقة كل أفكار ماركس ومشاعره وكل نظمه ومؤسساته وكل قيمة ومبادئه وكل حركته خلال التاريخ .

ولم يكن ماركس هو مبتدع الجدلية أو التفكير الجدلى على العموم ، وإنما أخذ هذا التفكير عن هيجل ، وإن كان قد خالفه فيه مخالفة أساسية إذ قال هيجل إن الفكرة هى الأصل وهى سابقة فى وجودها على المادة ومسيطرة عليها ، وقال ماركس إن المادة هى الأصل وهى سابقة على الفكرة ومسيطرة عليها .

يقول ماركس (لايختلف منهجى الجدلى فى الأساس عن منهج هيجل فقط بل هو نقيضه تماما إذ يعتقد هيجلأن حركة الفكر التى يجسدها باسم الفكرة هى مبدعة الواقع الذى ليس سوى الصورة الظاهرية للفكرة أما أنا فاعتقد على العكس إن حركة الفكر ليست سوى انعكاس حركة الواقع وقد انتقلت الى ذهن الانسان) (١)

ومن ثم سميت جدلية هيجل الجدلية المثالية وجدلية ماركس الجدلية المادية أو المادية الجدلية .

أما أصل التسمية : فى لغتها الأصلية : فهى مأخوذة عن الإغريقية ومستمدة من الحوار الفلسفى الإغريقى الذى كان يمثل وجهتى نظر مختلفتين تتجاد لأن حتى تتبين الحقيقة من خلال الجدل.

يقول ستالين فى تعريف الجدلية ، الديالكتيك :

(أخذت كلمة ديالكتيك من الكلمة اليونانية ديااليجو ومعناها المحادثة والمجادلة وكان الديالكتيك يعنى فى عهد الأولين فن الوصول إلى الحقيقة بإكتشاف المتناقضات التى يتضمنها استدلال الخصم وبالتغلب عليها وكان بعض الفلاسفة الأولين يعتبرون إكتشاف تناقضات الفكر والمصادمة بين الآراء هما خير وسيلة

---

(١) أصول الفلسفة الماركسية تأليف جورد بولينز وآخرين تعريف شعبان بركات صـ٣٦ جـ١ نقلاً عن رأس مال لماركس .

لإكتشاف الحقيقة فهذا الأسلوب الديالكتيكى فـى التفكير الـذى طبـق فيما بعد على حوادث الطبيعة أصبح هو الطريقة الديالتيكية لمعرفـة الطبيعة .

إن حوادث الطبيعة بموجب هذه النظرية هى متحركة متغيرة دائما وأبدا وتطور الطبيعة هو نتيجة تطور تناقضات الطبيعة نتيجـة القوى المتضادة فى الطبيعة) [١]

وقد قام أصحاب المادية الجدلية بتفصيلها فى نقطتين :

أولا : المادة : أزليتها وأبديتها واسبقيتها فى الوجود على الفكر :

جاء فى كتاب أسس المادية الدياليكتيكيـة والماديـة التاريخيـة لسيركن وباخوت" (.. فليس للكون نهاية ولاحدود العالم أبدى وليس له أى بداية ولن يكون له أى نهاية ومن هنا فـأى عـالم غيبـى غـير مادى غير موجود ولايمكن أن يوجـد وفـى واقـع الأمـر إنـه إذا لـم يوجد شىء غير المادة فلا يوجد غير عالم مادى واحـد وهـذا يعنـى أنه عند الأشياء والظواهر المختلفـة فى العالم المحيـط بنـا ، هنـاك خاصية واحدة توجدها هى ماديتها) [٢]

---

(١) المادية الديالكتيكية والمادية التاريخية صـ١٤ ، ١٥ لستالين .

(٢) أسس المادية الديالكتيكية والمادية التاريخية لسيركين وبـاخوت صـ٢٩ ترجمـة محمـد الجندى .

ويقول ستالين وتقوم المادية الفلسفية على مبدأ آخر وهو أن المادة والطبيعة والكائن هى حقيقة موضوعية موجودة خارج الإدراك أو الشعور وبصورة مستقلة عنه وأن المادة هى عنصر أول لأنها منبع الإحساسات والتصور والإدراك ، بينما الإدراك هو عنصر ثان مشتق ، لأنه إنعكاس المادة : إنعكاس الكائن وان الفكر هو نتاج المادة لما بلغت فى تطورها درجة عالية من الكمال أو بتعبير أدق إن الفكر هو نتاج الدماغ والدماغ هو عنصر التفكير فلا يمكن بالتالى فصل الفكر عن المادة دون الوقوع فى خطأ كبير[١]

وقال صاحب كتاب أسس المادية الديالكتيكية والمادية التاريخية " وجدت الطبيعة ليس فقط قبل الناس وإنما عموماً قبل الكائنات الحية وبالتالى مستقلة عن الإدراك وهى الأولية إما الإدراك فلم يستع التوجد قبل الطبيعة فهو ثانوى " [٢]

ويقول لوموسوف "إنه فى الطبيعة لاينشأ شيء من لاشيء ولايختفى أبدا بلا أثر ولكن إذا كان الأمر كذلك فإن المادة (الطبيعة) قد وجدت دائما ، لأننا إذا سلمنا بأنه فى وقت من الأوقات لم يكن هناك شيء فى العالم أى لم تكن توجد مادة فمن أين

---

(١) المصدر السابق صـ٢٩ .

(٢) المصدر السابق صـ٤٣ .

لها أن تنشأ ؟ ولكن ماإن توجد المادة فهذا يعنى أنها تنشأ فى أى وقت من الأوقات ، بل وجدت دائما وستوجد دئما فى ابدية وخالده ولهذا لم يمكن أن تخلق فلايمكن أن يخلق مالايمكن افناؤه ، وبذلك فالمادة لم تنشأ أبدا بل وجدت دائما وستوجد فهى ابدية ." [١]

وجاء فى كتاب المادية التاريخية (ثم إن العلم إذ يكشف عن الصلات الطبيعية بين ظواهر الطبيعة يطرد فى تطوره الإله من الطبيعة ويدحض خطل المثالية ، ويؤيد صحة النظرة المادية الى العالم والعلم يتفق مع المادية فى بحثه عن الحقيقة فى الحياة ذاتها وفى الطبيعة ، ويفسر ظواهر الطبيعة والمجتمع معتمدا على القوانين الموضوعيه وهذا مايدل على أن العلم الحقيقى ذو طابع مادى ، إن العلم مادى بطبيعته وبجوهره والمثاليه غريبة عنه وعدوة له ." [٢]

وجاء فى كتاب (أصول الفلسفة الماركسية "ولقد آثارت النزعة المادية الجدلية هذه الصعوبات ، وفقدت فكرة الله كل محتواها ، ولم يعد النقاش حول وجود الله أو عدم وجوده – ذلك

---

(١) الصدر السابق صـ٣٠ - ٣١

(٢) المادية التاريخية تأليف ف كيلى م كوفا لـلرزون ترجمة أحمد داود صـ٥٠٠ ، طبع دار الجماهير بدمشق سنة ١٩٧٠م .

النقاش الذى آثار النزعة الإلحادية الساذجة غير الماركسية - يثار كما أثير سابقا لقد اصبح الله كما قال لابلاس فرضية لانفع فيها .

"ولاشك أن فكرة الله والعواطف الدينية موجودة وهى تتطلب تفسيرا وبدلا من القول بأن الانسان كائن إلهى يجمع فى ذاته العنصر الطبيعى والعنصر الإلهى كما يجمع عنصر الموت والخلود فى هذه الحياة الدنيا وفى الحياة الأخرى ، يجب القول بأن الله والديانة هما ظاهرتان إنسانيتان لأن العنصر الإلهى هو من إبداع الإنسان وليس الانسان وهومن ابداع" (١)

ويقول ماركس " إن العزة الإليهية والهدف الإلهى هى الكلمة الكبيرة المستعملة اليوم لتشرح حركة التاريخ والواقع أن هذه الكلمة لاتشرح شيئاً "(٢)

ويقول انجلز " فالطبيعة توجد مستقلة عن كل فلسفة فهى الأساس الذى نمونا عليه نحن الناس نتاجها أيضا ، وخارج الطبيعة والانسان لايوجد شىء أما الكائنات العلوية التى ولدت فى مخيلتنا الدينية فليست سوى انعكاس خيالى لوجودنا نحن "(٣)

---

(١) أصول الفلسفة الماركسية تأليف جورج ليوز وآخرين تعريب شعبان بركات صـ٢٠٦ جـ١ المكتبة العصرية بيروت .

(٢) ماركس : بؤس الفلسفة صـ١٢٣ - ١٢٤ ترجمة - اندرية بازجى طبع دار اليقظة العربية بسوريا ومكتبة الحياة بلبنان .

(٣) انجليز الفلسفة الكلاسيكية الالمانية صـ١٦ دار التقدم بموسكو .

فواضح من كل ماتقدم مـن النصـوص أنهـم يعتـبرون المـادة هى الأصل الذى انبثقت منه كل الكائنات الحية منها وغير الحية بما فى ذلك الإنسان ، وأنهاجميعا قد انبثقت عنها بطريق الخلق .

أى أن المادة هى الخالق الذى أنشأ الحياة من أفكار ومشاعر أما المادة ذاتها فلم تخلـق إنمـا كـانت دائمـا موجـوده وستظل دائمـا موجودة أى أنها أزلية أبدية موجودة بذاتها ومنشئة لغيرها .

ثانياً : قوانين المادة التى تحكم الطبيعة وتحكم الحياة البشرية كذلك :

للمادة عند الماديين قوانين ثابتة تحكمها هى الترابط والحركة والتطور والتناقص .

١- الترابط فى الطبيعة :

يقول ستالين "إن الديالكتيك لايعتـبر الطبيعـة تراكمـا فرضيـا للأشياء أو حوادث فى بعضها منفصل عن بعض أو أحدهـا مسـتقل عن الآخـر بـل ، يعتـبر الطبيعـة كـلا واحـدا ومتماسـكا ترتبـط فيـه الأشياء والحوادث فيما بينها ارتباطا عضويا ، ويتعلق أحدها بالآخر ويكون بعضها شرطا لبعض بصورة متقابلة .

" لذلك تعتبر الطريقة الديالكتيكية أن أى حادث مـن حـوادث الطبيعة لايمكـن فهمـه إذا نظـر إليـه منفردا بمعـزل عـن الحـوادث

المحيطة به إذ أن أى حادث فى أى ميدان من ميادين الطبيعة يمكن أن ينقلب الى عبث إذا نظر إليه بمعزل عن الشروط التى نكتنفه وعلى العكس يمكن فهم أى حادث من الحوادث وبتريره إذا نظر إليه كما تحدده وتكيفه الحوادث التى تحيط به." (١)

ويلاحظ من كلام ستالين فى تعرضه للميتافيزيقا أن الميتافيزيقا التى كانت عندهم والتى كانوا يواجهونها بالمادية الجدلية – كانت تفترض أن كل شىء من الأشياء قائم بذاته ولاصلة له بغيره من الأشياء وأنه لاترابط فى النظام الكونى بين أجزائه المختلفة .

٢- الحركة فى الطبيعة :

جاء فى كتاب "أصول الفلسفة الماركسية "ومن الطبيعة لايلعب الكون الدور الحاسم رغم أنه موجود وانما تلعب هذا الدور الحركة والتطور والتغير . هذه الحركة ملازمة داخليا للمادة كخاصة جذرية لاتنفصل عنها ولاداعى لوضع السؤال التالى : من أين حصلت المادة على هذه الحركة ؟ لأنها موجودة منذ الأزل ، ولهذا لاداعى للسؤال الذى يقول : من الذى أكسب المادة الحركة ، مادامت لاتنفصل عنها وتعتبر شكلا من اشكال وجودها" (٢)

---

(١) المادية الديالكتيكية والمادية التاريخية صـ١٥ - ١٦

(٢) اصول الفلسفة الماركسية جـ١ صـ٤٩

وجاء فى كتاب أسس المادية الجدلية والمادية التاريخية "ماقيل يعنى انه لايوجد فى العالم ظاهرة واحدة لم تكن نتيجة لحركة الماده وتطورها ، فهى تشمل كل شىء وفى كل مكان يمتد فعلها ولايوجد شىء غير المادة المتحركة المتطورة ومايتولد عنها ولايمكن أن يوجد ، وهذا يعنى انه لايوجد غير عالم مادى واحد ولهذا بالتحديد يشير انجلز إلى ان وحدة العالم تنحصر فى ماديته وبعبارة أخرى أن العالم واحد لأنه مادى" [١]

ويقول ستالين "إن الديالكتيك – خلافا للميتافيزيقيا – لايعتبر الطبيعة حالة سكون وجمود ، حالة ركود واستقرار بل يعتبرها حالة حركة وتغير دائمين ، حالة تجدد وتطور لاينقطعان ففيهما دائما شىء يولد ويتطور ، وشىء ينحل ويضمحل . [٢]

ويستشهد ستالين بقول انجليز "إن الطبيعة من اضأل الأجزاء الى اكبر الأجسام من حبة الرمل الى الشمس الى الانسان هى فى حركة دائمة من النشوء والإضمحلال هى فى مد لاينقطع فى حركة وتغير مستمرين وابديين . [٣]

---

(١) أسس المادية الديالكتيكية والمادية التاريخية صـ٣٤

(٢) المادية الديالكتكية صـ١٦

(٣) المصدر السابق صـ١٧

٣– التطور فى الطبيعة :

يقول ستالين (إن الديالكتيك – خلافـا للميتافيزيقيـا – لايعتبر حركة التطور حركة نمو بسيطة ، لاتؤدى التغيرات الكمية فيها الى تغيرات كيفية ، بل يعتبرها تطورا ينتقل من تغييرات كمية ضئيلة وخفية الى تغييرات ظاهرة واساسية أى الى تغييرات كيفية ، وهذه التغيرات الكيفية ليست تدريجـة بـل هـى سـريعة فجائيـة ، وتحدث بقفزات من حالة إلى أخرى ، وليست هذه التغييرات جائزة الوقـوع ، بل هى ضرورية ، هى نتيجة تراكم تغيرات كمية غير محسوسـة وتدريجية ، ولذلك تعتبر الطريقة الديالكتيكيـة أن مـن الواجـب فهم حركة التطور لامن حيث هى حركة دائرية أو تكرار بسيط للطريق نفسه ، بل من حيث هى حركة تقدميـة صـاعدة وانتقـال مـن الحالـة الكيفية القديمة الى حالة كيفية جديدة ، وتطور ينتقل من البسيط الـى المركب ، من الأدنى إلى الأعلى .) (١)

ويستشهد ستالين بقول انجلز (يمكن القـول إن الكيميـاء هـى علم التغيرات الكيفية الناشئة فى الأجسام عن تغييـرات كميـة وكـان هيجل نفسه يعزف ذلك فى عهده ، ولنـاخذ الأوكسـجين فـاذا جمعنـا فى جزيئة ثلاث ذرات عوضا عن ذرتين كالعادة حصلنا على جسـم جديد هو "الأوزون" الذى يختلف اختلافـا بينـا برائحتـه وبتأثيراتـه

---

(١) المصدر السابق صـ١٨

عن الأوكسجين العادى وماذا نقول عن مختلف تراكيب الأوكسجين مع الاوزون أو مع الكبريت ؟ إن كل تركيب منها يعطى جسما مختلفا من حيث الكيفية عن جميع الأجسام التى تعطيها التراكيب الأخرى .) [١]

٤- التناقض فى الطبيعة :

يقول ستالين (إن نقطة الإبتداء فى الريالكتتيك - خلافا للميتافيزيقيا - هى وجة النظر القائمة على أن كل أشياء الطبيعة وحوادثها تحوى تناقضات داخلية لأن لها جميعها جانباً سلبياً وايجابياً ، ماضياً وحاضراً ، وفينا جميعها عناصر تضمحل أو تتطور ، فنضال هذه المتضادات أى النضال بين القديم والجديد ، بين ما يموت وما يولد ، بين ما يفنى وما يتطور ، هو المحتوى الداخلى لحركة التطور هو المحتوى الداخلى لتحول التغيرات الكمية إلى تغيرات كيفية ، ولذلك تعتبر الطريقة الديالكتيكية أن حركة التطور من الدنى إلى الأعلى لا تجرى بتطور الحوادث تطوراً تدريجياً متناسقاً بل بظهور المتناقضات الملازمة للأشياء والحوادث، بنضال الإتجاهات المضادة التى تعمل على أساس هذه التناقضات) [٢]

---

(١) المصدر السابق صـ٢٠ - ٢١ .

(٢) المصدر السابق صـ٢٢ .

ويقول سبركين وباخوت (فينحصر جوهر قانون وحدة صراع الأضداد فى أن جميع الأشياء والعمليات تلازمها جوانب داخلية متناقضة موجودة فى وحدة لا تنفصم ، وفى صراع مستمر فى نفس الوقت ، وصراع الأضداد هو بالتحديد المصدر الداخلى والقوة المحركة للتطور)[1]

وفى مجال الطبيعة الحية نرى بوضوح دور التناقض الجدلى كمصدر للتطور من لا يعرف أن الأطفال يشبهون الآباء ولكنهم ليسوا نسخة منهم تماماً فالنمطية والجمود مع ذلك لا وجود لهما يرجع هذا أولاً وقبل ل شئ إلى أن قانون الوراثة يعمل إلى جانب نقيضه – قانون التغير – وهو يضمن عدم تشابه وعدم تكرار وتغير كل الأجسام وتطورها والوراثة بدورها تثبت هذه الخواص فى السلالة بخلاف ذلك يمكن أن تختفى التغيرات ، وهكذا يسوق الصراع الأبدى بين القوتين المتضادتين القابلية للتغير والوراثة ، عملية تطور الطبيعة الحية ، ويحدث إختيار طبيعى نتيجة للصراع بين هذين الضدين : تولد القابلية للتغير قسمات جديدة مفيدة ، أما الوراثة فتجمعها فى السلالة ، ونتيجة لذلك تتولد أنواع جديدة من الكائنات الحية وليست القوة الخارجية ولا الرب إنما المتناقضات الداخلية الطبيعية هى المصدر والمحرك الداخلى لعملية تطور الطبيعية الحية)[2]

---

(١) أسس المادية الديالكتيكية والمادية التارخية صـ٧٢

(٢) المصدر السابق صـ٧١ .

(ب) التفسير المادى للتاريخ :

التفسير المادى أو التفسير الإقتصادى من الأسس الذى تقوم عليه الفلسفة الماركسية .

ومعناه : تفسير نشأة الوعى الإنسانى بما يحتويه من إجتماع وسياسة وثقافة وعلم وفن تفسيراً اقتصادياً بحتاً ، فكل هذه الأشكال - طبقاً للتفسير المادى - عبارة عن مردودات ونواتج للأحداث الإقتصادية ، وبالتحديد عوامل الإنتاج[1]

فتغير الأحوال الإقتصادية وتطور علاقات الإنتاج يؤثر وحده على حياة المجتمعات فيعطيها الشكل الإجتماعى السائد ، ونوع العلم والدين والأخلاق وهكذا : كل الإنتاج الثقافى والذهنى فرع عن الحياة الإقتصادية ، وكل التاريخ لهذا يجب أن يكون تاريخ إقتصاد.[2]

وعلى حد تعبير ماركس ليس وجدان الناس هو الذى يعين وجودهم بل وجودهم هو الذى يعين وجدانهم .

١- السيد على شتا : نظرية الإغتراب من منظور علم الإجتماع صـ١٣٣ عالم الكتب بالرياض .

٢- د/ محمد البهى : الفكر الإسلامى الحديث وصلته بالإستعمار الغربى صـ٢٨٠ الناشر مكتبة وهبة الطبعة الثانية عشرة ١٤١١هـ - ١٩٩١م .

ولقد عبر عن هذه النظرية فى مقدمة كتابة " مساهمة فى نقد الإقتصاد السياسى) فقال : (إن الناس أثناء الإنتاج الإجتماعى لحياتهم يقيمون فيما بينهم علاقات معينة ضرورية ، مستقلة عن إرادتهم وتطابق علاقات الإنتاج هذه درجة معينة من تطور قواهم المنتجة المادية ، ومجموع علاقات الإنتاج هذه يؤلف البناء الإقتصادى للمجتمع ، أى الأساس الواقعى الذى يقوم عليه بناء فوقى حقوقى وسياسى وتطابقه أشكال معينة من الوعى الإجتماعى ، إن أسلوب إنتاج الحياة المادية يشترط تفاعل الحياة الإجتماعى والسياسى والفكرى بصورة عامة ، فليس إدراك الناس هو الذى يعين معيشتهم بل على العكس من ذلك معيشتهم الإجتماعية هى التى تعين إدراكهم ، وعندما تبلغ قوى المجتمع المنتجة المادية درجة معينة من تطورها تدخل فى تناقض مع علاقات الإنتاج الموجودة أو مع علاقات الملكية وعندئذ ينفتح عهد الثورة الإجتماعية ، ومع تغير الأساس الإقتصادى يحدث انقلاب فى كل البناء الفوقى الهائل ، هذا الإنقلاب الذى يحدد بدقة العلوم الطبيعية والأشكال الحقوقية ، والسياسية والدينية والفنية والفلسفية)[١] .

وهكذا فعلاقات الإنتاج والقوى الإقتصادية الموجودة فى المجتمع هى التى تفرز الثقافة والعلم والسياسة والإجتماع وغير

١- مصادر الماركسية صـ٢٨ .

ذلك ، ولقد عبر ماركس عن هذه النظرية تعبيراً مختصراً فى كتابة رأس المال فقال (إن التكنولوجية تبرز أسلوب عمل الإنسان تجاه الطبيعة أى العملية المباشرة لإنتاج حياته ، وبالتالى الظروف الإجتماعية كحياته ، والأفكار والمفاهيم الفكرية التى تنجم عن هذه الظروف)[1]

ويرى ماركس أن الذى يحرك التاريخ ويطوره ويفسره أمران هما :-

١- وسائل الإنتاج ، وهى الأدوات التى يستخدمها الناس فى الإنتاج مثل اليد والمنجل والمطرقة ووسائل الصيد ، ووسائل الزراعة فى المراحل الأولى من حياة الإنسان ، وحتى البخار والكهرباء والذرة فهذه الوسائل هى التى تولد الشكل الإجتماعى الذى يعيشه الناس بالإضافة إلى علاقات الإنتاج وهى الملكية الخاصة أو الملكية العامة وطريقة توزيع الثروة .

فهذان الأمران هما اللذان حددا أشكال المجتمعات التى مرت بها الإنسانية بدءاً من المشاعية "الشيوعية" فالعبودية " الملكية " فالإقطاعية فالرأسمالية بتطوراتها المختلفة التجارية والصناعية ، ثم الإشتراكية فالشيوعية .

١- رأس المال جـ١ صـ٢٧ .

فكل هذه الأشكال قد ظهرت كنتيجة لصراعات حول وسائل الإنتاج وعلاقات الإنتاج ، والقوى المنتجة .

وكل مرحلة من هذه المراحل كان لها نظامها السياسى والإجتماعى والدينى والأخلاقى والفكرى النابع من علاقات الإنتاج ووسائل الإنتاج ، وفى هذا يقول ماركس (إن العلاقات الإجتماعية مرتبطة إرتباطاً وثيقاً بالقوى المنتجة ، وعندما يحصل الناس على قوى منتجة جديدة ؛ يغيرون أسلوبهم فى الإنتاج وبتغييرهم أسلوب الإنتاج أى بتغييرهم طرق إكتساب معيشتهم يغيرون كل علاقاتهم الإجتماعية ، فطاحونة الهواء تعطيك مجتمع الحاكم الإقطاعى ، والطاحونة البخارية تعطيك مجتمع الرأسمالى الصناعى فهناك حركة نمو مستمرة فى القوى المنتجة ، وحركة تهديم مستمرة فى العلاقات الإجتماعية ، وحركة مستمرة فى الأفكار وليس من شئ ثابت سوى تجديد الحركة .)[1]

ففى المرحلة الأولى : من حياة الإنسان : وهى مرحلة الشيوعية البدائية ، كان الإنسان يعتمد على يده بالإضافة إلى الوسائل البسيطة الأخرى فى الحصول على طعامه وشرابه من خلال الصيد والقنص من البر والبحر ، وكان كل إنسان يحصل

١- سميح عاطف الزين الإسلام وأيديولوجية الإنسان صـ٥٦ .

على قوت يومه دون زيادة ، فلم يكن هناك فائض فى الإنتاج فكان شكل النظام الإجتماعى هو الشيوعية أو المشاعية التى لا تدع فرصة لإنسان أن يمتلك أى شئ حتى ولا امرأته ، فلم تكن هناك أسرة ولا زواج ولا روابط إجتماعية ولا أديان .

وفى المرحلة الثانية : أخذت المجتمعات الإنسانية طابع الإستقرار فزرعوا الأرض ورعوا الحيوانات مما أدى إلى زيادة الإنتاج عن حاجة الناس ، ولما كان الإنسان لا يميل إلى إنتاج عن حاجة الناس ، ولما كان الإنسان لا يميل إلى إنتاج ما يزيد عن حاجته ولا يبذل من العمل إلا ما يوازى حاجته فقط ، ظهرت قوة إجتماعية جديدة تملكت ما زاد وعن حاجة الناس ودفعت بالمنتجين إلى بذل كل طاقاتهم ، فنشأ النظام الملكى العبودى الذى انقسم إلى طبقتين : سادة تملكوا فائض الإنتاج وعبيد مرغمين على مواصلة الإنتاج ، ونظراً لضرورة اخضاعهم اخترع السادة الأديان ومبادئ الأخلاق وظهر شكل الأسرة والزواج وعن طريق الصراع بين الطبقتيين حول علاقات الإنتاج وشكل الملكية ، تحول المجتمع إلى مرحلة أخرى أخذت طابعاً جديداً .

المرحلة الثالثة : وهى مرحلة الإقطاع حيث تنازل السادة عن بعض أملاكهم ووزعوها على معاونيهم من العبيد ، لأن السادة لاحظوا ضعف الإنتاج ، فظهرت الإقطاعيات التى عمل فيها

الفلاحـون . ثـم حـدث نفـس الصـراع حـول علاقـات الإنتـاج بيـن الفلاحين والإقطاعيين مما فتت النظام الإقطاعى وجعل الإقطـاعيين يـتركون الأرض لكـى يسـتثمروا أموالهـم فـى مجـال آخـر فتحولـت المجتمعات إلى شكل رباع هو :

الرأسمالية : ومن خلالها حاول الرأسماليون أن يستثمروا أموالهم على حساب العمال الذيـن لا يملكـون شـيئاً إلا قوتهـم يبعونها فى مقابل الأجر الضئيـل الـذى لا يـوازى مـا يقومون به من عمل مما أدى إلى تراكم الأمـوال فـى أيـدى الرأسـماليين ، وقـد مكنهـم هـذا مـن تحديـث مصـانعهم وتطويرهـا عـن طريـق اسـتخدام البخـار والآلـة ممـا قضـى علـى المصـانع اليدويـة وتحـول أصحابها إلى أجراء عنـد أصحـاب المصـانع الآليـة ، وقد أدى كل ذلـك إلـى صـراع وتنـاقض بيـن العمـال وبين أصحـاب المصـانع ، بسـبب مـا أسـماه مـاركس باغتراب العمال الذى ظهر فى صورتين :

الأولـى : اغـترابهم مـن نـاتج العمـل حيـث يذهـب كلـه إلـى جيـب الرأسمالى .

والثانية : اغترابهم من العمل نفسه كنشاط لا ينتمون إليه .

وللقضاء على هذا الإغتراب لابد من تغيير البنيان الإجتماعى لهذا المجتمع الذى لا يشعر فيه العامل بالإنتماء .[١]

ومن هنا تنبأ ماركس بحدوث صراعات دموية بين العمال وبين أصحاب المصانع ، سوف تكشف عن ظهور شكل إجتماعى جديد يقوم على أنقاض الرأسمالية بفكرها وإجتماعها وسياستها وأخلاقها ، وهذا الشكل الجديد هو الشيوعية الذى ستتغير فيه علاقات الإنتاج وتتحول إلى ملكية عامة للعمال ، وسوف تولد هذه الحالة الجديدة إنساناً جديداً بفكرة ونظمة وأخلاقة وعلمه وكل ما يشكل وعيه لابد أن ينبع نبعاً جديداً من خلال علاقات الإنتاج الجديدة .

وقد تنبأ ماركس بظهور الثورة الشيوعية فى بلدان العالم المتقدمة من الناحية الصناعية مثل إنجلترا ودول أوروبا .

هذا هو التفسير المادى للتاريخ الذى يقلب الحقائق فيحول المادة والإقتصاد إلى كائن له وعى وله عقل ، يسوق الإنسان أمامه ويحدد له عقله وفكره ووعيه ويدفعه إلى حيث يريد هو بصرف النظر عن إرادة الإنسان الذى تحول فى تفسير ماركس إلى كم يتبع

١- نظرية الإغتراب من منظور علم الإجتماع صـ١٢٥ .

عجله التاريخ ولكن لا يوجهها ولا يتدخل فيها فهو مجرد فقاعة تسلمها موجة إلى موجة أخرى بطريقة حتمية لا مفر منها .

ح: الصراع الطبقى :

أدعى ماركس أن تاريخ البشرية هو تاريخ الصراع الذى تحركه كوامن الحقد النفسى بين الطبقات .

ولهذا نراه يقول فى بيانه الشيوعى (ان تاريخ كل مجتمع إلى يومنا هذا لم يكن سوى تاريخ نضال بين الطبقات ، فالحر والعبد والنبيل والعامى والسيد الإقطاعى والفنى والمعلم والصانع أى بإختصار المضطهدين والمضطتهدين كانوا فى تعارض دائم ، وكانت بينهم حرب مستمرة ، تارة ظاهرة وتارة مستترة ، حرب كانت تنتهى دائماً إما بإنقلاب ثورى يشمل المجتمع بأسره ، وأما بإنهيار الطبقتين المتناضلتين)[١] .

وفى موضع آخر يقول ماركس عن الطبقة الإجتماعية إنها تجمع الأشخاص الذين يؤدون نفس الوظيفة فى عملية الإنتاج فالحر والعبد والسيد والخادم أو بعبارة أخرى المستغل والمستغل هى كلها مسميات لطبقات إجتماعية فى عصور مختلفة [٢]
ولابد من العداء بينها نظراً لتعارض المصالح .

---

(١) راجع البيان الشيوعى :
(٢) مصادر الماركسية صـ٦ .

ولكن ما هو المحرك للثورة الدموية ؟ أو ما هو أساس التركيب الطبقى ؟

يدعى ماركس أن هناك أسساً ثلاثة للتركيب الطبقى :

الأولى : الملكية الخاصة ، يقول لينين (إن كل التاريخ المكتوب حتى أيامنا هذه قد كان تاريخ نظال الطبقات ، وتعاقب سيطرة وانتصارات طبقات إجتماعية على طبقات أخرى ، وهذه الحالة ستدوم مادامت أسس نضال الطبقات والسيطرة الطبقية قائمة أى مادامت الملكية الخاصة) [١] .

الثانى : هو مبدأ العداء وهو ما يمكن أن نستنبطه من تعريف ماركس للطبقة حيث يعرفها بأنها : الطائفة التى تكون لها مصالح معارضة لمصالح طبقة أخرى ، وعلى هذا لابد من فرض العداوة بين الطبقات حتى يقال إنها طبقات وإلا فهى معدومة ولا وجود لها [٢] .

الثالث : المصالح المادية المشتركة : فقد قال ماركس فى كتابة : " بؤس الفلسفة " (إن الصناعات الكبرى تجمع فى مكان واحد جمهوراً من أناس لا يعرفون بعضهم بعضاً

١- مصادر الماركسية صـ٦ .

٢- السرطان الأحمر صـ٣٦ د/ عبد الله عزام .

تفرق مصالحهم ، ولكـن وقاية الأجـرة ، هذه المصلحـة المشـتركة بينهم ضد سيدهم تجمعهم فى فكرة واحدة ، فكرة المقاومة والتحالف ، إن التحالفـات تبـدأ منعزلـة ، ثـم تتـألف فـى جماعـات ويوجـه الرأسمال المجتمع على الدوام ، يغدو حفاظ العمـال علـى اتحاداتهم أهم بنظرهـم مـن وقايـة الأجـرة ، وفـى هـذه النضـال هـذه الحـرب الأهلية الحقيقية تتجمع وتتطور جميع العناصر الضروريـة لمعركـة مقبلة)[1] .

هذه هى الأسس التى تقوم عليها فكـرة التركيب الطبقـى أمـا كيف تتحرك طبقة العمال وتقوم بثورتهـا الدمويـة ، فهـذا مـا يشـير إليه الماركسيون بمبدأ الإثارة وذلك بايغار صدور العمـال بإيهماهم أن المال الذى بيد الرأسمالى هو من حقهم فضلاً عن إثـارة كوامـن الحقد والأنانية .

وفى ذلك يقول انجلز (رسالتنا أن نثير الطبقة العاملة ونمـلأ قلوبها بالحقد والغيظ حتى نستطيع هدم المجتمع بإبادة الطبقات التـى تتراكم عليه)

ويكرر ستالين نفس المعانى التى تعبر عن نفوسهم المريضـة فيقول (تحرير الطبقـة العاملـة وقـف علـى الثـورة المدمـرة ، ولـن

١- الشيوعية والإنسانية صـ١٤٤ .

تثور الطبقة العاملة إلا إذا ملئنا صدورها بالمقت والحقد على الطبقات الأخرى والخوف منها فالمقت والحقد والخوف والضغينة هى بواعث الثورة ووقودها وعندما تبدأ الثورة تلقى فيها بالوقود حتى تلتهم من نباوئنا)

لكن ما هدف الصراع الطبقى ؟

يهدف الشيوعيون من وراء الصراع الطبقى إلى تحقيق هدفين :

أولهما : استيلاء طبقة البروليتاريا على الحكم بعد القضاء على الطبقة البرجوازية كما يقول لينين (إن نضال البروليتاريا ضد البرجوازية يرمى إلى استيلاء البروليتاريا على الحكم السياسى) [١]

ثانيهما : خلق المجتمع اللاطبقى وتحقيق المساواة بين الجميع .

١- مصادر الماركسية صـ٤٨ .

وقفة مع قوانين ماركس ([10])

قبل أن نتعرض للإجابة على هذا السؤال وما يتبعه من دلائل نشير في هذه الصفحات إلى بما قرره ماركس من قوانن جدلية مردفين هذا الأمر بالنقد إن شاء الله تعالى:-

تقوم الماركسية على ركنيين هامين ألا وهما:-

أولا:-المادية الجدلية[11] والتي تعني أن المادة هي كل الوجود وأن مظاهر الوجود على اختلافها نتيجة تطور متصل وتقصد من ذلك أمرين:-

---

[10] يرجع كارل ماركس في نشاته لأبويين يهوديين نشأبالمانيا التحق كارل بجامعة بون ثم برلين وحصل على الدكتوراه عام ١٨٤١ م ثم سافر الى باريس وهناك التقى بانجلز ثم غادرها إلى باريس منفيا الى بروكسل ثم عاد إلى لندن حيث الف كتابه الشهير راس المال وساعد على ثورة أوربا عام ١٨٤٨م ثم كانت وفاته سنة ١٨٨٣ م راجع مختارات لنيين ج١ ص ٢٨ وما بعدها ٠

أولهما :- دراسة قوانيين الكون التى تشترك فيها جميع جوانب الواقع من طبيعية فيزائية ٠٠٠٠٠مارة بالطبيعة الحية وبالمجتمع ،وقد ألب زعماء الماركسية طبقة العمال ضد أصحاب المنافع المختلفة من أجل تغيير المجتمع ومن هنا يقول لينين (يجب علينا أن نحارب هذه الفلسفة القديمة العزيزة على قلب البرجوازية ولابد من النضال وهذا ليس شيئا ثانويا بالنسبة للعمال بل مسألة حياة أو موت لانهم لن يتحرروا من الاضطهاد الطبقى إلا إذا كانت لديهم فلسفة عن العالم تمنكهم من تغييره فعلا ، ذلك أن البرجوازية تحاول أن تنسى الناس أن سيطرتها ترتكز على استغلال قوى العمل ولذلك فهى تحتاج دائما إلى الكذب لدوام هذا الاستغلال بينما تحتاج الطبقة المستغلة إلى الحقيقة للقضاء على هــذا الاستغلال فهى فى حاجة إلى نظرة صادقة عن العالم تساعدها على اتمام مهمتها على أكمل وجه وهذه النظرة إلى العالم وجها لوجه هى المادية كما أن النظـرة

---

[١١]راجع المعجم الفلسفى ٢٩٨

إلى العالم وتطوره الواقعى هى الجدلية فإذا أراد العمال أن يقهروا البرجوازية فلابد لهم من حزب ثورى مطلع على قوانيين المجتمعات .[١٢]

ثانيهما :- النظرة العلمية الماركسية للعالم و التى تقرر أن الكون حقيقة مادية والانسان ليس غريبا على هذه الحقيقة وأنه يمكنه معرفتها ومن ثم تغيرها كما تدل على ذلك النتائج العلمية التى توصلت إليها مختلف العلوم .[١٣]

وأما المادية التاريخية فتعنى أن نمو الحياة الإنسانية فردية أو اجتماعية يتوقف كله على الظروف المادية والاقتصادية وأن نوع الإنتاج فى الحياة المادية شرط تطور الحياة الاجتماعية والسياسية والعقلية وهى تسعى لتفسير التاريخ

---

[١٢] راجع الفكر الماركسى فى ميزان الاسلام ص٤٦ .

[١٣] اصول الفلسفة الماركسية جورج بولينزز ت شعبان بركات ص ٨ وما بعدها ط بيروت .

بالقوانين التجريدية ولذلك فهى التطبيق لمبادئ المادية الجدلية على تطور المجتمع ٠[١٤]

وخلاصة ما تقف عليه الماركسية المادية إبعاذ الناس عن الدين فذاك الشرط الوحيد لتحقيق السعادة الحقيقية للمرء فى الحياة ويقول انجلز :تكمن أصول الديانة فى النظريات المحدودة الجاهلية التى تتشأفى حالة الهمجية ٠[١٥]

وقد رتب ماركس على فلسفته لتاريخية والجدلية ما يسمى **بنظرية فائض القيمة ٠ فالعمل الإنسانى فى نظره هو مصدر قيم الاشياء أو مصدر ثراء ومقياس لكل القيم ٠ وقد ربط ماركس هذه النظرية بالمنفعة المادية فإذا كان الجهد البشرى هو القوة الوحيدة القادرة على خلق القيمة

---

[١٤]المعجم الفلسفى ص ١ [١٤]موسوعة الفلسفة ج٢ ص٢٤٠ واصول الفلسفة الماركسية ج١ ص ٢٤٢ ٠
٤٦ ٠

[١٥]موسوعة الفلسفة ج٢ ص٢٤٠ واصول الفلسفة الماركسية ج ١ ص ٢٤٢ ٠

فمنفعة أى شئ تتوقف على على مقدار العمل اللازم له فإذا
كان للشئ قيمة تبادلية فذلك لأن العمل الذى بذل فى انتاجه
جعله نافعا صالحا للاستعمال ومقياس القيمة يتوقف على
على مقدار العمل المطلوب للشئ فالشى النافع إذن لايكتسب
قيمته من إلا من العمل الإنساني الذى استنفد منفعَتِه
ومادام العمل هو الذى ينتج الثروة فللعمال الحق فى أن
يستولوا على كل ما ينتجه العمل ولكن الملاحظ أن
العامل يأخذ أقل مما يستحقه فى خلق قيمة الأشياء
فالرأسمالي فى النظام الاقتصادى الحاضر يشترى من
العامل قوة عمله وهى كسائر السلع الأخرى تحدد قيمتها
بكمية العمل اللازم لإنتاج ما يحتاج إليه العامل ليعيش عيشة
الكفاف.ثم يستخدم الرأسمالي قوة العامل التى اشتراها على
هذا النحو ليحصل على قيمة أكبر وذلك باستغلالها اسوأ
استغلال وبتشغيلها وقتا أطول ومن الفرق بين القيمتين
يحصل الرأسمالي على ربح وفير وهذا الفرق هو ما يسميه

ماركس بفائض القيمة وهذا الفائض ينتج إذن مَن استخدام رأس المال فى توظيف العمال .[١٦]

*ونمضى مع انجلز ليوضح لنا الأمر فيرى أن الرأسمالي يدفع للعامل أجره أسبوعيا مثلا فإنه يشترى بذلك حق استغلال عمل العامل لمدة أسبوع ويبدا الرأسمالي فى تشغيل العامل لمدة ثلاثة أيام بفورها ينتهى منا أوله الأول من منفعة وبقية الأسبوع لاخيار للعامل من ترك العمل فقد عمل مقابل الأسبوع كاملا وإن انجز عمله فى يومين أو ثلاثة فبقية الأسبوع يأكلها كمنفعة صاحب العمل فإنه يستمر فى العمل كما علمنا وفائض العمل هذا الذى يؤديه العامل بالإضافة إلى الوقت الضرورى اللازم لتغطية أجره هو مصدر فائض القيمة أو الربح الذى يحصل عليه رأس المال الذى يتخضم بصفة مستمرة فالعامل أضعف ما يكون فى المجتمع الرأسمالي عرضة للخداع والغش فلا يتقاضى أجره كاملا

---

[١٦] المذاهب السياسية د/ مصطفى الخشاب ص ١١٦

٠٠٠٠٠ومن هنا فالعمال أشبه العبيد ورقيق الأرض فى نظر ماركس ولاخيار إلا بالقضاء على النظام الملكى وإعلان الشيوعية ٠

موقف الماركسية من الدين :

يقول المؤلفون فى الصلة بين الشيوعية والدين (.... بين الشيوعية والدين عداوة شديدة ، وحرب لا هوادة فيها ولا مهادنة ، وهذا أمر طبيقى ، فإن الشيوعية نظام مادى يستمد فكرته من نظرية فلسفية ملحدة تزعم أن كل ما يقع فى التاريخ من حركات فإن مرجعه إلى الأسباب الإقتصادية ولا مرجع له غيرها ، ومادامت الأسباب الإقتصادية ، دون غيرها ، هى التى تملى على التاريخ حركته وتسيره حيث تشاء فلا مجال هناك للإعتراف بإله خالق أو قوة وراء الغيب توجه البشر إلى مصائرهم بقدرة وإرادة)[1] .

ويقول الشيخ محمد الغزالى (يعتقد الشيوعيون أن الحياة الإنسانية على ظهر الأرض هى الوجود البشرى كله ، وأنه كما جاء الإنسان من عدم فهو صائر إلى عدم . وأن فترة الإحساس من المهد إلى اللحد هى وجدها فترة العمل والجزاء ، ثم يتحول الكيان الآدمى كله إلى ذرات أخرى متلاشياً إلى غيره عودة . ويتبع هذه العقيدة أنه لا ألوهية بتاتاً ، وبالتالى فلا توراة ولا أنجيل ولا قرآن ، وليست هناك تعاليم تصح نسبتها إلى السماء ، ومن ثم فالوحى كله

١- الإسلام فى وجه الزحف الأحمر صـ٥٣ للشيخ محمد الغزالى منشورات المكتبة العصرية ، بيروت ، صيدا ، سنة ١٩٦٦م القاهرة .

خرافة لا أصل لها ، والأنبيـاء عصابـة مـن الكذبـة ..، وليس لهذا الوجود صاحب ولا مَن ورائه هدف ، لقد تخلق تلقائياً ومضى إلى مستقبله المجهول عشوائى الخطأ معدوم الوجهة) [١]

لكن كيف يقـوم المجتمـع البشرى ، وكيـف يتعـامل ابنـاؤه ؟ يقول الشيوعيون : (لقد نظرنا إلى تاريخ العالم من قديم فوجدنا أنه شقى بإنقسام الناس إلى ملاك متسلطين وعمال ، وفلاحين متعبين . والخطة المثلى فى هذا العالم الذى لا رب له ولا غايـة ينتهى إليها أن يحظر مبدأ التملك الفردى . فكل شئ فى الحيـاة يملكـه المجتمـع العـام ، والنـاس جميعـاً أجراء فـى هذا المجتمـع يـأكلون بقدر مـا يعملون ، وكما لا يملك أحد الهـواء والضيـاء يجب أن يولد البشر ويحيوا وهم شركاء متساوون فى سائر المرافق لا ميزة لأحـد على أحد ..) [٢]

ثم يقـول الشـيخ محمـد الغزالـى (وإيا مـا كـان الأمـر فقـد تواترت التصريحات على أفواه زعماء الشيوعية كلهم أن الدين لا مكان له فى العالم الذى يبنونـه ، وأن الأوليـن إذا كـانوا مـن الغبـاء بحيث قبلوه فإن التقدم العلمى جدير فى هذا العصر بـأن يـأتى عليـه من القواعد .. فالدين يحارب أولاً لأنه خرافة تستحق الزوال) [٣] .

١- المصدر السابق صـ٢٣ .
٢- المصدر السابق صـ٢٣-٢٤ .
٣- المصدر السابق صـ٢٥ .

ويقول الرئيس الراحل جمال عبد الناصر عن الشيوعيين (قد كفروا بالدين لأن الدين فى عرف الشيوعية خرافة) [١] .

وحينما يقول الإنسان بأن الشيوعية إلحاد وكفر فإنما يعبر عن رأى ماركس ، وانجلز ، ولينين ، وستالين ، وزعماء الشيوعية جميعاً) [٢]

لقد شارك ماركس فى موجة الإلحاد العارمة التى تتابعت على البشرية فى القرن التاسع عشر لتقتلع الإيمان من قلوب معتنقية فأخرج فى عام ١٨٤٨م مع صديقه انجلز "المابقستور" الذى أصبح فيما بعد دستور الحزب الشيوعى . وفى هذا الدستور أعلن ماركس عن موقف الشيوعيين من الديانات جملة فقال (إنه الأفيون الذى يحذر الشعب لتسهل سرقته ، وأن الدين كان وسيلة الإخضاع الروحى ، كما كانت الدولة وسيلة الإخضاع الإقتصادى) [٣]

١- حقيقة الشيوعية صـ٥ ، تقديم جمال عبد الناصر ، تأليف على أدهم ، الناشر المكتب المصرى الحديث .

٢- الإسلام والشيوعية صـ٣١ ، للدكتور عبد الحليم محمود ، دار التراث العربى للنشر والتوزيع .

٣- المذاهب المعاصرة وموقف الإسلام منها صـ١٤٤ - صـ١٤٥ للدكتور عبد الرحمن عميرة ، دار الجيل بيروت الطبعة الثالثة ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥ .

ويقول لينين (نحن لا نؤمن بوجود إله) ويقول أيضاً (ليس صحيحاً أن الله هو الذى ينظم الأكوان إنما الصحيح هو أن الله فكرة خرافية اختلقها الإنسان ليبرر عجزه ، ولهذا فإن كل شخص يدافع عن فكرة الله إنما هو شخص جاهل وعاجز) [١]

ويقول أيضاً (إن كل فكرة دينية ، وكل معتقد بالله ، لا بل إن مجرد التفكير بالله دناءة كامنة فى النفس) [٢]

ونشرت صحيفة " سوفتسكيا برافدا " عام ١٩٥٤م (أن الإعتقاد بالله هو تراث القدامى الجهلة) [٣]

ونشرت عام ١٩٥٨ (أن واجبنا يقضى بأن نوجه حملة كفاح عقائدى صحيحة ضد الدين) .

وقد أذاعت محطة إذاعة موسكو فى ٣ نيسان ١٩٥٨م ما نصه (إن جميع الديانات متشابهة من حيث أنها كلها باطلة ، كما أن وجود الميول والإتجاهات المختلفة جعل الواحدة منها تطرد الأخرى) [٤]

١- فتحى يكن : حركات ومذاهب فى ميزان الإسلام صـ١٥ ، مؤسسة الرسالة الطبعة السابعة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .

٢- المصدر السابق صـ١٦ .

٣- المصدر السابق صـ١٦ .

٤- المصدر السابق صـ١٦ .

ويقول " كارل ماركس " (أما ما وجه للشيوعية من تهم دينية وفلسفية وأخلاقية فلا يستحق بحثاً عميقاً)
عجباً إن الشيوعية متهمة بإنكار الله والرسل والحلال والحرام والبعث والجزاء ، فهل هذه القضايا كلها لا تستحق بحثاً عميقاً ؟ ذاك ما يراه ماركس .

ما الذى يستحق إذن عمق البحث ؟ لقمة الخبز فقط . أكل ما يتصل بالإنسانية الرفيعة تلقاه بقلة الإكتراث وهز الرأس ، ولا يشد إنتباهنا فقط إلا رغيف الخبز .

ثم يمضى ماركس قائلاً ' هل يخفى على ذى بصيرة أن آراء الناس ومداركهم ومشاعرهم كلها تتغير بتغير أحوالهم المادية وعلاقاتهم الإجتماعية ، ونظام معيشتهم ؟) [١]

ثم يرد الشيخ محمد الغزالى على هذا الهراء الباطل بقوله (نقول هذا باطل ، فإن الإنسان قد يتغير تقديره لبعض الأمور أو إحساسه بها لتفاوت ظروفه النفسية أو الفكرية أو البدنية ، أما أن جميع الحقائق تتبع - تصوراً أو تصديقاً - الأحوال الإقتصادية فكلام فارغ .. فكم من حقائق صلبة لا يغيرها اليسر والعسر ، ولا الذكاء والغباء . [٢]

١- الإسلام فى وجه الزحف الأحمر صـ٣١ للشيخ محمد الغزالى .
٢- المصدر السابق صـ٣٢ .

ولكن ماركس يمضى فى لغوه فيقول (وهل من شئ أكثر وضوحاً فى تاريخ تطور الأفكار من أن الإنتاج الفكرى يتغير فى نوعه بنسبه تغير الإنتاج المادى .

" إن الآراء التى سادت فى كل عصر كانت دائماً آراء الطبقة الحاكمة فعندما كان العالم القديم يلفظ أنفاسه الأخيرة أخذت الديانات القديمة تنهار أمام المسيحية .

" وبمثل ذلك إنهارت الآراء المسيحية أمام حرية الفكر وحرية الضمير فى القرن الثامن عشر عندما أسفرت المعركة الأخيرة بين المجتمع الإقطاعى والبورجوازية الثائرة عن القضاء على العهد الإقطاعى " (١)

يقال رداً على ذلك : إن الآراء الدينية والأخلاق والفلسفة قد تغيرت كلها بلاشك خلال التطور التاريخى . ولكن لا يزال توجد ديانة وإخلاق وفلسفة وعلوم سياسية وقانون ، وهناك فوق ذلك عناصر أزلية للحقيقة مشتركة بين جميع أطوار المجتمع كالحرية والعدالة وغيرها ولكن الشيوعية تزيد القضاء على الدين والأخلاق بدلاً من إقامتهما جميعاً على أساس جديد فهى لذلك تخالف جميع السنن التاريخية السابقة " (٢)

١- المصدر السابق صـ٣٢ .

٢- نفس المصدر السابق صـ٣٢ .

ويسمع ماركس هذا الإعتراض الصادق ثم يراوغ ، بل يفرض الإجابة عليه ويقول فى صفاقة واستهزاء .

" إن تاريخ المجتمع فى جميع أطواره السابقة إنما هو تاريخ تطور النضال الطائفى ، ذلك النضال الذى اتخذ أشكالاً لا مختلفة فى العصور الأولى ، ولكن مهما إختلفت هذه الأشكال فإن حقيقة واحدة كانت عاملاً مشتركاً بين جميع العصور التى ظهرت فيها هى استغلال جزء من المجتمع للجزء الآخر .

فلا عجب إذا كان الوعى الإجتماعى فى العصور الماضية ، رغم تعدد صوره ومظاهره ، قد سار دائماً داخل نطاق مشترك وعلى أساس قضايا معينة لا يمكن زوالها جملة إلا بزوال النظام الطائفى نهائياً .

ويستطر " كارل ماركس " فيقول (إن الثورة الشيوعية هى أنجع استئصال لعلاقات الملكية التقليدية ، فلا عجب إذا كان تطورها يقتضى قطع كل صلة بالآراء التقليدية) .

ويقول الشيخ عمر السكندرى رداً على هذا اللغو (لقد بدأ " المانفستو " المحاجة فى هذا الإعتراض كما رأينا بقوله أنه " لا يستحق بحثاً عميقاً " فهل إنكار الأديان لا يستحق بحثاً عميقاً إن

ردنا على ذلك : أن هذا الكلام هو الذى لا يستحق بحثاً عميقاً أين برهانكم المادى معشر الشيوعيين على أن لا حقيقة للأديان وأنها جميعاً من وضع البشر .

لقد قيل عنكم بنص كلامكم ، إنكم تريدون القضاء على الدين والأخلاق ، فكان جوابكم على ذلك " وما قيمة هذه الإعتراضات " وتعودون إلى الكلام عن تطور النضال الطائفى واستغلال جزء من المجتمع للجزء الآخر . إن هذا فرار مكشوف من مواجهة الحق والسير معه .

والحقيقة أن كفر الشيوعيين بالله ليس إلا ترديد الزيغ بعض القدماء الذين قالوا : إن هى إلا أرحام تدفع وأرض تبلع وما يهلكنا إلا الدهر ، والشيوعيون لم يأتوا بدليل جديد لهذا الباطل القديم ، ولم يثبت قط فى معامل الكيماويين ولا فى مراصد الفلكين أن الدين خرافة . بل الراسخون فى العلوم الحديثة يؤكدون إنبثاق العالم عن رب بديع حكيم مقتدر قيوم .

والجديد الذى وسع به الشيوعيون ميدان الإلحاد هو استغلال الإضطراب الإقتصادى لإنكار الألوهية ، واستغلال إنحراف بعض رجال الدين لإنكار الدين نفسه .

مع أن الإسلام ندد بهذه الآفات وعمل على إزالتها وهو يقيم الدين الحق ، وذلك فى قول الله جل شأنه " يا أيها الذين آمنوا إن كثيراً من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله ، والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم "[١]

وشئ آخر إبتدعه الشيوعيون لدعم الإلحاد .. وهو إثارة الحقد الطبقى ثم استغلال سلطة الدولة فى فرض الكفر بالسلاح .[٢]

ويؤكد الباحثون أن معارضة الشيوعية للدين قد جاء بوصفها عقيدة أو دينا يحل محل الأديان القديمة ويحتقرها ويناهضها بالدعوة إلى الإلحاد والمادية التى تنكر الله تبارك وتعالى ورسالات السماء. وقد شن الشيوعيون على الأديان حرباً عواناً لا هوادة فيها ، واعتبروا الشيوعية دينا ، ولنين وستالين أنبياء ، بدلاً من موسى وعيسى ، وكتاب رأس المال كتابهم المقدس البديل عن التوراة والأنجيل .[٣]

١- سورة التوبة آية ٣٤ .

٢- الإسلام فى وده الزحف الأحمر صـ٣٤ .

٣- أنور الجندى : هزيمة الشيوعية فى العالم الإسلامى صـ٨٤ ، دار الإعتصام .

ونرى " ماركس يتحدث عن المسيحية على النحو الذى عرفها به من تفسيرات الرهبان والأحبار فى الغرب ، وهو ما ليس صحيحاً بالنسبة للدين المنزل الذى جاء به عيسى عليه السلام " مصدقاً لما بين يديه من التوراة " " ورسولاً إلى بنى إسرائيل " " ومبشر ابرسول يأتى من بعدى اسمه أحمد "

فيقول (إن المسيحية تفرض الجبن وإحتقار النفس وإذلالها وتحبذ الخضوع والخسة وكل صفات الكلب الطريد وأن أصحاب المصالح قد استغلوا المسيحية كلما وجدوا لهم مصلحة فى استغلالها فجعلوها دين الدولة بعد قرنين ونصف من ظهورها ، وجاء البرجوازيون فى المانيا فابتدعوا البروتستانتية ولم يستفيدوا منها نضعيفهم فاستفاد منها الملوك المطلقون وأنها رفعت عنهم سلطان الكنيسة والدين جملة ما هو الغذاء الخادع لأنه يدعوهم إلى إحتمال المظالم ولا يزيلها) [1]

وهكذا قامت الشيوعية ، وتقوم فى كل مكان على أساس طرح فكرة الأديان وما تدعو إليه ، وهذا الأساس لا يمكن أن يدوم طويلاً ، فالإنسان بطبعة وبضعفه ميال إلى الخضوع لقوة فوق قوته ، وهو نفسه من مادة وروح لا يمكن أن تبقى روحه طويلاً بلا

١- المصدر السابق صـ٨٥ - ٨٦ .

غذاء وبلا نزوع إلى ما يقويها ويدلل على وجودها ، ومهما غالى الإنسان فى إنكار الإله ومجد الروحانية والأخلاق والمثل العليا المستمرة منها مهما بالغ الإنسان فى ذلك فإنه لا يلبث أن يعود إلى مكانه الطبيعى من هذه الحياة فى ظلال المادة والروح معاً .

ولقد رأينا فلاسفة كثيرين يجحدون ثم يؤمنون ، ورأينا المادة تطغى على التفكير البشرى فى أوروبا ردحاً من الزمن ثم يعودون إلى حظيرة الإيمان ، يقول تولستوى الفيلسوف الروسى الكبير " لقد نبذت تلك العقائد فى أول الأمر ووجدتها عديمة المعنى ، ثم قبلتها الآن وألفيتها مليئة بالمعانى وذلك لأنى كنت مخطئاً وأدركت سبب الخطأ وهذا السبب ليس ناشئاً عن تفكيرى السئ فحسب بل لأنى عشت فى بيئة سيئة وذلك أشد السببين خطأ ما الحياة وما الموت ؟ إننى لا أعيش إذا فقدت العقيدة فى وجود الله ولولا أننى كنت أتعلق بأمل غامض فى وجود الله لقتلت نفسى من زمان بعيد ، إننى أحيا وأحيا حقيقة – حينما أحس به وأبحث عنه فقط ، ويصبح من داخلى صوت يقول : عن أى شئ تبحث بعد هذا هو ... إنه ذلك الذى لا يستطيع المرء بدونه أن يعيش إنه الله وعندما إعتقدت فى وجود الله أعتقدت فى الكمال الخلقى وفى التقاليد التى تحمل معنى الحياة.[1]

١- الإسلام والشيوعية للدكتور عبد المنعم النمر صـ٦٣ - ٦٤ .

وهذا الذى قاله الفيلسوف الروسى العظيم هو أصدق تعبير عن حاجة النفوس الملحة إلى الإيمان بالله وعن السحر العظيم الذى يفعله الإيمان بهذه النفوس ، ثم هو أبلغ مقال يصور أدق تصوير ما تحبسن به نفوس المؤمنين نحو خالقهم وخالق الكون الله .

حاجة النفوس الملحة الى الدين : هذا هو ماحاول الشيوعيون القضاء فلم يستطيعوا لأنهم يحاربون الطبيعة الراسخة فى النفس منذ وجودها ، ولهذا وجدناهم بعد حملتهم الجبارة على الدين ورجاله وبعد عملية التطهير التى قاموا بها لكل مايتصل بالدين من مظاهر وجدناهم ينحنون طوعا أوكرها لهاتف الخلود فى النفس ، ينحنون للصوت الأزلى المستقر فى أعماق النفوس ، ويسمحون للمظاهر الدينية أن تتنفس وأن تخضع لها بعض مراسم الحياة فى روسيا . (١)

وهكذا نجد أن ماركس مع الأسف كان ضيق الأفق الفكرى وأنه لم يكن بين يديه أبعاد المجتمعات أو الفكر الدينى الحقيقى أو وقائع التاريخ الصحيحة ، وهو يضع نظريته كعالم أو أنه إنما كان يستهدف وضع نظرية بفكرة مسبقة ، ولذلك فان 'اتباع الظن وماتهوى الأنفس' مزق نظريته بعد سنوات قليلة وأحالها الى ركام

---

(١) المصدر السابق صـ٦٤

حتى جاء من الماركسيين من يضرب اعتـى قواعدها ، وهو قوله أن الدين أفيون الشعوب' حينما قال جارودى فى دراسته للحضـارة الاسلامية .

" وهكذا لم يكن الدين (أى الاسلام) أفيونا يشل المناضلين بل كان بالعكس حافزا يلهمهم القتال والبطولة ، وكان أحد دوافـع الحركة الوطنية وحين يعنى الماركس بموضوع الدين فى الظـروف التاريخية المحـدودة ويعرف كيف يرى أنه ليس فحسب وسيلة للتغير عن العالم بل هو كذلك وسيلة للحضور فى هذا العالم ." (١)

"وإن المتأمل فـى الدور الذى يلعبه الدين وبخاصة الدين الإسلامى فى حركات التحرر الوطنى يقود غير المؤمنين فى الواقع الى إعادة التفكير بروح العصر فى مشكلة طبيعة االدين ودوره فـى عصرنا ونقطة الإنطلاق فى هذا التفكير هى أن الصيغة المشهورة (الدين افيون الشعوب) والتى كثيرا مايزعم البعض أنها خلاصة المفهوم الماركسى عن الدين لايمكن تفسيرها بأنها تعريف للدين ، لقد كانت هذه الصيغة ملخص خبرة واقعية فى مرحلة تاريخية محدودة ومجال جغرافى محدد ، ومن ثم فإن القضية القائلة إن الدين فى كل الأزمنة وكل الأمكنة يصرف الإنسان عن النضال

---

(١) هزيمة الشيوعية فى عالم الاسلام صـ٩٠

وعن العمل تتناقض تناقضا صارما ، مع الواقع التاريخى ، وتزودنا حركات التحرير للشعوب المقهورة فى عصرنا بشواهد تؤكد : أن الظاهرة الدينية لايمكن دراستها بمعزل عن الظروف التاريخية فى كل بلد وعصر . فلقد لعبت الحركات الدينية دورا تحريريا ضد الإستعمار ، وأن الارهاصات الأولى ، للنضال الوطنى كانت باسم الله قبل أن تكون باسم الوطن .

ولقد كان الإنتماء الى الإسلام فى الجزائر فى القرنن التاسع عشر بمثابة احتجاج ضد السيطرةالإستعمارية وذلك بالرغم من طبيعتها المثالية والإصلاحية التى تربط بين التحرير والتعليم على أن الاسلام بعيد كل البعد عن قيادة الإنسان بالضرورة الى القدرية وأللامبالاة بالحياة بل فى امكانه أن يكون خميرة للقتال والنضال"(١)

---

(١) الأهرام ٢٥ نوفمبر ١٩٦٩

الماركسية والأخلاق :

لاريب ان موقف الماركسية من الدين يستتبعه موقفها من الأخلاق فهى تدعوا الى أخلاقية المجتمعات ، وتؤمن بالأنتهازية سبيلا لفرض مواقعها وأهدافها ، وقد أنكر المذهب الشيوعى كل التراث الخلقى الذى توارثته الانسانية منذ أقدم العصور ، وانكر جميع التعاليم الخلقية التى أوصت بها الأديان .

يقول " هارولد كوكس" فى كتابه "الحرية الاقتصادية" (ليس فى تعاليم الشيوعية شىء مثالى أو رفيع إنها تستنصر جميع النزوات وجميع الرزائل كالحسد والغيره والشهوة ، هى تشجع أو على القل تجيز الإتلاف والشطط والخلاعة والأيذاء ، إن غايتها السلب والنهب) [١]

ويقول فيلسوف الشيوعية انجلز (إن كل القيم الأخلاقية هى فى تحليلها الأخير من خلق الظروف الإقتصادية . [٢]

فالتاريخ الانسانى هو تاريخ حروب الطبقات التى امتص فيها البورجوازيون دماء الفقراء ، وقد كانت الغاية من وضع الدين والأسس الأخلاقية حماية حقوق البورجوازيين .

---

(١) الاسلام والشيوعية صـ٣٣ د/ عبد الحليم محمود

(٢) الاسلام يتحدى صـ٣٩ ، وحيد الدين خان

ويقول البيان الشيوعى (إن الدستور والأخلاق والدين كلها خدعة البورجوازية وهى تستتر وراءها من أجل مطامعها .) [١]

ويقول لينين فى خطاب ألقاه فى المؤتمر الثالث لمنظمة الشباب الشيوعى فى اكتوبر سنة ١٩٢٠ : (إننا لانؤمن بالإله ، ونحن نعرف كل المعرفة أن أرباب الكنيسة والاقطاعيين والبورجوازيين لايخاطبوننا باسم الإله إلا استغلالا ، ومحافظة على مصالحهم ، اننا ننكر بشدة جميع هذه الأسس الأخلاقية التى صدرت عن طاقات وراء الطبيعة ، غير الانسان ، والتى لاتتفق ممع افكارنا الطبقية ، وتؤكد إن كل هذا مكر وخداع ، وهو ستار على عقول الفلاحين والعمال لصالح الاستعمال والاقطاع ، وتعلن أن نظامنا لايتبع إلا ثمرة النضال البروليتارى ، فمبدأ جميع نظمنا الأخلاقيه هو الحفاظ على الجهود الطبقية البروليتارية) [٢]

ثم يواصل (لينين) خطابه فيقول (ونحن ننكر كل اخلاق لايكون مصدرها المدارك الانسانية ونجاهر بأنها جميعا مجرد غش وخداع وكبت لعقول الفلاحين) وإن القوة التى تسيطر على اخلاقنا هى مصلحة طائفتنا ، فدستور أخلاقنا مستجد من حركة كفاحنا العماليه .

---

(١) المصدر نفسه صـ٣٩

(٢) المصدر نفسه صـ٤٠

لقد كان المجتمع القديم قائما على اساس ظلم الملاك والرأسماليين للعمال والفلاحين ، لذلك وجب علينا نسف هذا الاساس ، ولكى يتسنى لنا ذلك لابد لنا من الاتحاد وأن نوجد هذا الاتحاد بأيدينا فإن الله لن يخلقه إنما الذى يستطيع خلقه هم "البروليتاريا وحدهم" الى أن قال "من ذلك ترون ان كفاحنا لم ينتهى بعد ، ومن هنا نشأت الحاجة الى النظام الحكم الذى نسميه "الديكتاتورية العمالية" التى لابد منها لمنع عودة الإستغلاليين القدامى وتوحيد صفوف تلك الجموع المبعثره من الفلاحين الجهلاء.

"وإذا كان كفاحنا الطائفى لايزال قائما ، فواجبنا الأول هو أن تخضع لمستلزمات هذا الكفاح كل شىء عندنا وفى ذلك أخلاقنا الشيوعيه .

" فالأخلاق عندنا أن نعمل على كل مايساعد على هدم المجتمع الاستغلالى القديم وجمع كل صفوف الأيادى العامله حول البروليتاريا القائمة بإنشاء المجتمع الشيوعى الجديد ... يتكلم الناس أمامنا عن مبادىء الأخلاق فنقول لهم : إن الاخلاق عندنا معشر الشيوعيين ليست سوى النظام الموحد والتكتل اليقظ لمكافحة الإستغلاليين .

" نحن لانعتقد فى الأخلاق الأزلية ، ونعد كل الأقاصيص الخرافية التى ترمى إلى غرض أخلاقى قولاً هراء ولانعرف الأخلاق إلا بصفتها عونا للمجتمع على الرفع من مستواه والقضاء على كل عمل إستغلالى .

" لذلك لاتكون تربية النشىء الشيوعى بالقاء دروس الوعظ والخطب الأخلاقية بل باشراكهم فى الميدان العملى القائم لتشييد وتدعيم صرح الشيوعية " (١)

ومما يتصل بالأخلاق أسلوبهم فى الجدل ، إنه ليس أسلوب :

" وجادلهم بالتى هى أحسن " وإنما هو أسلوب يصفه الأستاذ "لافالى" فيحسن وصفه حينما يقول "إن لهجة التهيج والحقد التى يكتب بها الشيوعيون تهاريجهم الطنانة لأشبه شىء بنغمة الموت عند أكلة لحوم البشر ." (٢)

والشيوعيون يكرهون أسمى الفضائل الإنسانية : الرحمة والشفقة ، العطف ، حب الجار ، وتأمل معى الآن مايقوله لسانهم الرسمى : " نحن نكره المسيحية والمسيحيين ، وحتى أحسن المسيحيين خلقا نعده شر أعدائنا ، وهم يبشرون بحب الجيران والعطف والرحمة وهذا يخالف مبادئنا والحب المسيحى عقبه فى سبيل تقدم الثورة فليسقط حبنا لجيراننا ، فإن مانريده هو الكراهية والعداوة ، وحينذاك نستطيع غزوا العالم " .

---

(١) المصدر نفسه صـ٣٩

(٢) الاسلامم فى وجه الزحف الاحمر للشيخ محمد الغزالى صـ٤٧ ، ٤٨

نـــداء الفطرة

تشـــهد الخلقة والجبلة التى فطر الله الناس عليها بوجود خـــالق مدبر لهذا الكو ن ،وجاء الذكر الحكيم ليعلن ان كـــل مولود يُولَدُ علـــى الفِطْرة التـــي فَطَرَ الله علـــيها بنـــــي آدم حيـــن أخـــرجهم مـــن صُلْب آدم، كما قال تعـــالـــى: وإِذ أخـــذ ربُـــكَ من بنـــي آدم من ظهورهم ذُرّياتهم وأشهدهم علـــى أنفسهم ألَسْتُ بربكم قالوا بَلـــى . روى حديـــثَ أبـــــي هريـــرة، رضي الله عنه، عن النبي صـــلى الله علـــيه وسلم (كلُّ مولودٍ يُولد علـــى الفطـــرة ٠٠٠٠٠)ومن ذلك أن الأصمعي سأل قائلاله بمـــا عرفـــت ربـــك ؟فجاب (البعرة تدل على البعير والأثر يدل على المسير ليل داج ونهار ساج وسماء ذات أبـــراج وأرض ذات فجاج ألا تدلُ على الصانع الخبير !!وكذلـــك نطق لسان الفطرة على ألسنة الملحدين إيماناً واعـــترافاً بوجـــود الله عز وجل يقول احد الذين دخل الايمـــان فـــي قلوبهـــم(لقد وجدت بعد تدبر عميق أن معلوماتـــي الطبـــية وعقيدتي في الله هما الأساس الذي

ينبغـــي أن تقوم عليه الفلسفة الطبية الحديثة)[1] هذا هو تعبـــير الفطرة السليمة عن وجود الله وما يجحد ذلك إلاّ كــل ختار كفور،وإذا كان الاعتراف بالخالق موجود فى أصل الخلقه فإنه أيضا مستقر بالقلوب ايضا .[٢]

يقول ابن عطاء رحمه الله (إلهى كيف يستدل عليك بما هو في وجوده مفتقر اليك ؟.أيكون لغيرك من الظهور ما ليس لك؟حتي يكون هو المظهر لك ؟متى غبت حتى تحتاج الى دليل ؟ومتى بعدت حتى تكون الآثار هى التى توصـــل اليك ؟كيف تخفى وأنت الظاهر ؟أم كيف تغيب وأنت الرقيب الحاضر ؟.[**]

فالإنسان في حاجة إلي الاعتراف و الإيمان بالله كحاجته إلـــي الماء والهواء وهذا ما نطقت به المستشرقة لسان

[1] الإيمان والحياة ÷ القرضاوي – صـــ١٣٨ ، ١٣٩ ط. مكتبة وهبة ١٩٩٠م .

[3] راجع موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول ، ابن تيمية ، ص ١٣٤ ج ٢

[**] راجع حكم ابن عطكاء الله السكندرى ت د/ عبد الحليم محمود ص ٤٦،٤٥،٤٤ط الشعب .

ســوتيلانا بنــت استالين بعد إعراض عما نشأت عليه وفرت بنفسها إلي بر النجاة[٢] .ونعود لقولنا الأول الذي يبيــن ســبب إعــراض هــؤلاء عن إثبات الصانع مع إقرارهم بالخلق . والأمر عائد على لأمرين :

أولهما : إما لأنهم مرضى في عقولهم وقلوبهم ومرضى فــي حواسهم ولقد نطق الحق على ألسنتهم رغماً عنهم يقول باسكال (كل شيء غير الله لا يشفي لنا غليلاً)[١] . وطالب بالرجوع إلي النفس والنظر في حالة الانسان .

• وهــؤلاء الذيــن عطلــوا حواسهم واستعملوها في غير موضــعها عــناهم الله تعالى بقوله (ولقد زرأنا لجنهم كثــيراً من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم

---

[2] راجع شبهات وردود د/ عبد الله ناصح علوان صــ ١٨ ط. دار السلام .

(١) راجع تاريخ الفلسفة الحديثة يوسف كرم صــ ٩٣ ط. دار المعارف

راجع أيضاً : دائرة المعارف لفريد وجدي جــ ١ صــ ٤٨٢ وما بعدها .

أعيـــن لا يبصرون بها ولهم آذان أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون)[٢] .والأمر الثاني :عائد إلي ماديتهم البغيضة فهم لا يؤمنون إلاّ بما أدركته حواسهم وهــذا الادعاء باطل أيضاً ومردود عليهم ويكذبه العقل ويرفضـــه العلم البصير ذلك لأن الكون ملئ بموجودات كثـــيرة لا تقع تحت نطاق الحس ولا تعرف عن طريق الرؤية وإنما نستدل عليها عن طريق العقل وظهور الآثار. .بـــل إن العقل نفسه والذي هو آداة الفكر لا يستطيع أي ملحد أن يحدد لنا كيف يفكر به وأين يقع هذا الترجمان الإنساني .

---

(2) سورة الأعراف الآية (١٧٩) .

** ونستعرض الآن طرفاً من الدلائل العقلية والنقلية التي تدلنا على وجود الخالق سبحانه وتعالى .

تعددت الأدلة التي تثبت وجود الله عز وجل ما بين دليل للمتكلمين والفلاسفة وللمتخصصين في سائر الفنون المختلفة.وكل له مشربه وكل له برهانه الخاص – ونقف الآن على دليل ابن رشد على وجود الله .

****

دليل العناية ودلالة الاختراع[1]

يذكر ابن رشد (٥٢٠هـ – ١١٢٦م) أن دليله هذا يخص وجود الصانع – وقسم العناية إلى طريقتين حيث يقول (أما الطريقة الأولى فتقوم عنده على أصلين أحدهما – أن جميع الموجودات التي ههنا موافقة لوجود الإنسان –

الأصل الثاني : أن هذه الموافقة هي ضرورة من قبل فاعل لذلك مريد إذ ليس يمكن أن تكون هذه الموافقة بالاتفاق فإما كونها موافقة لوجود الإنسان فيحصل باليقين باعتبار موافقة الليل والنهار والشمس والقمرلوجود الانسان،وكذلك موافقة الأزمنة الأربعة والمكان الذي هو فيه

---

[1] راجع كتاب الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة ابن رشد صـ ٤٦ ط. مكتبة صبيح .

أيضـاً وهـو الأرض) وصـدق الله إذ يقـول : (وسـخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه ....)[1]

وأما دلالة الاختراع (الإيجاد) فيدخل فيها وجود الحيوان كله ووجود النبات ووجود السموات ..... وتقوم على أمرين – الأصل الأول – أن هذه الموجودات مخترعة وهذا معروف بنفسه في الحيوان والنبات كما قال تعالى (إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له .....)[2] فإنا نرى أجساماً جمادية ثم تحدث فيها الحياة فنعلم قطعاً أن ههنا موجداً للحياة ومنعماً بها وهو الله تبارك وتعالى .

وأمـا السـموات فـنعلم مـن قـبل حركاتها التي لا تفتر إنها مأمورة بالعناية بمـا ههـنا ومسـخرة لـنا والمسخر المأمور مخترع (مخلوق) من قبل غيره ضرورة .

<u>وأما الأصل الثانـي</u> فهـو أن كـل مخـترع فلـه مخـترع فيصـح من هذين الأصلين أن للموجود فاعلاً مخترعاً له وهو الله رب العالمين .[3]

ولقـد سـاق ابـن رشـد أدلـة كثـيرة مـن القـرآن الكريم على دليل العناية ونكتفي بما أشرنا إليه عنده .

---

[1] سورة الجاثية الآية رقم (١٣)
[2] سورة الحج الآية رقم (٧٣)
[3] راجع مناهج الأدلة صـ ٤٧

وأما الفخر الرازي رحمه الله فيضع أيدينا على بعض البراهين العقلية والتي تثبت وجود الخالق فيقول

(إن الفطرة شاهد بأن حدوث دار منقوشة بالنقوش العجيبة مبينة على التركيبات اللطيفة الموافقة للحكم والمصلحة يستحيل إلا عند وجود نقاش عالم، وبأن حكيم. ومعلوم إن آثار الحكمة في العالم العلوي والسفلي أكثر من آثار الحكمة في تلك الدار المختصرة فلما شهدت الفطرة الأصلية بافتقار النفس إلى النقاش والبناء إلى الباني فبأن تشهد بافتقار كل هذا العالم إلى الفاعل المختار الحكيم كان أولى)[1]

ويعطينا شاهدا آخر يقول –

(إن الانسان إذا وقع في محنة شديدة وبلية قوية لا يبقى في ظنه رجاء المعاونة من أحد فكأنه بأصل خلقته ومقتضى جبلته يتفزع إلى من يخلصه منها ويخرجه عن علائقها وحبائلها وما ذلك إلا شاهد بالفطرة وبالافتقار إلى الصانع المدبر)[2] وما إيمان عكرمة ابن أبي جهل عنا ببعيد [3] وصدق الله إذ يقول (قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر

---

[1] التفسير الكبير الرازي جـ التاسع عشر صـ ٩٩

[2] نفسه صـ ٩٩

[3] تاريخ الإسلام الذهبي الجزء الأول صـ ٤٨١ طـ دار الفكر العربي .

تدعونـــه تضـــرعاً وخفـــيه لئـــن أنجانـــا من هذه لنكون من الشاكرين . قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب ثم أنتم تشركون)[١]

ونكتفـــي بهـــذا القـــدر ممـــا أشار إليه الإمام الرازي – رحمه الله – وننتقل إلي بعض ما أشار إليه القرآن الكريم في ذلك .

....

قانـــــون النظـــام

إن المتبصـــر فـــي أرجـــاء الكـــون كله يجد تناظماً وتناسقاً في حركاته وسكناته فينقلـــب البصـــر خاســـئاً وهـــو ذلـــيل .أمـــا هذه الدقة المتناهية التي لا تخطئ طـــرفة عيـــن فكل فـــي فلـــك يسبحون . ومن هذا نرى حركات الأفلاك.الشمس والقمـــر والـــنجوم ..... ألـــخ . ونـــرى النـــبات والـــثمار .... ألخ . وفي هذا نقـــرأ قو له تعـــالى : (وفـــي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخـــيل صـــنوان وغـــير صـــنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل . إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون)[٢]

وقو له عـــز شـــأنه (أفـــلا يـــنظرون إلـــي الأبل كيف خلقت وإلي السماء كيف رفعت وإلي الجبال كيف نصبت وإلي الأرض كيف سطحت ....)[٣]

---

(١) سورة الأنعام الأيتين رقم (٦٣ ، ٦٤)

(٢) سورة الرعد الآية رقم (٤) .

(٣) سورة الغاشية الأيات (١٧ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٠)

ولــو استعرضــنا لطــال بـنا المقام حول دقة الخالق الذي أتقن كل شيء خلقه ، والتــي تثبــت أن لهــذه المخلوقــات خالقــاً ومــبدعاً مــن وراء أمرها خبير بصــير ولــولاه لمــا كــان هــذا الكــون ولــولا حكمــته في وضع الأشياء في مواضــعها لمــا كــان هــذا الإبــداع وصــدق المولــى إذ يقول (إنا كل شيء خلقناه بقدر)[1]

"الطبيعة والعلم يتحدثان عن الله "

إن الــناظر فــي آيــات القــرآن الكــريم يجــد أن الله تعــالى قد أقسم بكائناته ومخلوقاتــه التــي خلقهــا ومــن ذلــك قو. له (فــلا أقسم بمواقع النجوم وإنه لقسم لو تعلمون عظيم)[2]

وقوله (والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى وما خلق الذكر الأنثى .....)[3]

إلى غير ذلك من الآيات .

يقول الأستاذ / وحيد الدين خان في هذه القضية :

(.... لكنــنا حيــن نؤمــن بــأن الكــون موجــود نضطر تلقائياً أن نؤمن بالإله أو بــالقوة الخالقــة كمــا نســميها فلــيس بمعقول أن نؤمن بالوجود من العدم المحض ذلك قياس باطل)[1]

---

(1) سورة القمر الآية (٤٩) .

(2) سورة الواقعة الآيتين (٧٥ ، ٧٦)

(3) سورة الليل الآيات (١-٣)

وقـد أكـدت الطبـيعة بكـل مـا فـيها وهي كتاب الله المنظور أن للكون خالقاً مـريداً حكـيماً له الكمـال ... وكـذا أكـدت الأبحـاث العلمية هذا الأمر وإليك طـرفاً مـن الأدلـة :- التـي تثبـت أن هـذا الكون وجد بمحض علمه وإرادته على حد ما يزعم بعض الملاحدة :

[١] الإسلام يتحدى وحيد الدين خان صـ ٧١ طـ مكتبة المختار ت. ظفر الإسلام خان م. د/ عبد الصبور شاهين

- من الكشوف الفلكية :

يدلنا علم الفلك على أن عدد نجوم السماء مثل عدد ذرات الرمال الموجودة على سواحل البحار في الدنيا كلها منها ما هو أكبر بقليل من الأرض ولكن أكثرها كبير جداً حتى يمكن أن نضع في واحد منها ملايين النجوم في مثل حجم الأرض التي نعيش عليها ......) وهذا إحصاء تقريبي .

- أيضاً - عندما تكون السماء صافية تستطيع أن ترى بالعين المجردة خمسة الآف من النجوم ولكن هذا العدد يتضاعف إلى أكثر من ٢٠٠٠٠٠٠ من النجوم حين نستعمل تلسكوباً عادياً وأقوى تلسكوب في العالم هو الذي في مرصد (ماؤونت بالومار) في أمريكا . ويستطيع أن يشاهد بلايين من النجوم)[١، ٢]

فمن الذي نظم حركة هذه النجوم في هذا الكون الواسع الأرجاء . هل يمكن أن يكون ذلك على سبيل الصدفة . إن هذا أمر لا يقره عاقل .

وصدق الله إذ يقول (فارجع البصر هل ترى من فطور)[٣]

(١ ، ٢) الإسلام يتحدى صـ ٧٥

[٣] سورة الملك الآية رقم (٣)

هـذا الـنظام الـذي يسـتحيل قـيامه بنفسه ولا طريق إلي مشاهدته ولا يمكن تفسير عمله بغير العلم .

وهـناك أنظمـة معقـدة توصـل إلـيها العلـم الحديث كنظام الفاكس والانترنت وغـير ذلـك ممـا اكتشـفه العلـم حديـثاً . وفـي الإنسان يدعو الأمر للتفكر وصدق الله إذ يقول (وفي أنفسكم أفلا تبصرون) [١]

*فمـثلاً يوجـد فـي العيـن مائـة وثلاثون مليوناً من الخلايا الملتصقة للضوء وتقـوم بمهمـة إرسـال المجموعـة التصـويرية إلي المخ ، وهناك شبكة من الأنسـجة الحسـية علـى إمـتداد جلدنـا فـإذا قربنا إلي الجلد شيئاً حاراً فإن ثلاثيـن ألفـاً مـن الخلايـا الملتقطة للحرارة تحس بهذه العملية وترسلها فوراً إلـي المـخ وإذا قربـنا إلـي الجلـد شيئاً بارداً فإن ربع مليون من الخلايا التي تلـتقط الأشـياء الـباردة تحـس به وعندئذ يمتلئ بأثرها ويرتعد الجسم وتتسع الشـرايين الجلديـة . فيسـرع مـزيد مـن الـدم إليها ويزودها بالحرارة وإذا أحسـت هـذه الخلايـا بحـرارة شـديدة فـإن مخابرات الحرارة توصلها إلي الدمـاغ وحينـئذ تفـرز ثلاثـة ملاييـن من الغدد العرقية تلقائياً عرقاً بارداً إلي خـارج الجسـم [٢]وصـدق الله إذ يقـول حكاية عن عذاب الكافرين (.... كلما

---

[١] سورة الزاريات الآية رقم (٢١) .

[٢] الإسلام يتحدى صـ ٨١ .

نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب)[1] فأشار إلى مصدر الاحساس قبل أن يخط قلم هؤلاء العلماء في مداد الله وبحره الذي لا ينضب .

وصدق المولى إذ يقول (هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه بل الظالمون في ضلال مبين)[2] .

وحتى الاكتشافات العلمية والأجهزة الحديثة كان ابتكارها من مخلوقات الله عز وجل -- فقد ابتكرت جامعة موسكو آلة نموذجية لالتقاط وقياس الذبذبات تحت الصوتية وهذه الآلة تستقبل وتلتقط أخبار الفياضانات والزلازل وما شابهها من الكوارث قبل حدوثها بمدة تتراوح بين اثنتي عشرة ساعة إلى خمسة عشر ساعة .... جاء هذا التفكير إلى العلماء من سمكة قنديل البحر التي تسمى هلامي فلقد قلد المهندسون أعضائها وهي شديدة الحساسية حتى لتحس بالذبذبات تحت الصوتية[3] .

وهناك أسئلة عديدة تحتاج لمجلدات كثيرة والمقام هنا لا يتسع لسردها لكننا نعود فنؤكد حقيقة إيمانية راسخة أن لهذا الكون إلهاً خالقاً مدبراً

---

(1) سورة النساء الآية رقم (٥٦) .

(2) سورة لقمان الآية رقم (١١)

(3) الاسلام يتحدى صـ ٨٣ .

ولاعبرة بما يقوله الملاحدة . كقول هكسلي :*

(لو جلست ستة من القردة على الآت كاتبة وظلت تضرب على حروفها لملايين من السنين فلا نستبعد أن نجد في بعض الأوراق الأخيرة التي كتبوها قصيدة من قصائد شكسبير فكذلك الكون الموجود الآن نتيجة لعمليات عمياء ظلت تدور في المادة لبلايين السنين)[1] .

والحقيقة ما من أعمى القلب والبصيرة إلاّ هكسلي هذا والذي لا يستطيع أن يفسر لنا هذه الدقة المتناهية في الكون ولكن هذا دأب الجاحدين والمنكرين .

وهناك مظاهر نذكر منها على سبيل الإجمال :

تبين أن الصدفة العمياء ليس لها دخل في إيجاد هذا العالم بل ، الله خالق كل شئ وهو الله الواحد القهار .

أولاً : لو كانت قشرة الأرض أسمك مما هي عليه بمقدار بضعة أقدام لامتص ثاني أكسيد الكربون والأكسجين ولما أمكن وجود الحياة . أين الصدفة مع هذا ؟

* - توماس هكسلي فيلسوف انجليزي ولد سنة ١٨٢٥ - ١٨٩٥م) من أشهر القائلين بنظرية التطور طبق نظريته على الإنسان قبل دروين في كتابه مكانة الإنسان في الطبيعة . ١٨٦٢م . راجع - تاريخ الفلسفة الحديثة . يوسف كرم ص ٣٦٤ .

---

(1) المرجع السابق صـ ٦٩ .

ثانياً: لو أن شمسنا أعطت نصف إشعاعها الحالي لكنا تجمدنا ولو أنها زادت بمقدار النصف لكنا رماداً منذ زمن بعيد . أين الصدفة في هذا .[١]

وصدق الله إذ يقول ((لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون)) [٢].

ثالثاً: لولا المطر لكانت الأرض صحراء قاحلة لا تقوم عليها حياة ولو لا الرياح والبحار والمحيطات لما كانت حياة . ولو لا أن الماء يتبخر بشكل يخالف تبخر الملح لما كانت حياة ولو لا أن البخار أخف من الهواء لم كانت حياة [٣] .

وصدق الله إذ يقول (الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابافيبسطه في السماء كيف يشاء ويجعله كسفا فترى الودق يخرج من خلاله فإذا أصاب به من يشاء من عباده إذا هم يستبشرون،وإن كانوا من قبل أن ينزل عليهم من قبله لمبلسين،فانظر إلى آثار رحمت الله كيف يحي الأرض بعد موتها إن ذلك لمحي الموتى وهو على كل شئ قدير) [٤].

فكل هذه الدلائل تدلنا على الله الخالق .

---

[١] الإسلام يتحدى صـ ٨٤ - ٩٠ .

[٢] سورة يس الآية رقم (٤٠)

[٣] الإسلام يتحدى صـ ٩٠ .

[٤] سورة الروم الآيات رقم (٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠) .

** هـذا وقـد دعـا القـرآن الكـريم الملاحـدة إلـى النظر فيما يقررون من دعـاوي فقـال مـتحدياً إيـاهم (أم خلقـوا من غير شيء أم هم الخالقون)[١] وقـال (نحـن خلقـناكم فلـو لا تصـدقون)[٢] إلـي غـير ذلـك مـن الآيات الواضحة .

أفـبعد هـذا يأتـي هـيكل الملحـد البارز في علم البيوليجا . ويقرر أنه يستطيع أن يخلـق الانسـان حيـث يقـول هـذا الملحـد (إيتونـي بـالهواء والمـاء وبالأجـزاء الكـيماوية وبالوقـت سـأخلق الانسـان) ولكـن هـيكل نسى أو تجـاهل فـي هـذه المقالـة أنـه بـتقريره إحتياجه إلي المادة والأحوال العادية ينفـي زعمـه مـن تلقـاء نفسه.حتى الصيحات التي أثيرت في قرننا هذا حول الاستنساخ فإنما كان من مواد إلهية خلقها الله عز وجل .

وهـذا مـا قـرره كريس موريس رئيس إكاديمية العلوم الامريكية بنيويورك حيث يقول :

(إن هـيكل يـتجاهل فـي دعـواه الجيـنات الوراثية ومسألة الحياة نفسها فإن أول شـيء سـيحتاج إلـيه عـند خلـق الانسـان هـو الـذرات الـتى لاسبيل لمشـاهدتها ثـم سـيخلق الجيـنات أو حملـة الاستعدادات الوراثية بعد ترتيب

---

[١] سورة الطور الآية رقم (٣٥).

[٢] سورة الواقعة الآية رقم (٥٧) .

هذه الذرات حتى يعطيها ثوب الحياة ... ولكن إمكان الخلق في هذه المحاولة – بعد هذا لا يعدو واحدا على عدة بلايين ، ولو افترضنا أن هيكل نجح في محاولته فإنه لن يسميها صدفة بل سوف يقررها ويعدها نتيجة لعبقريته)[١]

وصدق الله العظيم إذ يقول :

(إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب . ما قدروا الله حق قدره . إن الله لقوي عزيز)[٢]

ظاهرتا الحياة والموت

تعطينا ظاهرتا الحياة والموت في الكائنات كلها دلالة واضحة على وجود الخالق سبحانه وتعالى . فعالم الحفريات وغيره يجد ملايين من الأحياء والتي تنقسم إلى الآف من الأنواع والأجناس وكل جنس وكل نوع له خصائصه ومزاياه .

---

(١) الإسلام يتحدى صـ ١٠٨ .

(٢) سورة الحج الآيتين (٧٣ ، ٧٤)

ولقـد أشـار القـرآن الكـريم إلـي اختلاف الأنواع والأجناس فقال الله تعالى (والله خلـق كـل دابـة مـن ماء فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشى على رجلين ومنهم من يمشي على أربع يخلق الله ما يشاء ......)[١]

ومـع هـذا الأمـر فلـم يـدع أحـد أمر الأحياء والأماتة وأتى بالدليل الصادق علـى ذلـك حـتى الـنمرود بـن كنعان نفسه عندما قال لإبراهيم عليه السلام (أنـا أحـي وأميـت)[٢] فظـن أنـه عـندما سـيأتي بالرجلين وقد تحتم قتلهما فيقـتل أحدهمـا ويعفـو عـن الآخـر فكأنه بذلك أحيا وأمات ولكن هيهات ومن هـنا كـان جـواب إبراهـيم له بالإنكـار والتعجيز وبين أن الاحياء والأماتة لله تكـون بـرد الـروح إلـي الجسـد أو بنزعها منه . ومن هنا قال إبراهيم له (فـإن الله يأتـي بالشـمس مـن المشرق فأتي بها من المغرب) وتهافت فكره فبهـت أمـام ملكـوت الله وجـبروته[٣] .وكانـت نهايـته علـى يد مخلوق من مخلوقـات الله التـي عجـز عـن خلقهـا فدخلت ذبابة في منخرة . فكان يضرب بالمرازب على رأسه حتى أهلكه الله .

---

(١) سورة النور الآية رقم (٤٥) .

(٢) سورة البقرة الآية رقم (٢٥٨).

(٣) راجع قصص الأنبياء ابن كثير ت : علاء عبد الوهاب صـ١٣٢ ط. مركز الكتاب للنشر

ومـــن الآيـــات الـــباهرة الـــتى تدلـــنا على ظاهرة الحياة والممات قوله تعالى (((إن الله خـــالق الحـــب والـــنوى يخـــرج الحـــي مـــن الميـــت ومخرج الميت من الحي ....) [١]

كذلك أحيا الله عز وجل سبات الناس بالنهار فقال :-

(فالق الإصباح وجعل الليل سكناً والشمس والقمر حسبانا ....)[٢]

وانتهـــت أبحـــاث الكيميائييـــن فـــي الاتحـــاد السوفيتي إلي إعلان خبر هام أمام العـــالم كلـــه أعلـــن رئـــيس المعهد الكيميائي بروسيا قوله (إن العلم الكيميائي عاجـــز عـــن إيجـــاد الحـــياة فـــي المخبر (المعمل) وأن الحياة لا يمكن أن تبدأ مـــن العـــدم والعلـــم لا شـــأن له إلاّ بالمادة المحسة)[٣] كل هذا يجعلنا نسترجع قوله تعالى (أو لم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده)[٤]

ظاهـــرة الإلهـــام والهدايـــــة

وتـــتلخص فـــي إلهـــام كـــل الكائنات هداها ورشدها وحياتها وعملها في الدنيا بمقـــدار يعلمـــه الله . وتعـــد تلـــك الظاهـــرة مـــن الدلائـــل الساطعة على وجود الخالق سبحانه وتعالى إليك طرف منها :-

---

(١ ، ٢) سورة الأنعام الآيتين رقم (٩٥ ، ٩٦) .

(٣) شبهات وردود ص. (٥٣ – ٦٣) .

(٤) سورة العنكبوت الآية رقم (١٩٠)

أولاً :- المحافظة على النسل

حـــيوان الأكســـيلوكوب يعـــيش مـــنفرداً فـــي فصـــل الربيع ومتى باض " مات " فالأمّهـــات لا تـــرى صـــغارها ولا تعـــيش لتســـاعدها فـــي غذائها ودفاعها عن نفســـها وهـــؤلاء الصـــغار لا تســـتطيع الحصـــول علـــى الغذاء لمدة سنة كاملة لذلـــك تـــرى الأم تعمـــد إلـــي قطعـــة خشب فتحفر فيها حفرة مستطيلة ثم تجلب طلـــع الأزهـــار وبعـــض الأوراق وتحشـــو بهـــا تلك الحفرة ثم تبيض بيضة ثم تأتـــي بنشـــارة خَشـــب وتجعلهـــا عجيـــنة لتكون سقفاً . فإذا فقست البيضة وخرجت الدودة كفاها الطعام المدخر سنة كاملة .[١]

ولـــولا هـــذه الهدايـــة التـــي أودعهـــا الله فـــي هـــذا الحيوان لقضى على نسله نهائياً .

ولعلـــنا نلاحـــظ الـــنحلة ومـــا تفعلـــه حيـــث تقيس زوايا المسدسات المنتظمة التي تصنعها كأنها رياضي حاذق)[٢]

وصـــدق المولـــى عـــز وجـــل إذ يقـــول (وأوحى ربك إلي النحل أن اتخذي من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون)[٣]

---

[١] شبهات وردود صـــ ٦٣

[٢] علم النفس - جميل صليبا صـــ ٥٩ ٦ .

[٣] سورة النحل الآية رقم (٦٨)

ولــو استعرضــنا ســائر النــباتات والحــيوانات وســائر المخلوقــات لما كفانا مــداداً لنعــبر عــن هدايــة الله لهــذه المخلوقات وصدق المولى إذ يقول (ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى)[١].

ظاهـرة الوحـدة المتكاملـة

لو تصفح المرء المخلوقات وأعمالها وأحوالها لوجد أن الكون كله أنظومه متكاملة يخدم بعضه بعضاً من حيث لا يدري ومن ذلك نلاحظ قوله تعالــــــــى: (وأرسلنا الرياح لواقح)[٢] فالرياح لواقح للشجر والسحاب وهو قول الحسن وقتادة والضحاك[٣] . وأثبت العلم الحديث صدق هذا الأمر .

وفــوق هــذا كلــه الكــل مســخر لبنــي الانســان فهو – يأكل النبات ويمتطي الجمــاد ويستنشــق الهــواء ويشــرب المــاء وكــل هذه العناصر تكتمل لتكمل دورة الحياة

أفلا يدل ذلك على الإله الخبير أم يرجع الأمر للاتفاق ؟

وفــي آيــه مــن كــتاب الله نقــرأ هذه الانظومة المتكاملة في قوله تعالى (إن فــي خلــق السـموات والأرض واخــتلا ف الليل والنهار والفلك التي تجري في الــبحر بمــا يــنفع الــناس ومــا أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض

---

[١] سورة طه الآية رقم (٥٠) .

[٢] سورة الحجر الآية رقم (٢٢)

[٣] راجع التفسير الكبير – الرازي – الجزء السابع صـــ ١٨٠.

بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون)[١]

الطبيعة الخالقة

من التيارات الإلحادية التي بثها وقررها أعداء الدين أن الطبيعة خالقة ومدبرة لأمرها وليس للكون إلها فالطبيعة بخصائصها تنشىء الأشياء وتعدمها فالطبيعة قائمة مقام الله تعالى وكل بخصائصه وقابليته لهذه الأمور يوجد ويعدم فلئن سألتهم من خلق السموات والأرض والشمس والقمر ليقولن لك الطبيعة التي تعتمد على صفاتها من حرارة وبرودة ورطوبة ويبوسة ... ألخ ويتألف من هذه العناصر شروق الشمس وغروبها وكذا المد والجذر في المحيطات والأنهار .

فإنه مما لاشك فيه أن هذا كلاماً متهافتاً يحمل في طياته رده ونقضه ويكذبه العقل والواقع لأنه :

أولاً :- إنه جدال بغير علم وصدق الله إذ يقول (ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير) [١]أو مكابرة واتباع الهوى

---

[١] سورة البقرة الآية رقم ١٦٤

[١] سورة الحج الآية رقم (٨)

وهـو كمـا قـال عـز وجـل (أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على غير علم ...)(٢)

ثانـياً : إن القـول بـأن الخصـائص للأشـياء والقابلـية لها من شأنها الايجاد والإعـدام قـول متهافـت فالقابلـيات لا تخلـق ولا تبدع فإذا تتبعنا إنبات الحبة مـثلاً فإنهـا تمـر بمـراحل نعلمهـا مـنها وضـع الحبة (البذرة) في التراب وريهـا بالمـاء عـندئذ تنـتفخ وتـتفلق فيظهر منها الرشيم ويندفع منها الجذر إلـى الأسـفل والسـاق إلـى الأعلـى وتنشـأ الأوراق فالأزهار فالثمار ونكون الحبة قد أنتجت تفاحاً مثلاً .(٣)

فملاحظـة هـذه الأ شـياء والتـي يدعـون لهـا خصـائص واهـية هي سبب الإيجاد والخلق للحياة كما يزعمون . وهذا أمر مردود .

- **أولاً** : لـتخلف هـذا القـانون فقـد تجـتمع هذه الأشياء ولا تنبت الحبة فدل هذا على عدم خلق الحبة لنفسها فكيف يخلق الشئ نفسه ؟

ثانـياً : لـو كـان للحـبة عقـل وتدبـير لقلـنا أن عقلها هو الذي هيأ لها ذلك ولـو أن المـاء هـو الـذي نفخهـا وفلقهـا لأمكـن للماء أن ينفخ في الحديد ويفلقه ولماذا انتفخت الحبة مثلاً ولم تتجمد (٣).

---

(٢) سورة الجاثية الآية رقم (٢٣)

(٣) شبهات وردود -- عبد الله ناصح علوان صـ٢٢

ثالثاً: يحتاج هذا الأمر لعقل وإدراك ومنهاج مرسوم من قبل الحبة وهي لا تملك شيئاً فالقابلية ما هي إلا صفة من صفات الشئ فكيف تخلقه وإن الحبة بالنسبة للنبات جماد لا يعقل فكيف تنوعه .

رابعاً: جاءت الآيات العديدة والتي قررها العلم الحديث لتثبت الخلق والتدبير للأشياء لله على غير مثال سبق .

قال تعالى (ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت إن الذي أحياها لمحي الموتى إنه على كل شئ قدير)[١] .

وكذا الملاحظ لقوله تعالى (قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم)[٢] فالنار صفتها الإحراق ولو كانت إلهاً وخالقة فلماذا لم تحرق إبراهيم على الرغم من خصائصها المزعومة عند هؤلاء . لا شك أن هذا اختلاف وضلال منهم .

وأيضاً قوله تعالى (إن الله فالق الحب والنوى يخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي ذالكم الله فأنى تؤفكون ...)[٣] .

وغير ذلك من الآيات الباهرة ،ثم إن هؤلاء القوم يجادلون في أشياء لم يرون خلقها ولم يكن لهم وجود وشهود لها وفي هذا يقول الله تعالى :

---

[١] سورة فصلت الآية رقم (٣٩) .

[٢] سورة الأنبياء الآية رقم (٦٩)

[٣] سورة الأنعام الآية رقم (٩٥)

(ما أشهدتهم خلق السماوات والأرض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذ المضلين عضداً)[1]

وما رأينا الشمس والقمر تخلفتا عن عملهما ورفضتا الإشراق والإنارة مصداقاً لقوله تعالى:

(هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نوراً وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب . ما خلق الله ذلك إلا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون)[2]

كما أن هذا القول يتهافت أمام حقائق الآخرة وما فيها والتي تكور فيها الشمس وتنكدر النجوم فيها وتسيير الجبال إلى آخر ما ذكره الله في قوله (إذا الشمس كورت وإذا النجوم انكدرت وإذا الجبال سيرت وإذا العشار عطلت وإذا الوحوش حشرت وإذا البحار سجرت وإذا النفوس زوجت ....)[3] وقوله : (يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات وبرزوا لله الواحد القهار)[4] فأين خصائص الطبيعة تلك التي يزعمونها ويقررونها والتي تحول الحي إلى الميت والميت إلى الحي (ألا ساء ما يحكمون) .

وصدق الله إذ يقول :

---

[1] سورة الكهف الآية رقم (٥١) .

[2] سورة يونس الآية رقم (٥)

[3] سورة التكوير الآيات (١-٢٧)

[4] سورة ابراهيم الآية رقم (٤٨) .

فذالكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق إلا الضلال فأنى تصرفون) .[١]

البلشفية [٢]
قديماً وحديثاً

من التيارات المادية الإلحادية القديمة والتي امتدت جذورها وتطلعت ثمارها إلى العصر الحديث ما يعرف بالبلشفية أو الشيوعية ، وهي طريقة قديمة لرجل منافق يدعى مزدك بن بامدار وقد أمر الناس بالتساوي في الأموال وحثهم على ذلك وكرز حياته لذلك وذكر لهم أن في ذلك إرضاء لله عز وجل وفيه عظيم ثوابه وعطاياه . ومن أبرز أفكاره :

** أن الناس ولدوا سواء وأنه ليس هناك مبرراً للتفرقة بين شخص وآخر . وأول ما يجب فيه المساواة المال والنساء ولقد انتهز هذه

---

(١) سورة يونس الآية رقم (٣٢)

(٢) البلشفية . أغلبية الحزب الديمقراطي الروسي المكون عام ١٩١٧م بقيادة لينين وكان هدفها الأول الإستيلاء على السلطة ثم سميت باسم اللينينية فالإستالينية وحلت الشيوعية أخيراً محلها فهي المرحلة الأولى من مراحل تطور الإشتراكية في روسيا . وهي أيضاً مدرسة فكرية وحزباً سياسياً ينادي باستخدام القوة والعنف لخدمة أغراضه ومن أقوال هذه المدرسة والتي أصدرتها صحيفة البرامزا الناطقة بلسان هذا الحزب في عددها الصادر يوم ٢٦ نيسان ١٩٤٩م (نحن نؤمن بثلاثة كارل ماركس ولينين وستالين ولا نؤمن بثلاثة أشياء " الله والدين والملكية الخاصة " وقال لينين في سنة ١٩٠٥م الدين هو أفيون الشعوب فالدين ورجل الدين يخدران أعصاب المظلومين والفقراء ويجعلانهم يرضخون للظلم " وقال في سنة ١٩٠٢ كلما تحررنا من نفوذ الدين ازددنا إقتراباً من الواقع الإشتراكي ولهذا تحررت عقولنا من خرافة الدين .....) راجع : المعجم الوجيز صـ ٦١ .

(٣) راجع أيضاً : الرد على الماديين – عبد المنعم خفاجي صـ ٩٤ ط. دار الكرنك ١٩٦١م.

الفرصة سفلة الناس ومن هم على شاكلتهم فسهل لهم بذلك الغضب والسرقة والزنا والفجور ......إلخ .

مع النساء الكرائم اللائي لم يكونوا يطمعون فيهن وشمل الناس بلاء عظيم لم يكن لهم عهد يمثله كل ذلك من جراء تعاليم مزدك[1] وكان ذلك في زمن وملك قباز بن فيروز بن يزدرج ملك الفرس وقد تابع هذا الضال كثير من القوم وناصروه كما علمنا إرضاءاً لشهواتهم وقضاءالأوطارهم ومن هذا فقد اختلطت الأنساب وضاعت الحقوق وصار الناس كالبهائم بل أشد منها وطئة وأصبح الرجل بلا مأوى وبلا مال ....إلخ .

وقد وجدنا في تاريخ البشرية أناساً عديدين يقولون بهذه الإشتراكية وتلك الإباحية فمثلاً فرقة الحسديين من اليهود وقد قرروا تحريم الملكية الخاصة الفردية وأوجبوا الملكية الجماعية ، وقد (طبقت مبادئها على أفرادها الذين اعتزلوا المجتمع الإسرائيلي وعاشوا في جماعات حول شاطئ البحر الميت حيث جعلوا ما تحت أيديهم من أرض ومنقول وملابس وأطعمة ومتاع ملكاً جماعياً شائعاً يحفظ ما يزيد منه عن الحاجة العاجلة

---

[1] ظهر في القرن الخامس الميلادي رجل من أهل نيسابور يدعى لمذهب ثنائي جديد يقول بالنور والظلمة ولكنه دعا إلى الإشتراكية المتطرفة والتي كانت نواة للمذهب الشيوعي الإشتراكي الذي أعلنه حديثا ماركس وكانت نهاية هذا التيار في عهد كسرى أنو شروان والذي قتل خلقاً كثيرا منهم وأعلن المجوسية كدين لهم إلى أن جاء نور الإسلام وقضى على تلك الطريقة الكاسرة .

في مخازن عامة ويشرف على شئون إدارته وتوزيعه حراس ..... ويعتبر مذهب هذه الفرقة في شئون الإقتصاد من أقدم المذاهب الشيوعية في العالم .)[١]

ولا شك أن تيارا كهذا تيار فاسد يعمل على إفشاء الرزائل والقضاء على الأخلاق الحميدة والمثل الرفيعة التي دعا إليها الإسلام . فهذا (التيار) يأمر بما نهى عنه الله عز وجل في كتابه العزيز وبما نطق به لسان نبيه الكريم صلى الله عليه وسلم من نحو سفك الدماء والإعتداء على أموال الآخرين وإبراز الخيانة والكذب والفوضى . وصدق الله إذ يقول ((قل إن الله لا يأمر بالفحشاء . أتقولون على الله ما لا تعلمون قل أمر ربي بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين .....)) .[٢]

إن هؤلاء القوم لا يؤمنون بالناحية النفسية للفرد ومن هنا كان إنكارهم لعلم النفس ويتابعون في ذلك آراء فرويد ودارون لأنهما يشبعان شهواتهم ويحطمون المقدسات كلها فقد نقلوا إلى علم الإقتصاد وعلم

---

[١] الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام د/ علي عبد الواحد وافي صـ ٦٨ ط. نهضة مصر .
[٢] سورة الأعراف الآية رقم (٢٩)

الإجـتماع تلـك الآراء الحيوانـية وتسـتعرض الآن طـرف من أقوالهم الفاسدة المتعلقة بتغلب الناحية المادية المسرفة على حياتهم .

أولاً : يقولون بإنكار وجود الله عز وجل : -

ومـن ذلـك قـول لينيـن (لـيس صـحيحاً أن الله ينظم الأكوان و إنما الصحيح أن الله فكـرة خرافـية اخـتلقها الإنسـان ليـبرر عجـزه ولهذا فإن كل شخص يدافـع عـن فكـرة الله هـو شـخص جـاهل وعاجز ويقول ستالين (يجب أن تكون التربية في المدارس على أساس فكرة إنكار الله) [١]

ثانـياً : يقولـون بالـتطور الحتمي للكائـنات ولا يقولـون بـالخلق المباشـر لله : فهـم يـرون أن الكائـنات الحـية تتـبع في تطورها خطاً حتمياً ينشأ من ضـغط البيـئة الماديـة الخارجـية علـى الكائـن الحـي ومحاولة الكائنات أن تكـيف حـياتها مـع هـذه البيـئة (الخالقـة) وفي أثناء هذه العملية تنقرض أعضـاء أو وظـائف معيـنة لأنهـا لم تعد تلائم (البيئة) وهذا الكلام هو عين مـا قـرره دارون صـاحب مذهـب النشـوء والإرتقاء من أن البقاء للأصلح وللأقوى[٢] . ولنا إن شاء الله وقفة معه ومع مذهبه .

---

[١] فتاوى عن الشيوعية د/ عبد الحليم محمود صـ ٣٤ ، ٣٥ ط. دار المعارف الثانية ١٩٧٧ .

[٢] الإنسان بين المادية والإسلام محمد قطب (٥٥).

ثالثاً : – النظرة المادية الحيوانية إلى الإنسان ومن هذا المنطلق تلتقي أفكارهم مع فرويد صاحب ومؤسس مدرسة التحليل النفسي ولنا إن شاء الله وقفة مع هذا التيار الهدام الوافد والذي حاول إقصاء الإنسان عن آدميته ورميه بالحيوانية والبهيمية .

رابعاً : عدم الإعتراف بما يقع تحت نطاق الحس فكل ما كان كذلك فهو خرافة من مخلفات العصور البائدة وهي من صنع أعدائهم .

خامساً : إعتبار الإنسان القوة الفعالة في هذا الوجود فهو مادة والعقل ما هو إلا أداة مادية تعكس المؤثرات الخارجية التي يتأثر بها الإنسان وليس حقيقة فعالة .

سادساً : إعتبار الحقيقة الإقتصادية والمادة أهم الحقائق وما عداها لا يصلح ولا يكون إلا لخدمتها . فالحق والعدل وسائر المعاني والفضائل الراقية لا وجود لها وإنما الحقيقة الأزلية الوحيدة هي المادة فلا مشاعر ولا روحانيات لدى الناس فالأخلاق ليست إلا انعكاساً للأحوال الإقتصادية والمصالح الطبقية وتمتد جزورها إلى الظروف المادية ومن هنا فتعاملات الناس تبنى على المال وليس هناك قيمة يرجع الناس إليها .

سابعاً : إن الدين أفيون الشعوب وما هو إلا مادة مخدرة يتناولها الناس ثم يفيقون ولا وجود له وهو من صنع الإقطاعيين والرأسماليين

لتخدير الشعوب وشغلها عن صراعها الطبقي[١] وبالتالي فلا داعي للنبوات وإرسال الرسل وإنزال الكتب فكل ذلك عبثاً لا فائدة منه – على حسب سنة القطور . و الواقع يقول أن ماركس وأتباعه يجهلون العلم بالدين الصحيح وكما يقولون فاقد الشئ لا يعطيه . ولو تتبعنا تاريخ الرجل لوجناه قد اعتمد في دراسته للدين على ما قررته الكنيسة في عصورها المظلمة والتي عبث فيها رجال الدين بعقول وأفكار الناس وصبغوا أنفسهم بصبغة الآلهة . إلى جانب امتزاج بقايا المسيحية المحرفة بالأفلاطونية المحدثة [٢]على أيد رجال الدين الذين ضموا الفلسفة إليهم لينشروا أراءهم وليجتنبوا شر الفلاسفة وتطلعاتهم وإستفساراتهم العقلية . كما حذر علي الشعب محاولة فهم الوحي وقصر ذلك علي رجال الدين (رجال الكنائس) وقتئذ إلي جانب ظهور الأستبداد باسم الدين وضياع الثروات في البذخ ومقاسمة رجال الدين الأموال لأصحاب الأملاك . ولم يكن عندهم هم ولا غاية إلا جمع المال عن طريق صكوك الغفران وما إليها . ومن هنا فحكم ماركس على الدين بأنه مخدر حكم جائر أو

---

(١) الرد على الماديين صـ (٢٢ ، ٢٣) .

(٢) فلسفة أفلوطين والأفلاطونين الذين تأثروا به واللفظة حديثة لأنهم كانوا يطلقون على أنفسهم أفلاطونيون وهذه المدرسة حاولت مزج الفكر القديم كله وخاصة أرسطو والرواقيين والفيثاغوريين والمشائين بالأفلاطونية . واحتواء المعتقدات السائدة والأساطير والطقوس وعبادات الشرق والسحر وعلم الكيمياء القديم . راجع المعجم الفلسفي عبد المنعم الحفني صـ٢٨ .

علـــى أقـل تقديـر لـيس حكماً صحيحاً والذي لم تمتد إليه يد التحريف الا وهو الإسلام .

سابعاً :- اعتبار الجبرية هي السمة السائدة على هذا المذهب المادي فلا اختيار للإنسان ما دام الاقتصاد هو سيد الموقف [١] ولكننا نحن المسلمون نعلم أن المال وسيلة لاقامة المجتمع على أسس إنسانية رفيعة وليس غاية في ذاته .

وصدق الله إذ يقول (وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى إلا من آمن وعمل صالحاً ....) [٢]

ثامناً :- ترتب على مفهوم المادة لديهم ضياع هيبة الأسرة المتكاملة وفقدانها لهويتها فهم يقررون أن الأب تتغير مشاعره خاصة تجاه أبنائه وذلك عندما يسير الأمر عليه باعتباره جالباً للمال [٣].

فالأسرة كما يزعمون كانت قبل ذلك ترضخ لسيادة الأم ولما تغيرت الأوضاع جعل الأب هو المسيطر . فأي تهافت هذا وأي دناءة هذه التي تنأى بالأسرة ككيان أصيل في المجتمع عن وضعها الأصلي الأول والذي هو نواة فإذا صلحت صلح المجتمع وإن فسدت فسد المجتمع . ومن هنا

---

[١] راجع الإنسان بين المادية والإسلام محمد قطب صـ٥٩ دار الشروق ط. ١٢ ١٩٩٧ .

[٢] سورة سبأ الآية رقم (٣٧)

[٣] راجع الإنسان بين المادية والإسلام صـ ٦٢ .

نلاحظ تخبط العقل البشري في حدود الله عز وجل .وهذا تأثير بالنظرية الغربية كما سنعلم في حينه .

تاسعاً :- العمل على تحديد احتياجات المرء من الغذاء والكساء والإشباع[1] الجنسي إلي جانب جعل الدين أمراً ثانوياً كما علمنا والحق إن عملية التحديد فيها إجحاف للنفس البشرية فما جعل الطعام والشراب ،، إلاّ لتنظيم وإقامة الحياة في أسلوب منظم وواضح لدى الناس جميعاً . إلي جانب هذا فقد ضيقوا على العمال في عملهم فقد جاء في قانون ١٩٣٩م – أنه إذا تأخر العامل عن عمله أكثر من عشرين دقيقة فإنه يقدم إلي النيابة المحلية ويحاكم فإن أدين حكم عليه بالسجن أو السخرة) فلا عبرة للظروف الخاصة ولا رحمة ولا شفقة ولا مكانة لسائر المعاني الإنسانية التي ترفع الحرج عن أتباعها .[2]

عاشراً : يرى هؤلاء الماديون أن الجهاد هدفه جمع المال وليس له أي معنى روحي . فلا دافع عن الدين أو رفع راية دين معين أو دفاع عن حق مغصوب ... إلخ . وهذا كلام متهافت بعيد عن منطق العقل والواقع ويرفضه التاريخ فمن ذلك :

---

[1] نفسه صـ ٦٣ .

[2] الرد على الماديين صـ ٧٣ .

أن الواحد من المجاهدين المؤمنين كان يلقى بروحه أمام الأعداء طالباً الشهادة منه تعالى فعمير بن الحمام يرمي بعض التمرات والتي تحول بينه وبين الجنة ثم يدخل المعركة فيقتل *. وقد عرض المال على المسلمين فرفضوه بل ضحوا به في سبيل الله حتى ذلك فعل كبار الصحابة كأبي بكر وعمر وعثمان وعبد الرحمن بن عوف .... إلخ . وما أمر صهيب بن سنان الرومي عنا ببعيد والذي اشترى نفسه ابتغاء مرضات الله وفيه كان قوله تعالى (ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله والله رؤف بالعباد) .[1]

وعن عزة المسلمين يحدثنا جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه المتحدث البارع والمؤمن المجاهد أمام النجاشي واصفاً له حالهم قبل الإسلام وبعد الإسلام حيث يقول : (كنا قوماً أهل جاهلية نعبد الأصنام ونأكل الميتة ونأتي الفواحش ونقطع الأرحام ونسيء الجوار ويأكل القوي منا الضعيف فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده ونخلع ما كنا نعبد نحن وأباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة وصلة

* كان ذلك في غزوة بدر ٢ هـ والتي انتهت بنصر الله للمؤمنين - راجع - سيرة النبي ابن هشام جـ ٢ ص ٦٤٨.

[1] سورة البقرة الآية رقم (٢٠٧) . راجع أيضاً - التفسير الكبير - الرازي الجزء الخامس صـ ٢٢٢

الـرحم وحسـن الجـوار والكـف عـن المحـارم والدماء ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم .....)[١] .

حـادي عشـر : يسـود الـنظام الـربوي علـى معاملات هذا التيار المادي إلى جانـب الإحـتكار والـذي يـتعامل بـه أربـاب القردة والخنازير مع غيرهم من الشعوب الغير يهودية .[٢]

أيـن هـذا مـن قو له تعـالى (وأحل الله البيع وحرم الربا)[٣] وقوله تعالى (يـا أيهـا الذيـن أمـنوا لا تـأكلوا الـربا أضعافاً مضاعفة)[٤] وقوله (ياأيها الذيـن آمـنوا لا تـأكلوا أموالكـم بينكم بالباطل ....)[٥] إلى جانب هذا ما رده الإسلام من أموال الأغنياء على الفقراء توسعة عليهم .

ثاني عشر: كرز أصحاب هذا الإتجاه أمرهم على اضطهاد ممن لا يؤمنون بدعواهم وعملوا على نشرها بشتى الطرق ومـن هـنا فقـد بدأت في روسيا وقتـئذ حملـة قاسـية ضـد رجـال الديـن فقـتل عدد كبير منهم وحرم عليهم الظهـور فـي المجـتمعات العامـة وأغلقـت بـيوت العبادة وصودرت أوقافها وحرموا تدريس الدين وألغوا القسم به .

---

(١) سيرة ابن هشام – تحقيق محي الدين عبد الحميد . الجزء الثاني صـ ٣٥٩ ط. كتاب الجمهورية .

(٢) راجع الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام د/ وافي صـ ٦٧ .

(٣) سورة البقرة الآية رقم (٢٧٥) .

(٤) سورة آل عمران الآية رقم (١٣٠) .

(٥) سورة النساء الآية رقم (٢٩).

وفـــي عـــام ١٩٥٢ عقـــد مؤتمـــر لوضع الخطط الخاصة بالقضاء على النزعة الدينـــية وبـــث روح الإلحـــاد فـــي المـــدارس والجيش وبلغ هذا التيار الإلحادي مـــبلغاً عظـــيماً حـــتى بلغـــت فـــروعه أكـــثر من سبعين ألفاً وفي عام ١٩٢٩م صـــدر قـــانون يحـــرم الدعايـــة الدينـــية ويعتبرها عملاً غير مشروع وفي عام ١٩٣٢ أصـــدر قـــانون يهـــدف إلـــى القضـــاء على الهيئات الدينية ... هذا وقد أظهـــر هـــؤلاء أثـــناء حـــروبهم مـــع غـــيرهم نوعاً من الولاء الديني [1]إلا أنه شـــعار زائـــف أرادوا بـــه اســـتقطاب واســـتمالة عطف الآخرين لهم ليساعدوهم في حربهم .

<u>ثالـــث عشـــر</u>: مهـــدت الماديـــة الشـــيوعية وغـــيرها - لقـــيام التـــيار الصـــهيوني وقـــد ظهـــر هـــذا الأمـــر جلـــياً فـــي تأيـــيد الشـــيوعية للصـــهيونية واعترافهم بها مباشرة - وقـــد جـــاء فـــي جـــريدة القـــاعدة الناطقة أيضاً باللســـان المـــادي الإلحـــادي (ناضـــلوا فـــي سبيل إنهاء الحرب وإعلان تأليف الدولـــة العربـــية المســـتقلة الديمقراطـــية فـــي القســـم العربي من فلسطين) ، كمـــا أصـــدر الشـــيوعيون وقـــتها كـــتاباً ســـموه (أضـــواء علـــى القضـــية الفلســـطينية خاتمـــة (فليحـــيا الـــتعاون والتحالف بين الوطنيين والديمقراطيين العـــرب والـــيهود لإحـــباط خطـــط الإســـتعمار والرجعية ولتحيا الصداقة العربية

---

[1] راجع الرد على الماديين صـــ ٣٢.

والـــيهودية .[١]) وقــدَ دعـــوا أيضـــاً عـــام ١٩٤٨ إلـــى ائتلاف الطبقة العمالية فيها من البروليتاريا العربية[٢] .

والحـــق إن الديـــن هـــو الـــذي يـــنظم علاقـــة المجـــتمع بعضه بعضاً فالأخلاق قوامها العدل بين الناس جميعاً لأن الجميع أخوان في الإنسانية .

قـــال تعـــالى (إنمـــا المؤمـــنون أخـــوة [٣]) فلا عدوان ولا احتكار .... إلخ كما أن الإقتصـــاد فـــي صـــورته العلـــيا مـــا هـــو إلا علاقـــة مـــنظمة بيـــن الواجد والمحـــروم ولـــيس أساســـاً لكـــل شـــئ ولقد اهتم الإسلام بالعمل وجعل مقياس الإنســـان بمـــا يســـعى إلـــيه ومـــن أجـــل هذا تغيرت الأوضاع وحلت كثير من المشـــاكل التـــي كانـــت تقـــف حجرة عثرة أمام التقدم الإقتصادي الإسلامي وأما هـــؤلاء المـــاديون فهـــم يبـــثون روح الحقـــد والحسد والبغضاء بين الناس فهم يـــرون أن الطـــبقة العاملـــة لـــن تســـتطيع الـــتحرك ولا النهوض بنفسها ما لم تنســـف جمـــيع طـــبقات المجـــتمع المتراكمة .....)[٤] طبقاً لمبدأ البقاء للأقوى وللأصلح .

---

[١] الاسلام في وجه الزحف الاحمر محمد الغزالى صـــ ١٩٩ ط مكتبة وهبة -

[٢] أفكار مركسية فى الميزان - طارق حجى صـــ ١٢٩ ط دار المعارف -

[٣] سورة الحجرات الآية رقم (١٠)

[٤] الرد على الماديين - صـــــ ٣٦

فـإذا أضـفنا إلـى مـا سـبق جهـل ماركس وأشياعه بمبادئ الدين الإسلامي الصـحيح هـو الـذي دفعهـم لنبـذ حـياة التديـن وشجبها ورفضها فاعتبروه مخـدراً للشـعوب وصـارفاً لجهادهـا وكفاحهـا لنـيل حقوقهـا . ويؤيـد هذا اعـتراف المثاليين بوجـود الديـن وأهميـته وهي على حد ما يرى شوبنهاور لا يمكن تغييرها أو تجاهلها[1] .

وأخـيراً نخـتم كلامـنا عـن هـذا التـيار الفاسد بما سطره د/ دراز رحمه الله عـن الديـن وأهميـته حيـث يقـول (إن الخدمة الجليلة التي تؤديها الأديان لا تقـف عـند هـذا الحـد فليسـت كل مهمتها أنها المبعث القوي لتهذيب السلوك وتصـحيح المعاملـة وتطبـيق قواعـد العـدل ومقاومة الفوضى والفساد بل إن لهـا وظـيفة إيجابـية أعمـق أثـراً في كيان الجماعة ذلك أنها تربط بين قلوب معتنقـيها بـرباط مـن المحـبة والـتراحم لا يعدلـه رباط آخر من الجنس أو اللغة أو الجوار أو المصالح المشتركة)[2] .

كمـا نـود أن نشـير هـنا إلـى أن الإسـلام لا يـنكر المـادة مطلقاً بل يثبتها ويجعلها مسخرة لخدمة الروح .

---

(١) راجع الفلسفة الحديثة - يوسف كرم .

(٢) الدين - د/ دارز - صـ ١٠١ ط الثالثة ١٩٧٤ .

وجميع الحضارات القديمة والحديثة على السواء لم تقم على أسس مادية محضة وإنما كان للعوامل الروحية أثرها البعيد في قيامها وإن تغاضى عنها بعض الناس .

ومن هذا كان قوله تعالى :

(وابتغ فيما أتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ....) [١]

وبهذا يكون قد تم للإنسانية كيانها التام .

كما وضح لذوي العقول المستنيرة أن أي تجمع تسوده روح الطبقية والمصالح العنصرية مهما طال صموده فلا بد له من نهاية وهذا ما حدث في الوقت الحالي فقد تفكك الإتحاد السوفيتي وأصبح يضم دوليات داخلية تعرف بدول الكومنولث التابعة لروسيا .

فالمجتمع المسلم ينكر أي تفاضل على أساس اللون[٢] أو الجنس أو المصلحة وإنما الفضل فيه بالتقوى والعمل الصالح وصدق الله إذ يقول

---

(١) سورة القصص الاية رقم ٧٧

(٢) مستقبل الحضارة يوسف كمال محمد ص ٩٩ ط دار المختار الا سلا مى الاولى ١٩٧٤

(يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثي وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم ...)[1].

وقد هذب عليه السلام سلوك أبا ذر تجاه هذا الامر فقال له ناهياً إياه عن العصبية لجنس ما (يأبا ذر أعيرته بأمه إنك أمرو فيك جاهلية إخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم ....) [2]

تعقيب

بعد أن استعرضنا مثالاً واضحاً لمادية الملاحدة متمثلة في التيار الشيوعي قديماً وحديثاً . نقف الآن على بعض الفتاوى والتي أصدرها علماء ورجال الدين في الوطن العربي عن الشيوعية وموقف الإسلام منها .

يقول فضيلة الشيخ العالم الجليل محمد حسنين مخلوف عنها (أما الذي يقول أنا مسلم وفي الوقت نفسه يعتنق كل عقائد الشيوعية الماركسية ويدعو إليها وينادي بها في الواقع وإن كان في الظاهر يحاور ويداور فهو غير مسلم قطعاً لا يجوز نكاحه ولا دفنه في مقابر المسلمين بعد

---

[1] سورة الحجرات الاية رقم ١٣

[2] أخرجه البخارى فى صحيحه .

موتــه ولا صــلاة الجـنازة علـيه إذا مــات لأن ذلــك من خصائص المسلمين وحدهم)[١] .

وقــد أعلــن وزيــر العــدل الــع راقــي أبــان الحملــة الشائعة لترويج المادية الشيوعية وقتها سنة ١٩٦٠ قائلاً .

(...... وبـناء علـيه فـإن الشـيوعية كفـر بـالله وشرك به سبحانه وتعالى وعــدم إعــتراف بالديــن والأخــلاق ودعــوة إلى التحلل من القيم الروحية التي دعــا إلــيها الإســلام فــتكون الشــيوعية متعارضــة ومتناقضــة مــع الديــن الإسلامي وهي معه على طرفي نقيض ... وهما ضدان لا يجتمعان .)[٢]

ويقول أيضاً الشيخ محمد الغزالي رحمه الله .

(ولقــد عدهــم المســلمون مرتديــن جمــيعاً وخارجيــن علــى الإســلام أصلاً وفــرعاً ذلــك أن الإســلام يمــزج مــزجاً تاماً بين ما نسميه في عصرنا روحية وبيــن أركــان الشــريعة وفــروعها المتشــعبة فــي المجــتمع تشــعب الجهاز الــدوري فــي الجســم ..... وديــن كالإسلام يعد النظم المالية والسياسية جزء من كيانه يستحيل أن يتلاقى مع الشيوعية في ميدان الحياة العملية ..)[٣]

---

[١] فتاوى عن الشيو عية د/ عبد الحليم محمود صـــ ٦١ .

[٢] فتاوى عن الشيو عية د/ عبد الحليم محمود صـــ ٣٢ .

[٣] الاسلام فى وجه الزحف الاحمر – محمد الغزالى صـــ١٩٦ –٢٠٦ طمكتبة وهبة التاسعة ١٩٩٠ .

ويقــول فضــيلة الشــيخ العــالم الجلــيل (محمــد بخيــت – رحمه الله – (إن الشــيوعيين يــنكرون الأديــان ويــنكرون أخــلاق الأديان الموحى بها وينكرون الــنظام المالــي فــي الإســلام ويغتصــبون أمــوال الناس وأملاكهم وهم لذلك خارجون على الإسلام خروجاً جذرياً إنهم ملاحدة وكفار)[١] .

ويقــول برتــراند راســل فــي مقدمــة حديــثه للفلســفة عــن الماركسية (إن عناصــر الفلســفة الماركســية التــي اســتمدت مــن هــيجل كلها غير علمية بمعنى أنه ليس هناك أي سبب على الإطلاق للإعتقاد بصحتها)[٢].

أيضــاً نــرى أن الماديــة نفســها لا تســتطيع على أساس قوانينها الخاصة أن تشــكل اســتثناء مــن ذلــك فــلا يجــوز لهــا أن تدعي أنها قد وجدت التفسير النهائي للعالم أين هذا من قولهم إن كل شيء زائل ومتغير ومتطور .

يقــول برتراندرســل (إن الــرداء الفلســفي الــذي منحه ماركس للاشتراكية لم تكــن له أهمــية كبــيرة بالنســبة لمــا تــريده الاشــتراكية التخلي عن الرداء الهيجلي على وجه الخصوص .

إن تطبــيق المــنهج الجدلــي علــى الــتاريخ المعاصر يبين أن الماركسية تهدم نفســها بنفســها ذلــك أن الدعــوة الشــيوعية الخاصــة بالمجتمع اللاطبقي قد

---

(١) فتاوى عن الشيوعية صـــ ٢٦٢

(٢) أفكار مركسية فى الميزان – يوسف حجى صــ١٥ ط دار المعارف ١٩٨٠

تلاهــا فــي الــبلاد الشــيوعية نقــيض الدعــوى المتمــثل فــي مجتمع الطبقة الجديــدة وتــلا دعــوة المجـتمع الأخــوي العالمــي نقض الدعوى المتمثل في التناقضات القومية المتزايدة في المعسكر الشيوعي ،

إن الشــيوعية علــى الــرغم مــن حملاتهــا المتزايدة في تقرير مبادئها الجدلية الماديــة إلاّ أنهــا كمــا يقــول مــيلوفان جــيلاس فــي كتابه الطبقة الجديدة لم تستطع أن تحقــق هدفــاً واحــداً من أهدافها .... وقد أقامت نظاماً استبدادياً لا مثــيل له فــي تــاريخ العــالم . ولقــد ثــار الشعب عليها عدة مرات في شتى البقاع في عام ١٩٥٦ – ١٩٦٨م[١]

وقــد ســادها النفعــية وجلــب المصــالح لــدى رؤســاء الأحــزاب وقد أرادت اللاطبقــية وهــي مــع ذلــك وطنــت إلي الطبقية بحيث استولت طبقة من رجال الدولــة وأصــحاب الحــزب الشــيوعي علــى كــل ملكــية الشعب وجعلت نفوذ الدولــة نفــوذاً مطلقــاً وزادت مــن حدة الاستغلال والاضطهاد للشعب ووضعت نــزواتها وأهوائهــا فــوق العدالــة وخنقــت الانفعالات النفسية بقسوة وأقامت حكومة للاستعباد الجماعي .

والمتحدث بهــذا الكــلام رجــل مــن رجال الشيوعية السابقين الذي انشق عنهم عام ١٩٥٤م وألف كتاب الطبقة الجديدة .

---

(١) المرجع السابق صـ٢٣

ونكتفي بهذا القدر من هذه الانتقادات التي تعرضت لها الشيوعية

وبعد

فهذه وجهة المادية الجدلية والتي بنتها الشيوعية الفارغة وحملت لوائها وآن لها أن ينطفئ نورها الزائف كغيرها من التيارات والمذاهب الباطلة.[1]

وقد قامت الثورة في تشيكوسلوفاكيا وقد تم وأدها على يد رجال الجيش الروسي وكذا قام الشعب البولندي مع مساندة حركة التضامن العمالية ضد الشيوعية وقد كانت كل هذه الثورات إرهاصات بإنهيار هذا النظام الفاسد وكان طامة كبرى عليهم فتفكك الاتحاد السوفيتي وكذا دول أوربا الشرقية وإنهارت الشيوعية عام ١٩٩١م ولكن ما زال لها طرفاً في الصين وكوريا .

• علاقة المجتمع الاسلامي بالمجتمع المادي[2]

بعد هذه الاطلالة السابقة الذكر والتي عرضنا فيها على أهم النقاط الخاصة بنقد المادية عبر عصورها آن لنا أن نعرض طرفاً من علاقة من لا يؤمنون بالله واليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ويسميهم

---

(١) المرجع السابق صـ٢٣٤.

(٢) اعتمدنا في هذا على كتاب د/البهي .القرآن والمجتمع .ص ١٢٠ الى ١٤٦ ط مكتبة وهبة ١٩٨١م.

القــرآن مشــركين أو جاهليــن بالمؤمنيــن بالمجـتمع الاسلامي وصفاتهم التي امتازوا بها .

أولاً :- اسـتغراقهم فــي حــب الحــياة الدنــيا ومــتعها المادية وانخداعهم بها واتخــاذهم كــل ســبل ولــو مــنكرة غير إنسانية للحصول على المال أو المادة . وردهــم كــل شــيء فــي الوجود في نشأته أو تطوره ومراحل نموه إلى المادة وحدهــا . وعــن هــذا الوصــف يتحدث القرآن الكريم بقوله تعالى (زين للذين كفــروا الحــياة الدنــيا ....)[١] وقوله (وويل للكافرين من عذاب شديد ، الذين يسـتحبون الحــياة الدنــيا علــى الآخــرة)[٢] وقــد مــر بــنا ما كان من أحزاب الشــيوعية ومــا خصــت بــه نفســها دون غــيرها من نحو متع الدنيا . ولذا كــانوا أحــط مــن الأنعــام يقــول الله تعــالى (والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كمــا تــأكل الأنعــام والــنار مــثوى لهم)[٣] فلا إقامة للعدل والقسطاس المستقيم في شتى أمور حياتهم .

ثانياً :- ســخريتهم فــي أحاديــثهم مــن المؤمنين فهم لا يؤمنون إلاَ بالمادة المحسوســة ولــذا عــندما يســألون عن شيء في الدين يتعلق بالله أو بالكتاب أو بالرســول تــراهم يقولــون كمــا حكــى القــرآن الكريم (وإذا قيل لهم ماذا أنــزل ربكــم قــالوا أســاطير الأوليــن)[٤] وعن الوحي يقولون (.... وقال الذين كفــروا إن هــذا إلاَ إفــك افــتراه وأعانه عليه قوم آخرون)[٥] ... إلى آخر هذه

---

١ - سورة البقرة الآية رقم (٢١٢) / ٢ - سورة ابراهيم الآيتين رقم (٢، ٣) .
٣ - سورة محمد الآية رقم (١٢) / ٤ - سورة النحل الآية رقم (٢٤)
٥ - سورة الفرقان الآية رقم (٤)

الآيـات . وهـذا الأمـر راجـع إلي أن الاسلام دين واضح قد كشف زيغ هؤلاء وانحـرافهم عـن العقـيدة مـن نحـو الدعـوة إلـي الوحدة في الألوهية ونفي الشـريك والوثـنـية وهـم بفعلهـم قـد جعلوا لله أنداداً ليضلوا عن سبيله ولكن العاقـبة كمـا قـال الله تعـالى وبيـن أنهـا للمتقيـن حيث يقول (والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة والله يرزق من يشاء بغير حساب) (١)

ولا ننسـى حمـلات هـؤلاء الماديـين علـى المؤمنيـن والتـي دعـو فـيها لمشـاركتهم أموالهـم ومعاونـتهم ولكـن الله تعـالى بـرئ منهم هو ورسوله وفـي هـذا يقـول الله عـز وجـل (لا تجـد قومـاً يؤمنون بالله واليوم الآخر يـوادون مـن حـاد الله ورسـوله ولـو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشـيرتهم ....) (٢) فمـن يصـادق المخالفيـن له دون إخوانه في الإيمان فليس مطـيعاً ولا مؤمـناً بـشئ علـى سـبيل الحقيقة مما ينصح الله المؤمنين به وهذا الحكـم يـنطوي علـى تحذيـر شديد في إيذاء المخالف بالولاء والصداقة دون المؤنيـن الآخريـن إلاّ عـند عـدم اسـتطاعة المسلمين مواجهة الطغيان وفي هـذا يقـول الله تعـالى (إلاّ أن تـتقوا مـنهم تقـاة) (٣) وهكذا فالبعد عن هؤلاء فيه نجاة وسعادة في الدارين .

١- سورة البقرة الآية رقم (٢١٢) / ٢- سورة المجادلة الآية رقم ٢٢

٣- سورة آل عمران الآية رقم (٢٨) .

ثالثاً: العداء المتواصل عبر العصور.

يقول الحق تبارك وتعالى عن هذا (ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا)[1] ومن هنا فإن المادية ما هي إلا سلسلة من حلقات العداء للاسلام أراد بها أتباعها صد الإسلام عن مهمته وقد وجدناها تدعو للفرودية والداروينية وقد وجد بعد الحرب العالمية الثانية إتجاه ضد المؤمنين بنعتهم بالرجعيين والمتخلفين ناهيك عن التحرش وتدبير المؤامرة تلو المؤامرة لتشتيت قوتهم وتقليل الحماسة من ظاهرة الدين وعدها جريمة اجتماعية ومن هنا فرؤية المادية للدين على أنه خرافة ورؤية الدين غير ذلك ومن هنا فهما لا يلتقيان وفي هذا يقول الله تعالى (الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلي النور والذين كفروا أولياءهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلي الظلمات أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون)[2] ومن هنا كان واجباً على المؤمنين التمسك بحبل الله المتين في كل وقت وحين وعدم الاعتبار لأي شعارات كاذبة تريد من داخلها سلب المؤمنين قوتهم والعودة بهم إلي ديار الجهل والظلمات ومن هذا المنطلق فقد حرم الاسلام مصاهرة هؤلاء الماديين وقد مر هنا ما ذكر في كتاب فتاوى عن الشيوعية وفي هذا يقول الله تعالى (ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولعبد مؤمن خير من

---

١ - سورة البقرة الآية رقم (٢١٧). / ٢ - سورة البقرة الآية رقم (٢٥٧).

مشــرك ولــو أعجـبكم أولـئك يدعــون إلــي الـنار والله يدعــوا إلــي الجنة والمغفِرة بإذنه ....)

المونيـــة[٢]

المونـــية تـــيار ملحـــد يدعـــو إلـــي توحـــيد الأديـــان وصبهرها في بوتقة واحدة بهـدف إلغــاء الفــوارق الدينــية بين الناس جميعاً لمتزجوا في إطار وكنيسة (صنمو) الكوري الذي أسس هذا المذهب في العصر الحديث .

أهــم أفكار هـــذه الطائفــة

أولاً : القــول باتصـــال زعــيمهم بالمســيح علــيه الســـلام وأنه يتلقى الوحي مـــن الســـماء وأنـــه نبـــي وشـــعاره توحـــيد الأديان على اختلاف فروعها فلا فــرق بـيـن وثنــي ويهــودي ولا بيــن مســلم ونصراني الكل في الدين واحد والكــل ســواء فـــي عقــائدهم وهــذا القول يعدونه تعويضاً عن النصرانية وما لحق بها .

١ـ سورة البقرة الآية رقم (٢٢١) .

[٢] مؤسس هذه الفرقة هو القس الثري صن مون المولود في كوريا عام ١٩٥٠م وقد زعم أنه على إتصال بالمسيح عليه السلام منذ عام ١٩٣٦م في عام ١٩٧٣ إنتقل إلى الولايات المتحدة وعقد صلات عدة مع كبار الشخصيات هناك وقد ألقي القبض عليه وأودع السجن الفدرالي بأمريكا لمدة سنة ونصف بسبب تهربه من دفع الضرائب وقد صور سجنه على أنه إضطهاد بسبب معتقده الديني وتوجد هذه الحركة في جنوب ووسط أمريكا ولهم علاقات قوية في تشيلي وأروجواي والأرجنتين وهندوراس وبوليفيا ولهم في ايرلندا مركزاً و كنيسة إسمها الكنيسة التوحيدية .

ثانياً : القول بأن الشيطان قد أقصى آدم عن مهمته وهي إنجاب الأسرة الكاملة .

ثالثاً : القول بأن عيسى عليه السلام قد خلق آدم وفشل في أ مر الزواج .

رابعاً : القول بالإنسان الكامل متمثلاً في خلق جديد يتحد مع زوجه مثالية يمكن أن يتحقق من خلالها الإنسان الكامل .

ويقصد أصحاب هذا التيار مكا يلي :

أولاً : التبشير بالنصرانية في صورتها الجديدة بعدما أصابها الأضطهاد والخراب.

ثانياً : إلغاء الرسالات السماوية وكفها عن دورها فوجودها عبث مع القول بوحدة الأديان .

ثالثاً : فتح باب النبوة على مصراعيه . **رابعاً :** إلغاء التكاليف الشرعية .

خامساً : مساواة الحق بالباطل وجعلهما في صورة واحدة فلا فرق بين موحد ومعدد أو مثلث وهكذا .

إن الحــق واحــد فــي جمــيع صــوره ولكــن هــذا لا يعنــي إلغــاء الفوارق الصــحيحة بيــن الأديــان الوضــعية والإلهــية ناهيك عن التي أصابها التحريف والتــبديل.وقــد شــاع هــذا الأمــر وهــو توحــيد الأديان بين أرباب الفلسفات الصوفية ووجدنا قولاً منسوباً لابن عربي ت ٦٣٨- ١٢٤٠م يقول فيه

لقد كنت قبل اليوم أنكر صاحبي إذ لم يكن ديني إلي دينه داني

لقد صار قلبي قابلاً لكل صورة فمرعى لغزلان ودير لرهبــان

وبيت لأوثان وكعبة طائــــف وألواح توراة ومصحف قرآن

أدين بدين الحب أنى توجهت ركائبه فالحب ديني وإيماني[١]

ويقول أيضاً

عقد الخلائق في الإله عقائداً وأنا أعتقدت جميع ما اعتقدوه

فهــذه الفــرقة قــد حاولــت إصباغ نصرانيتها بصبغة صوفية في بعض نواحيها لتــتخفى ولتعلــن تأصــيل شــأنها.فمن المعلوم أن هؤلاء القوم يقولون بالحلول والاتحــاد واللذيــن كانــا مدخــلاً للقــول بوحــدة الأديان كما رأينا عند مؤسس هــذه الفــرقة الضــالة.ولســنا نغالــي عندما نعود للشهرستاني رحمه الله وهو يحدثــنا عــن طائفــة الخابطــية أو الحديثــية والــتي زعمــت أن عيسى عليه الســلام قــد خلــق آدم وهــذا قــول بــاطل إذ كيف يخلق الأبن أباه ناهيك عن

(١ ، ٢) في التصوف الإسلامي – نيكلسون صـــ ٨٦ وما بعدها .

عدم صلاحية هذا الأمر نفسه لعملية الخلق والتي برئ منها عيسى عليه السلام في قوله تعالى (وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذني فتنفخ فيها فتكون طيراً بإذني ...)[2] ناهيك عن المدة الطويلة بين آدم وعيسى عليهما السلام . ومن هنا فإن تعاليم هذه الطائفة ما هي إلا خليط من النصرنية المحرفة والأديان السابقة عليها التي أراد رائدها تجديد دماءها المتناثرة في بوتقة جديدة تدعو للدهشة وللحيرة وصدق الله العظيم إذ يقول (.... قد قالها الذين من قبلهم فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون)[3]

١- راجع التبصير في الدين . لأبي المظفر الاسفرايني . تعليق محمد زاهد الكوثري . ص ١٢٠ . ط مطبعة الأنوار

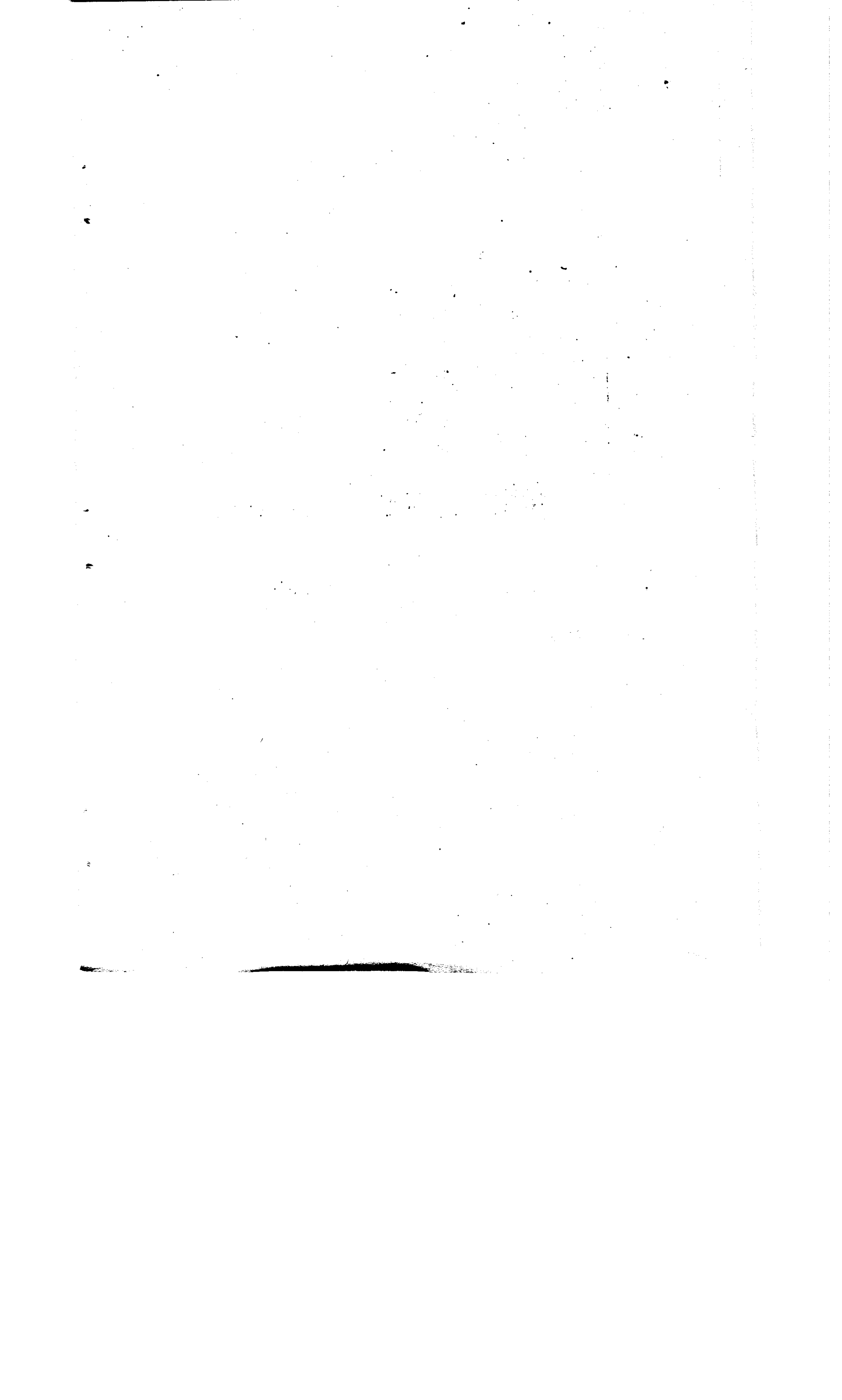
(٢) سورة المائدة الآية رقم (١١٠)

(٣) سورة الزمر الآية رقم (٥٠).

الفصل الأول

تشارلز داروين ونظرية التطور

١٨٠٩ - ١٨٨٢م



تشارلس داروين

١٨٠٩ – ١٨٨٢م

المبحث الأول

حياته - آثاره

ينسب التيار التطورى إلى تشارلز داروين وإن سبق فى هذا الميدان بغيره فلم يكن هو أول من ذهب إلى القول بتطور الإنسان من حالة حيوانية دنيا متواضعة فإن فكرة التطور كانت قبله مجرد نظرية بحته فأصبحت على يديه وبعد ظهور كتاب أصل الأنواع مبدأ علميا معترفا به رغم كل الشكوك والإنتقادات والمآخذ التى وجهت إلى هذه النظرية إلا أنه صاحب الحظ الأكبر فى نشأة هذه النظرية .

أولا : حياته - مصنفاته

- هو تشارلز روبرت داروين . العالم البريطانى الطبيعى الشهير . ولد فى ١٢ شباط ١٨٠٩ وتوفى فى نيسيان ١٨٨٢م .عن ثلاثة وسبعين عاما كانت أمه ابنة صانع خزف اسمه (ودجود) أدخله والده فى كلية يسرع بجامعة كيمبردج لينخرط فى سلك اللاهوت وبعد أن أكمل دراسته بالكلية . قام سنه ١٨٣١م برحلته الشهيرة حول العالم التى استغرقت خمس سنوات وكانت هذه الرحلة ضمن البعثة البريطانية التى أوفدت على ظهر السفينة بيغل وقد أطلع فيها على الكثير من أسرار عالم الحيوان والنبات ولم يكن قد عرف عنه القول بالتطور بل سبقه لامارك الفرنسى بهذا القول ويلاحظ

تنكر دارون لأقوال لامارك قبل رحلته لكفـــه عـــدل عـــن آرائـــه بعـــد رحلتـــه وصار قطباً من أقطابها الداعين لها . واستغرقت أبحاثـــه بعـــد عودتـــه حوالـــى ربع قرن يحاول أن يدعمـــها .

ولقد أقر أن الإنسان والمجموعة الشبيهة بـــه كالشـــمبانزى منحـــدران مـــن أصـــل واحد . تزوج دارون عام ١٨٣٩م . وكان من سكان لنـــدن ثـــم انتقـــل منـــها إلـــى داون سنه ١٨٤٢م . وبقى بها إلى أن وافتـــه المنيـــة .

نال دارون وسام الاســـتحقاق الـــبروس سنة ١٨٧١م وفـــى سنه ١٨٧٨م صـــار عضوا فى الأكاديمية الفرنسية وقد عمـــل دارون سكرتيراً للجمعيـــة الجيولوجيـــة من سنه ١٨٣٨م إلى ســـنة ١٨٤١م .

*** أثـار دارون العلميـة :-**

١- مذكرات رحلة حـــول العـــالم ١٨٤٢م

٢- مشاهدات جيولوجية فى أمريكـــا الجنوبيـــة ١٨٤٦م .

٣- ضل الأنواع عن طريـــق الانتخـــاب الطبيعـــى ١٨٥٩م .

٤- تلقيح زهر الأركيديا بواســـطة الحشـــرات ١٨١٢م .

٥- الحركة للنباتات المتســـلقة وعاداتـــهما ١٨٦٥م .

٦- تغير الحيوان والنبات فى حالـــة الدجـــل ١٩٦٨م .

٧- أصل الإنسان ١٨٧١هـ .

٨- التعبير عن العواطف فى الإنســـان وفـــى الحيـــوان ١٥٧٢م .

٩- النباتات أكلـه الحشـرات ١٨٧٥م .

١٠- تسميد البسـاتين ١٨٨٠م .

المبحث الثانى

ثانيـاً " الجـذور التاريخيـة لمذهـب دارون "

* حفلت البيئة اليونانية بفلاسفة طبيعيين تكلموا عن التطور منهم أنكسمندر ٦١٠ ق .م

وقد افترض أن الحياة قد تولدت فى البيئـة الرطبـة وكـانت جميـع الأحيـاء فـى البداية أشبه بالأسماك ذات الغلاف السميك وكذلك تطور الإنسـان عـن نـوع مـن الأسماك أو احتضنته الأسماك حتى أمكنه الحياة علـى سـطح الأرض الجافـة .

وبذلك يكون أنكسمندر أول فلاسفة التطـور فـى تـاريخ الفلسـفة وسـبق بـلاس ودارويـن بمئات القرون من الزمـان .[١]

وأعقبه أنكسا غوراس ٥٠٠/٤٢٨ ف . م فقد ذهب إلـى أن أصـل الحيـاة كـانت جراثيم تسبح فى الجو فساقتها مياة الأمطار إلـى حيـث تكـاثرت وتنوعـت علـى

• راجع تاريخ الفلسفة الحديثة يوسف كرم ص ٣٥١

• الموسوعة الفلسفية جا ص ٤٧٣ . وما بعدها .

*نظرية التطور بين العلم والدين على أحمد الشحات ص ٣٠-٣٣ ط الخانجى .

[١] الفلسفة اليونانية . أميره مطر ص ٥٠ وما بعدها .

*راجع حكمه الغرب برنواندرسل ص ٣٥ وما بعدها عالم المعرفة ١٩٨٣م .

الوجه الذى نراه وعلل رقى الحيوان على النبات بأنه طليق غير مرتبط بالأرض ورقى الانسان على الحيوان بأن له يدان .(٢)

* ومن فلاسفة فرنسا ديدرو – دينس ١٧١٣-١٧٨٤م الذى ذهب إلى القول بأن المادة هى أوجدت نفسها بدون حاجة إلى خالق وأن الأحياء تتطور إبتداء من خلية تحدثها المادة الحية بحيث تحدث الأعضاء الحاجات وتحدث الحاجات وتحدث الحاجات الاعضاء .(١)

* وأما جان لامارك* فهو الزعيم الإلحادى لهذه النظرية حيث زعم أن الحياة الأولى تولدت من المادة تولد ذاتيا ودونما تدبير من مدبير أو إرادة من مريد وقد قرر عدة مبادئ فى التطور أهمها :-

١- تغير ظروف البيئة المحيطة بالحيوان يؤدى إلى تغير الأجهزة العضوية فيه .

٢- الحاجات الناجمة عن هذا التغير يؤدى إلى خلق أعضاء ملائمة .

٣- الأعضاء والتراكيب فى الحيوان تقوى وتتحسن بفضل تقوية استعمالها وتضمر بسبب قلة استعمالها أو ضعفه .

٤- بتوالى هذه الأجيال تصبح هذه التغيرات وراثية .

*لا مارك عالم فرنسى اسمه جان بابتست لامارك ولد سنه ١٩٤٨م درس عام النبات ثم تتلمذ على عالم النباتات الشهير برنارده جوسيه كما درس علم الفلك

---

(٢) راجع الفلسفة اليونانية ص١٠٦ وما بعدها .

(١) تاريخ الفلسفة الحديثة ص ١٩٠ - وما بعدها .

وبدأ فلسفته بالقول بنظرية التطور والارتقاء وأعلن ذلك بنظرية التطور والارتقاء فى عام ١٨٠٠م وتوفى سنه ١٨٢٩ م وقد أودع بحثه الخاص بهذه النظرية فى كتابة فلسفة علم الحيوان ١٨٠٩م .

المبحث الثالث

* مفهوم التطور

أن الكائنات الحية فى تطور دائم علـــى أســاس مــن الانتخــاب الطبيعــى وبقــاء الأصلح فتنشأ الأنواع بعضها من بعض ولا سيما النـــوع الإنســانى الــذى انحــدر عن أنواع حيوانيــة . [١]

- أن الحياة الأولى للانسان والحيوان والنبــات بــدأت علــى ظــهر هــذه الأرض بحر جرثومة أو جراثيم قليلة تطورت من حال إلى حـــال تحــت تــأثير قواعــد طبيعية حتى وصلت إلى هذه التنوعات التى نراهــا وعلــى رأســها الإنســان . [٢]

- التغيرات النوعية التى تستحدث أو تنشأ فى الكائنات وترتقـــى بــها ســواء فــى تركيبها أو ســلوكها [٣]

---

[١] المعجم الفلسفى - الصادر عن مجمع اللغة العربية ص ٨٣ .

[٢] الاسلام ونظرية داروين محمد أحمد باشميل ص ٣١ دار الفتح الثالثة ٨٤م .

[٣] المعجم الفلسفى / عبد المنعم الحفنى -- ص ٦٣

المبحث الرابع

رابعا (مبادئ دارون)

استند دارون في دعواه بالقول بالتطور إلى عدة مبادئ منها :-

المطلب الأول

١- الحفريات ويختص "بعلم الجيولوجيا" وتعرف الجيولوجيا بما تتضمنه الصخور الرسوبية من بقايا متحجرة لنباتات أو حيوانات عاشت في الماضي أثناء تكون الصخور التي تحتويها *

وقد سجل علماء الحفريات تطورا للجنس البشري يتضمن مجموعة من الأشكال التي اقتربت وابتعدت أحيانا عن الإنسان الحالي ولكن أقرب هذه الحفريات متشابهة للإنسان فيما يزعمون ما يسمى بإنسان كرو ما يثون والذي عاش من ٣٢٠٠٠ سنة إلى ١٥٠٠ سنة واكتشفت حفريات هذا النوع في كهوف بوسط فرنسا . ومعها بقايا حفارية على هيئة أسلحة وعاج منحوت.وأما عن الأنواع المتوسطة بين الرجل والقرد الإفريقي وإنسان كرومايثون فهي على النحو التالي:-

أولا : إنسان جنوب افريقيا .

ثانيا : إنسان جاوه (بأندونيسيا) .

ثالثا : إنسان بكين (في الصين) .

---

* راجع المعجم الفلسفي ص ٣٢ وما بعدها .

رابعا : إنسان هايدلبرج (ألمانيـــا)

خامسا: إنسان نياندرثال اكتشفت حفرياته بالقرب مـــن دو ســيلدورف بألمانيـــا .

سادسا: الإنسان العاقل بدأ ظهوره منذ حوالـــى ١٢٠٠٠٠ ســنة والتغـيرات حسـب زعم علماء التطور التى أدت إلى تكوينه عقلية أكـــثر منـــها جســمانية.(٢)

• كل هذه الأمور كانت من وراء إدعاء أربـــاب التطـــور أن الأنـــواع لـــم تخلـــق خلقا مستقلا منذ البدء بل نشأت كالضروب من أنــــواع أخـــر .

المطلب الثانى

ثانيا : الإنتخاب الطبيعى – والتغيير من نوع إلى نوع جديد – (البقـــاء للاصلـــح)وهو تعبير صدر عن هربرت سبنسر وليس عن داروين .

- إن عملية التلائم الطبيعى مع البيئـــة قـــد قررهـــا دارون حيـــث رأى أن تمـــاثل الكائنات الحية فى بقية الجســـم وانفراقـــها أنواعـــا بحيـــث يتمـــيز كـــل منـــها بسمات تلائم بينه وبين البيئة اعتبر ذلك دليلا على أنـــها تطـــورت مـــن أصـــل واحد أو عدة أصول وأنها فى تكاثرها تلـــد أصنافـــا تتمـــيز ببعـــض المغـــايرة ، وأن هذه المغايرة تمكنها من التلائم مع البيئة والبقـــاء والتنـــازع علـــى القـــوت والصراع فى سبيل البقاء وأن البقاء للأصلـــح أى للـــذى يكـــون أكـــثر تـــأهيلا للتلائم مع البيئة " ومن هنـــا فغايـــة هـــذا الأمـــر تحســـين الأنـــواع الموجـــودة بالفعل ومعاونتها على التكيف بالبيئة والصـــراع علـــى البقـــاء " (١)

---

(٢) الاسلام والاتجاهات العلمية د يحيى هاشم فرغل ص٣١ ط دار المعارف .

(١) راجع المعجم الفلسفى عبد المنعم الحفنى ص (٣٢)

ومن هنا فإن الكائنات في صراع دائم علـى البقـاء والحيـاة ولا بقـاء إلا للأقـوى أو للأصلح – لما في طبيعة الكائنات العضويـات مـن قابليـة للإزديـاد والتكـاثر وكل كائن في الوجود إن انتج في حياته عددا وافرا مـن البيـض أو البـذور فلابـد أن ينتابه الهلاك فـي بعـض أدوار حياتـه أو فـي غضـون بعـض الفصـول أو السنين إتفاقا وإلا فإن عدة أفراد يتكاثر بنسبة هندسـية لا يتصورهـا الوهـم حتـى لقد تصغر أي بقية من البقاع دون أن تعضد نتائجـه وسـنن الحيـاة تقضـي بـأن يربو (يزيد) عدد الأفراد الناتجة على العاجز منـها علـى البقـاء ....[٢]

وقد كتب مالتوس مقـالا فـي عـام ١٧٦٦-١٨٣٤م[١]- عـن التعـدد وتكـاثر السكان وبين فيه أن زيادة عدد السكان تجعلـهم يتنافسـون فيمـا بينـهم ولا يبقـى منهم إلا أرباب القوة ومـن استطاعوا التكيـف مـع الوسـائل والحـالات التـي يقضيها التنافس فإذا كان التحول العضوي قد يحـدث فـي ظـل الطبيعـة الصرفـة حدوثه في ظل الإيلاف إذن فالتكـاثر غـير المحـدود يقضـي تنـافس الضـروب

---

[٢] أصل الانواع ص١٩٤.

[١] تاريخ الفلسفة الحديثة ٣٥٢.

المختلفة وأن ذلك التنافس لابـد أن ينتـهى بانتخـاب الأكـثر تكيفـا مـع مختلـف الحيـاة [٢]

• ولعلنا نلاحظ التكتلات الإقتصاديــة فــى العــالم مــن حولنــا ونظرتــها إلــى الشعوب الأخرى نظــرة ازدراء واحتقــار..

وقد تأثر داروين بما كتبه مــالتوس حــول البقــاء للأصلــح وهــذا القــانون يتبعـه قوانين فرعية هــى

أ- الملائمة بين الحى والبيئــة الخارجيــة

ب- استعمال الأعضاء أو عدم استعمالها .. بحيــث تنمــو الأعضــاء وتضمــر أو تظهر أعضاء جديدة تبعا للحاجـــة

ج- قانون الوراثة . انتقال الإختلافات المكتسبة بقوتـــها إلـــى الذريـــة [٣]

وعصارة الأمر – أن داروين يــرى أن الكائنــات القويــة هــى التــى تسـتطيع أن تقهر عوامل الفناء والهلاك وأما الكائنات الهزيلة فلا ســبيل لــها الأمــر فســرعان ما تضمر وتهلك وأن هذه الكائنات القويــة تتلائــم مــع بيئتــها الخاصــة وتــورث صفاتها القوية لغيرها . ومع مرور الزمن تتكون صفــات جديــدة للكــائن أو ينشــأ سلالة قوية وهو ما يعرف بالنشوء وما يــزال الكــائن يرتقــى فــى هــذه السلســلة القوية إلى كائن أعلى ويستمر هذا الإرتقاء وما يعــرف عــن هــذه النظريــة باســم النشوء والإرتقاء ومن ثم تظهر سلالات قوية هى القــادرة علــى البقــاء ومواجهــة

---

[٢] مقدمة اصل الانواع اسماعيل مظهر ص٧٥ .

[٣] تاريخ الفلسفة الحديثة يوسف كرم ص ٣٥٢ .

صراع الحياة وبتكيف أفرادها مع البيئة أو الطبيعة التي نقلتهم من حال إلى حال .. وهكذا فلا وجود للخالق في تدبير الكون بل الطبيعة خالقه كل شيء وهذا ما يلتقي مع الشيوعية وأصحاب الإتجاه الآلي وفي هذا يقول الأستاذ يوسف كرم

" النظرية الداروينية آلية بحتة تستبعد كل غائية ولا تدع للكائن الحي قسطا ما من التلقائية بل تعتمد على محض الإتفاق أو الصدفة في حياة النبات و الحيوان ".[1]

المطلب الثالث

علم الأجنة

ثالثا : اعتمد دارون فى تثبيت أركان نظريته على التشابه الموجود في الأجنة ورأى أنها بذلك تنحدر بعضها عن بعض ..

---

(١) المرجع السابق ص٣٥٠ .

- لاحظ دارون ما يفعله مربو الماشية حيث يحصلون على أصناف جديدة بالمزاوجة بين الأفراد الذين يلاحظون فيها تغيرات ضئيلة ملائمة فقد رأى الأفراد الذين يكتسبون وظيفة أو عضوا ملائما لظروف حياتهم أقدر على الصراع من العاطلين من تلك الوظيفة أو ذلك العضو فيحسن الألون نوعهم وينقرض الآخرون فهناك إذن إنتخاب طبيعي يشبه الانتخاب الصناعي إلا أنه خلا من القصد والنظام .

راجع تاريخ الفلسفة الحديثة يوسف كرم ص٣٥٢ .

المطلب الرابع علم وظائف الأعضاء

رابعا: كما اعتمد علـى وظـائف الأعضـاء الفسيولوجية . والتـى تتشـابه مـن شخص لآخر ومن كائن إلى كائن آخر فعلـل ذلـك كلـه بـالتطور .. فمعلـوم أن جميع الفقريات يوجد بـها منطقـة رأس وجـذع وذيـل وأطـراف وأن الأعضـاء الداخلية تتشابه فى جميـع الفقريـات (الجـهاز الـهضمى – التنفسـي – الـدوري ...)

ويؤكد التطوريون أن هذا التشابه ليس إلا بيـان لحقيقـة التطـور.[1]

---

[1] راجع الاسلام والاتجاهات العلمية الحديثة ص ٣٩ وما بعدها .

الفصل الثاني

النقض العلمي لنظرية التطور

المبحث الأول

• أهم الردود العلمية لنظرية التطور

التحول الفجائى

١-يقول العلامة دوفرى (إن التجارب العلمية الحسية أثبتت بطلان هذه النظرية فأعلن مشاهدات فيما سماه بالظهور الفجائى لأنواع نباتية جديدة طفرة بدون مرورها على صور تدريجية متنزلة من أسلافها الأولية) فإذا كانت النظرية تفترض حدوث تغيرات بطيئة فى الكائنات الحية فكيف تفسر لنا هذه الإنتقالات الفجائية.وما العلاقة العجيبة بين دودة القز التى تدب على الأرض وبين انتقالها الفجائى إلى فراشة تطير بأجنحتها محلقة فى الفضاء وفى هذا يقول أيضا جوستاف جوليه فى كتابه (على أطلال المذهب المادى) إن الحشرة بظهورها من أقدم عهود الحياة الأرضية وثبات أنواعها فى جميع الأحوال بعد بروزها تناقض ما هو مسلم من التحولات البطيئة كما تقول نظرية دارون) وهنا يعلو صوت العلم ليثبت بطلان هذه النظرية .. فإن نظرية التطور تقول إن أحط الحشرات كالدودة مثلا تتطور إلى حيوانات أعلى منها تدريجيا حتى تصل إلى حيوانات أكبر فأكبر ريشية ومجنحة ، فحيوانات أعلى ذات فقرات الخ... ولكن واقع دودة القز والحرير ينسف هذه النظرية من أساسها تماما.

- فالتحول الذى يحدث لدودة القز والحرير لا يتم لترقى هذه الدودة وتتطور إلى أنواع أرقى منها وأعلى كما يرى التطوريون وإنما هو عامل

ضروري ثابت لإنتاج القز والحرير إذا بـــدون هـذا التحـول يستحيل علـى الإنسان الحصول على شئ من هذه المـــادة المتينـــة.

• يقول الأستاذ مزجف (إنه يتبين لنا من الواقع أن بيـــن الإنســـان والقـــرد فرقـــا بعيدا فلا يمكننا أن نحكم بأن الإنسان سلالته القـــرد أو غـــيره مـــن البـــهائم ولا يحسن أن نتفوه بذلـــك).

المبحث الثاني

ثانيا: وسائل الدفاع عن النفـــس :-

إن كل حيوان له وسائله الخاصة به من حيـــث دفاعـــه عـــن نفســـه ضـــد أعدائـــه وهذا واقع مشـــاهد ومرئـــي . فـــإذا أرادت نظريـــة التطـــور أن تطـــور الحيـــوان الزاحف إلى طير أو تطور الطير إلى حيـــوان زاحـــف بصـــورة تدريجيـــة بطيئـــة فإنها بذلك تكون قد حرمتها من وسائلها الدفاعية وفـــي هـــذا هلاكـــه .

• يقول أرمون بريبه مدير الآثار الحيوانات فى باريس (أخـــذ البـــط يعـــوم لأنـــه وجد لنفسه أرجلا مكففة تصلح للعوم فـــهذه الحيوانـــات قـــد أعـــدت مـــن قبـــل للعوم فتكونت لها أرجل مغشاه على مـــر الســـنين)

• ألا يدل هذا على خلق محكم من لدن حكيـــم خبـــير ؟..

المبحث الثالث

ثالثا: إنتقال الصفات الوراثيـــة

نسف قانون علم الوراثة تلك الصورة مـــن أساسـها وأثبـت أن الله مبـدع للكـون وخالق له وإليك طرفا من قـول علمائـهم :

يقول (كريس موريســون):

(إن القائلين بنظرية التطور لم يكونوا يعلمون شيئا عـن وحـدات الوراثـة .. كـل خلية ذكرية كـانت أو أنثويـة تحتـوى علـى صبغيـات أو كروموزمـات تحمـل المورثات التى تعتبر العامل الرئيسي فيما سوف يكـون عليـه كـل كـائن حـي أو إنسان ، وتبلغ هذه الصبغيات من الدقـة أنـها وهـى المسـؤولة عـن المخلوقـات البشرية جميعا التى على سطح الأرض من حيـث خصائصـها الفرديـة وأحوالـها النفسية وألوانها وأجناسها لو جمعـت كلـها ووضعـت فـى مكـان واحـد لكـان حجمها أقل من حجم الكشتبان وهذه الصبغيات الدقيقة هـى التـى تحفـظ التصميـم وسجل السلف والخواص لكـل كـائن حـى وهـى تتحكـم تفصيـلا فـى الجـذر والجزع والورق والزهر .. لكل نبات تماما كمـا تفـرز الشـكل والقشـر والشـعر والأجنحة .. لكل حيوان وكذلـك الإنسـان)

فالمورثات الموجودة فى الخلية الأولى للمـرء هـى التـى حـددت شـكله الحـالى وليس ذلك من تأثير البيئة ولا دخل لعامل التطـور فيـه .

• ثم إن التحولات الجذرية فى الحيوانات عن طريق الوراثـة ليسـت دليـلا

لهم ، كما يرى الأفغانى فمن واهياته ما كان يرويه دارون من أن جماعة كانوا يقطعون أذناب كلابهم فلما واظبوا على عملهم هذا قرونا ..

- صارت الكلاب تولد بلا أذناب كأنه يقول: حيث إنـــه لـم تعـد للذنـب حاجـة كفت الطبيعة عن هبته .. وهل صمت إذن هــذا المسـكين عـن سـماع خـبر العبرانيين والعرب وما يجرونه من الختان ألوفا مـــن السـنين لا يولـد مولـود حتى يختتن وإلى الآن لم يولد واحد منـــهم مختونـا إلا لإعجـاز . وقـد بينـت مصادر علماء البيلوجيـا فـى الوقـت الحـالى فـى مجـال الوراثـة أن كـل الكائنات العضوية تخضع لنفس الشفرة الوراثية مما يقـــوى فـى نظـر هـؤلاء العلماء احتمال وجود أصل واحد مشترك لكل هذه الأشـكال مـن الحيـاة ..

المبحث الرابع

رابعا: وجود الأنواع المتباينـــة

- يلاحظ المشاهد لعالم الحيوانـــات وعـالم الطيـور ... أنواعـا متباينـة علــى الرغم من اتحاد جنسها . ففى الطيـور الأحمـر والأسـمر مـن حيـث اللـون ومن الحجم النسور والصقـور .... والـخ

وكل مهيأ لما خلق له ومنها مـــا يعيش فـي الصحـراء وأخـرى فـى الأمـاكن الجليدية ....الـخ

فلو كانت تلك النظرية صحيحة لا تحـدت هـذه الأجنـاس ولسـارت علـى نسـق واحد من الترقى حتى يصل إلـى ذروة الكمـال .

وعن هذا يقول الافغانى رحمه الله (إن سئل داروين عن الأشجار القائمة فى غابات الهند والنباتات المتولدة من أزمان بعيدة لا يجد التاريخ الإ ظننا وأصولها تقرب فى بقعة واحدة وفروعها تذهب فى هواء واحد وعروقها تسقى بماء واحد فما السبب فى اختلاف كل منها عن الآخر فى بيئته أو أشكال اوراقه وطوله وفقره وضخامته) ..

ورقته وزهره وثمره وطعمه ولا تحته وعمره فأى فاعل خارجى أثر فيها حتى خالف بينها مع وحدة المكان والماء والهواء ... أظن لا سبيل الى الجواب سوى العجز عنه .

المبحث الخامس

خامسا :- إنعدام الحياة

عملية تحول الخلية الحية سواء أكانت لإنسان أو حيوان كما يرى التطوريون قول متهافت لأنه يترتب عليها العبث فى الكون وعدم كفايته للحياة وعدم وجود القسط فيه – فلو تحولت خلية نباتية مثلا إلى حيوانية لسبب ذلك إنعدام الأوكسجين وبالتالى إنعدام الحياة وقس على ذلك سائر الأمور الأخرى .

المبحث السادس

سادسا :- ثبات الخلق

وعن هنا يحدثنا الاستاذ المرحوم محمد فريد وجدى حيث يقول :

*- أننا لم تشاهد أى أرتقاء من أى نوع كان فى الأحياء الأرضية منذ ألوف السنين فلم يثبت فى أى عصر من العصور أن عصفورا تحول إلى ديك أو أن

قردا تطور إلى إنسان فلو حدث شئ مثل هذا لتواتر خـبره وشـاع عـبر العصـور ..

•- عدم وجود الصيورة المتوسطة بين الأنـــواع اللازمـة لدعـم مذهـب التطـور كأن يوجد مثلا زاحف فى طريق تطوره الـــى طـير .

•- عمر الأرض لا يكفى لإثبات هذه النظريـــة لطـول الزمـان الـلازم لحصـول عليه الترقى التى قدرها بعضهم ببلايين السـنين . أيضـا - جـاء العلـم الجديـد للكشف أن للإنسان صفات ثابتة لا يلحقها أى تغير لأنــها صفـات تحملـها خلايـاه الوراثية كأنــها بصمـات أصـابع شـخص واحـد لا تتغـير طـوال عمـره وأن المكتسبات الجديده تضاف الى تلك الصفات الثابتـة ولا تمحوهـا أو تبدلـها ..

المبحث السابع

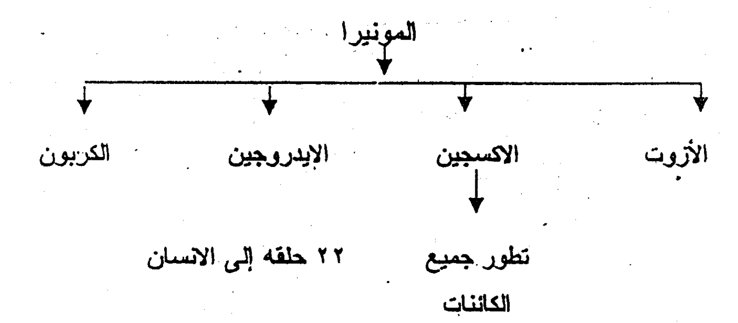
سابعا :- اكتشافات ومشـــاهدات

اعتمد أرباب التطور فيما ذهبوا إليـه علـى القـرد المسـمى أوسـتر الوبيشـكوس (قرد الجنوب) والذى عثر عليه جمجمة لـه عـام ١٩٢٤م فـى جنـوب إفريقيـا واعتبروه الجد الأول للإنسان والذى يعود الى ١١٥ مليـون سـنه واليـوم يكشـف العلماء فى تشرين الأول سنة ١٩٧٤ فكا متحجرا كـاملا وسـليما لإنسـان عـثروا عليه فى وادى أواش في الحبشـة وقـدروا عمـر فكـه إلـى ٣-٤ ملاييـن سـنة وبذلك يكون الثانى (صورة فك الإنسان) أقدم عمـرا ممـا ذهبـوا إليـه ، وينتـج من هذه المغالطة أن الإنسان خلق كهيئته ولم يتطور عـن شـئ وأن القـرد حيـن خلق خلق كهيئته . فاين التطور من كل الخلقتين ألا سـاء مـا يحكمـون !

المبحث الثامن

الحلقات المفقـــودة

إن فقدان الصور الوسطى التـــى تربـــط بيـــن الأنـــواع وعـــدم ظـــهور جزئيـــات التحول الحقيقى فى شعب النظام العضوى فى الحفريـــات التـــى عـــثر عليـــها مـــن الآن دليل على أن المذهب غير صحيح أو على الأقل غير كـــامل فـــى كثـــير مـــن وجوهه العلمية والإســـتنتاجية



ونزيد الأمر وضوحا كمـــا يـــرى أرنســـت هكـــل الـــذى ذهـــب إلـــى أن الوجـــود الضرورى الوحيد هو المادة وأن الحياة ترجـــع إلـــى أصـــل واحـــد هـــو المونـــيرا التى تركبت اتفاقا من الأزوت والأيدروجين والأكســـجين والكربـــون ثـــم تطـــورت على التوالى حتى تكونت جميع الكائنـــات الحيـــة

وقد عد هكل اثنتين وعشرين حلقة بيـــن المونـــيرا والإنســـان ووضعـــها مســـتعينا بذلك ببقايا الأحياء فى طبقـــات الأرض

واستطاع أن يسد بعض الفراغ في سلسلته بتصور بعض الكائنات الحية كي يبرهن على صحة القول بالتطور .

وهكذا يتناقض الماديون مع أنفسهم فيما ذهبوا إليه فهم لا يؤمنون إلا بالمحس والمرئي فكيف يثبتون تصورهم على حلقات لا يعرفونها – وأنى لهم ببداية الخلق ...!!

فهم يزورون العلم من أجل مصلحتهم .

يقول اسماعيل مظهر (إن الباحث إذا تعمق في الدرس وجد أن الجيولوجيين والحفريين وعلماء التاريخ الطبيعي والحياة قد اتفقت مباحثهم على الإيمان بوجود حلقات تربط بين كثير من الأنواع الحية وحلقات تربط بين أنواع حية وأخرى منقرضة منذ أزمان موغلة في القدم)

وقد رد الأسقف اسطفا مذهب دارون مطالبا إياهم بالحلقة التي يعترف الداروينيون بأنها مفقودة والتي لم ير لها أثر أو عين بين الأحياء ولا بين الأموات ، لا في الأحافيش ولا في المتحجرات .

ولقد اعترف دارون بهذا النقض الموجه إلى هذا الموضع من النظرية يقول : (الحقيقة إن علم الجيولوجيا لا يحبونا بتلك السلسلة المنظومة من الصور العضوية. والراجح أن هذا الإعتراض أنكى ما يقوم في وجه التطور.)

المبحث التاسع

تاسعا :- التشابه التشـــريحى

إن التشابه التشريحى لا ينهض دليلا لهؤلاء بل يثبـت ذلـك وحـدة الخــالق لأنـــه خلقها على غير مثال سبق . بخطة واحدة وبنظام واحـــد يقـــول د/مدين عيســى (إن تشابه الحيوانات فى الإطار الأساسي لتكوينـــــها يـدل علـــى وجـود أســـلوب واحد للخلق مبدعه خالق واحـــد)

يقول الأستاذ يوسف كرم (.. فظاهراتُ النوع ثابت مـــن حيـث الجوهـر متغـير من حيث العرض ولكن دارون اتخـــذ التغـير العرضـى معيـــاراً وفسـر الأنـــواع أنفسها كما تفسر الأصنـــاف .

وقد نسلم بالتطور ثم نرانا مضطرين إلـــى اعتبـار الإنســـان نوعـــاً قائمـــا بذاتـــه بسبب ما يختص به من علم ولغة ..... وهـــى مظـــاهر للعقـل لا نظـير لـــها ولا أصل فى سائر الحيـــوان .

وقد نسلم بالتطور ثم نرانا مضطرين إلـــى الإقـرار بموجـد للمـــادة موجـه لـــها لقصور الماده عن تنظيم نفسها ولكـــن مـــن العلمـــاء والفلاســـفه مـــن يفكـرون كالعامه بالمخيله دون العقـل فيســقون المحـــالات [١]

كما أن التشابه فى الإجنة لـــم يخـرج الانســان عـن إنســـانيته والحيـوان عـن حيوانيتـــه ..

---

[١] تاريخ الفلسفة الحديثة يوسف كرم (٣٥٥) .

المبحث العاشر

عاشرا :- التعميم المفـــروض

من الخطأ الفادح ما ذكره دراون من نحو تعميـــم تطـور الكائنـــات علـــى الرغـم من حدود معرفته فإن مشاهدته لم تعـــد إلا دائـــرة محـــدودة مـــن الأرض فكيـــف يعمم حكمه مع اعترافه بالنقص بقوله (أما القـــول بـــأن مجموعاتنـــا الجولوجيـــة ناقصة فحقيقة لا ينكرها أحد مـــن البـــاحثين)

يقول الحقيقة إن علـــم الجيولوجيـــا لا يحبونـــا بتلـــك السلســـلة المنظومـــة مـــن الصور العضوية والراجح أن يكون هذا الاعتراض أنكـــي مـــا يقـــوم علـــى وجـــه التطور ويقـــول إدورد .... الاستكشـــاف الجيولوجـــي لـــم يتنـــاول إلا باحـــة صغيرة من كرة الأرض العظمى ومـــا استكشـــف منـــها لـــم يصـــرف نحـــوه مـــن العناية ما يســـتحق .)

وقد زور باسم العالم كثيراً من القضايـــا التطوريـــة والتـــى لبســـت ثيـــاب الحقيقة فمن أمثله ذلك (ما ورد فى مجله ساينس نيـــورز فـــى عددهـــا الصـــادر فى ٢٥ فبراير سنة ١٩٦٠م حيـــث تقـــول (إن مـــن أعظـــم الأخطـــاء المكتشـــفة بالطرق العلمية هى قضية إنسان بيلتداون الـــذى اكتشـــف فـــى سويســـكس فـــى انجلترا والذى يعتقد العلماء أنه يعود إلى نحو مليـــون ســـنة إلـــى الـــوراء وبعـــد آخذ ورد ثبت إن هذا الإنسان لم يكن إنسانا بدائيـــا قـــط بـــل هـــو مجموعـــة مـــن جمجة إنسان اليوم وفك قرد وقدمـــود بيكرومومـــات البوتاســـيوم وبملـــح الحديـــد

لأعطائه شكلا متحجرا أقدم من حقيقته ولم تصبغ فقط الجمجمة لكى تظهر وكأنها قد ذابت من الاستعمال .

وكتبت مجلة نيوزويك تايمز تقول :-

فى البدء كان العلماء يظنون أن إنسان نياندرثل كان ذا هيكل قردى دميم كدب وذا مظهر حيوانى ولكن الابحاث الأخيرة أظهرت أن أجسام رجال ونساء هذا النوع كانت إنسانيه تامة وكانت مستوية وذات عضلات نامية وكان [illegible] دماغ الانسان)

وهكذا كما تقول مجلة العلوم الامريكية فى عددها الصادر فى كانون الثانى يناير سنة ١٩٦٥)

[illegible] (إن جميع علماء التطور لا يتوارون عن اللجوء إلى أى حيلة لينسجو أنه وهمية لإثبات ما ليس لديهم عليه دليل) ولقد احتال هؤلاء واختالوا واستكبروا واستكبارا فى تحاليهم على خلق الله . وعلى إثبات الصانع عز وجل كخالق ومدبر ..

ومن ذلك إدخال الحيل السينمائية وتزويرها باسم العلم على أنها حقائق .

وقد نشرت مجلة نيويورك تايمز سنة ١٩٥٩ تقول إن إنسان بكين الذى مضى عليه ٥٠٠ ألف سنه قد أعطى خلقة جديدة ليلعب دورا رئيسيا فى فيلم صينى وقد أعيد تركيب هذا الإنسان الذى [illegible] إنسان ما قبل التاريخ لهذه لغاية وعرض الانسان الجديد على العالم على اعتبار أنه أشبه الناس بالانسان القديم)

*وهكذا يفترى هؤلاء باسم العلم ما ليس منه ألا شتاء ما يحكمون .

يقول أرثر كيث (إن النشوء والارتقاء غير ثابتة علميا ولا سبيل إلى إثباتها بالبرهان ونحن لا نؤمن بها إلا لأن الخيار الوحيد بعد ذلك هو الإيمان بالخلق الخاص المباشر وهذا ما لا يمكن حتى التفكير فيه .)[1]

ويقول البيولوجى أوستن كلارك (لا توجد علامة واحدة تعمل على الاعتقاد أن كل مرحلة لها وجودها المتميز الناتج عن عملية خلق خاصة ومتميزة ....)

*وقد اعتمدت تلك النظرية على مبدأ المصادفة وهو أسلوب مرفوض فى الاتجاهات العلمية فالاعتقاد لا سبيل له فى هذا الإطار العلمى فعندما نقول إن الطيور لكى يخف وزنها كونت فى عظامها أكياسا هوائية فهذا قول يدعو إلى الضحك إذ أن الطائر ليست لديه القدرة على تغيير تركيبه ولا يمكن أن يقوم بإحداث هذا التغيير الواعى سوى القدرة الإلهية ..

قلل العلماء من دلالة علم الحفريات على مذهب النشوء والإرتقاء نظرا لما عاصر الأرض من زلازل وبراكين وأعاصير غيرت من شكل التربة الأرضية ومن هنا يقف مذهب النكبات حجر عثرة فى وجه أرباب التطور خاصة بعد الحوادث الأخيرة مثل التفجيرات الذرية والإشعاعات النووية .. ألخ وكذا فى تاريخ الأرض يحتمل حدوث مثل هذه التغيرات وحتى ما استند إليه علماء

---

[1] باحداث هذا التعمير الواعى سوى القدره الالهية .

* الاسلام يتحدى ص ٣٩ .

* راجع الاسلام والاتجاهات العلمية الحديثة ص ٥٨ .

الحفريات من دلالة الإشعاعات على علم الحفريات فإنها لـــم تنـــهض لـــهم بدليـــل لأنهم اشترطوا الثبات فى التغير الإشعاعى على مـــر العصـــور وهـــذا أمـــر غـــير مقبول كما اشترطوا أن تكون المعدنيات التى حللت بقايـــة ثابتـــة الـــتركيب طـــوال الأجيال وهذا أيضا محـــال [1]

[1] راجع نقض هذه النظرية

١- الاسلام والاتجاهات العلمية ص ٤٠ إلى ٦٦ .

٢- النزعة الالحادية فى النظرية العلمية الداروينية .

ومـوقف الاسلام منها د/فرج الله عبدالبارى . ط المنشاوى ١٩٩١ - ١٤١٣هـ .

٤- الاسلام يتحدى وحيد الدين خان ط المختار الاسلامى .

٥- الاسلام ونظرية دارون ١١٧ - ١٦٥ .

٦- حقائق الاسلام واباطيل هرمه العقاد - ص٧١ .

٧- تاريخ الفلسفة الحديثة يوم كرم - دار المعارف

٨- راجع الانسان بين العلم والبيئة / د/ محمود الشربينى عالم الفكر - المجلد السابع ص ٩١٣-٩١٥ .

٩- نشاة الانسان وتكوينة فى الميزان الاسلامى والتصور الداروينى د/مصطفى أحمد أبو سمك وهو ٢٩٤ إلى ٣٣٧ بحث فى حوليه كلية اصول الدين بالمنوفية العدد العاشر ١٩٩٠م

١٠-راجع رسالة مخطوطة لأستاذنا الدكتور عبد المعبود سالم وعنوانها نظرية التطور وموقف الإسلام منها أصول الدين القاهرة .

الفصل الثالث

آثار نظرية التطور

- آثار نظـرية التطـور -

لقد تعلق بهذه النظرية: مذاهب فلسفية متعددة وشكلت إطارا هدأما للأخلاق فى كثير من المجتمعات ولئن كانت النظرية لم تسلم من الإنتقادات العديدة إلا أنها لم تعدم من أنصار يؤيدون وجهتها ويباركون رجالها ومن هنا فإن آثارها البالغـة الخطـورة كامنة فى سلوك من اتبعوها وساروا ورائها.وفى هذه السطور سوف نستعرض طرفا من آثارها .

المبحث الأول

اولا :- البرجماتية والتطـور [1]

يرى أرباب البرجماتيـة أن الاخـلاق يجـب أن تتطـور وتتحلـل ويحـل محلـها أخلاق جديدة أكثر صلاحية ومواءمة للعصر الحـالى - وفـى هـذا يقـول جـون ديوى

(فى وسع الاخلاق أن تكون علما يتطور وينمـو إذا قـدر لـها أن تكـون علمـا على الاطلاق ليس فقط لأن الحقيقة كلها لم تعيـن وتقـرر بعـد علـى يـد عقـل الإنسان ولكن الحيـاة سـبيل متحـرك تبلـى فيـه الحقيقـة الأخلاقيـة القديمـة وتتوقف على التطبيـق

هذا وقد أنكر هؤلاء العنايـة الإلهيـة ورأوا أن الإنسـان صـانع لقـراره ففكـرة العناية خرافة وقد رفضت الدين . فهو خـاضع للتجربـة شـأن الأخـلاق كلاهمـا

---

[1] البراجماتية مأخوذه من اللفظ اليونانى progna أى العمل فهى الفلسفة العملية وتجعل من العمل مبدأ مطلقا بها ويلحضها جميس ١٨٩٨م أن تصورنا لموضوع ماهو تصورنا لما قد ينتج عنه من نتائج عملية لا أكثر وتدرس تلك الفلسفة الواقع لا المجرد .
راجع المعجم الفلسفى ص ٤٣ .

متطور نشأ وتطور عبر الزمان بواسطة الانسـان لا غـيره فالانسـان لـه مطلـق الحرية فى العبادة أوعدمها وله كذلـك تطويرأخلاقـة لمصلحتـه الخاصـة أرأيتـم سوفسطائية مثل هـذا.؟؟

المبحث الثانى

التطور والعدوان السياسى

تبنى نيتشة ١٨٤٤-١٩٠٠ آراء دارون وزعم أن الانسان قنطرة بين القرد والسوبرمان ولم يكتف بهذا بل ملآ الدنيا عدوانا وخرابا فلا يعلم الا فلسفة القوة التى تقضى ببقاء الأقوى وتنازعه للحياة فقد ذهب إلى القول بأن إرادة القوة هى الاسم الحقيقى لإرادة الحياة وكل إرادة قوة فهى تذهب الى حدها الأقصى لأن الحياة لا تزدهر إلا باخضاع ما حولها [1]. وهكذا فلا مكان للرحمة ولا للشفقة إنه التطور المشؤم وأثر عنه قوله (إملأ حياتك بالخطر ....)

ولو دقق الآمر نيتشة جيدا كما يقول الاستاذ يوسـف كـرم لادرك (جمـال الحلـم والوداعة وأنها عبارة عن المضى مع طبيعة الانسـان العاقلـة الـى النهايـة بـل لادرك انها يتطلبان من القوة اكثر مما يبذل فـى الغضـب والقسـوة ....[2]وهكـذا جندت الصهيونية أصابع الملحدين لينشروا الفسـاد والخـراب فـى الأرض .

---

(٢) راجع تاريخ الفلسفة الحديثة يوسف كرم ص٤١٠ .

(٢) نفسه ص٤١٣ .

المبحث الثالث

الصهيونية والتطــور .

عملت الصهيونيـــة علـــى إنتشـــار الأفكـــار التطوريـــة الخاصـــة بتلـــك النظريـــة الهدامة لتعلن سيادتها على العالم وهدم الاخلاق ومحـــو الأديـــان والدنـــو بكرامـــة الإنسان . وجعل المجتمع مجتمعا أشبه بالغابة ينتصـــر فيـــه القـــوى ويخبـــو فيـــه الضعيف فلا بقاء فيه للضعفاء وإنما للأصلـــح وقـــد كـــانت أصـــابع اليـــهود مـــن وراء ترويج أفكار هذا الرجل وفي هـــذا نقـــرا الـــبروتوكول الثـــاني حيـــث يقـــرر مايلي : ـ

(لاتتصـــوروا أن تصريحتنـــا كلمـــات جوفـــاء ولاحظـــوا هنـــا أن نجـــاح داروين وماركس ونيتشه قد رتبناه مـــن قبـــل والأثـــر غـــير الأخلاقـــي لاتجاهـــات هـــذه العلوم في الفكر الأممي"غير اليهودي" سيكون واضحا لنـــا علـــى التـــأكيد) [١]

---

*راجع أيضا راجع العدوان وأثر الإسلام في تهذيبه مبحث ضمن رسالة دكتوراه مخطوطة بمكتبة أصول الدين بالمنوفية للمؤلف د/ثروت حسين ٢٠٠٠م .

[١] راجع البروتوكول الثاني ص١٦١ وما بعدها .

الإنسان بين المادية والاسلام محمد قطب ص٦٣ .

ومن هنا الصهيونية تجند أربابها ومن تعاون معهم سواء أكانوا من جنسهم أومن غيرهم وفى هذا يطالعنا قولهم (إن داروين ليس يهوديا ولكننا عرفنا كيف ننشر آراءه على نطاق واسع ونستغلها فى تحطيم الدين المسيحى)[٢]

والمعروف عن هؤلاء أنهم ماديون لا بعد الحدود ونظرية داروين تهتم وتصب فى الجانب الجسدى وتنأى عن الروح فلا مكان لها أمام غرائز الجسد ولذته ومن هذا المنطلق فستعمل النظرية على هدم الاخلاق ومحو الاديان ناهيك عن كون هذه النظرية .قد الغت هيمنة وسيطرة الإله على الخلق فلا مكان ولاوجود له فى هذا التدبير المحكم تبعا للنشوء وارتقاء الاعضاء وحلول القوى مكان الضامر فيها عملية آليه بحتة فى نظرهم لاتستدعى وجود الة وفى هذا نطالعنا البروتوكول الرابع (يجب علينا أن ننزع فكرة الله ذاتها من عقول المسيحين وأن نضع مكانها عمليات حسابية وضرورات مادية وانهماك فى التجارة والصناعة) [١]

وجاء أيضا قولهم فى البروتوكول الرابع عشر

(لن نبيح قيام أى دين غير ديننا ولهذا السبب يجب علينا ان نحطم كل عقائد الإيمان)[٢]

---

(٣) نفسه ص١٦١.

(١) راجع البروتوكول الرابع ١٧٣.

(٢) رجع البروتوكول الرابع عشر ٢٢٣، ٢٢٤.

فهم يريدون القضاء على الأديان بشتى السبل والحيل لتبقى لهم الرياسة والامر والنهى ويحققوا حلمهم المزعوم فى اقامة دولتهم من النيل الى الفرات

المبحث الرابع

الداروينية والماركسية

تبنت المذاهب المادية الجدلية نظرية التطور وقد كانت الماركسية (الشيوعية) سلاحامن أسلحة الصهيونية فقد ذكر ستالين قول أنجلز (ينبغى أن نذكر بالدرجة الأولى دارون الذى وجبه ضربة قاسية للفهم الميتافيزيقى للطبيعة بإثباته أن العالم بأسره ليس كما هو موجود اليوم) [١] وعن العلاقة بين الشيوعية والصهيونية يحدثنا البروتوكول الثالث عند اليهود (نحن على الدوام نتبنى الشيوعية ونختصها متظاهرين بأننا نساعد العمال طوعا لمبدأ الأخوة والمصلحة العامة الإنسانية وهذا ما تبشر به الماسونية الاجتماعية) ترى الفلسفة الجدلية الانحلال الدائم والتطور والمستمر فلا شئ يثبت على حالة فهناك صراع بين الأضداد لبقاء الأصلح وفى هذا يقول أنجلز - (

---

[*] النظرية العامة للحزب الماركسى اللينينى وتسمى بالمادية لأن تصورها وتعليلها لحوادث الطبيعة والمجتمع وهو ما يسمى بفلسفتها ماديان وتوصف بالجدلية لأن أسلوبها فى النظر الى الأحداث أو ما يسمى منهجها فى البحث والمعرفة جدلى.

(١)راجع شبهات وردود - عبدالله ناصح علوان ص٩٩ .

(٢) البروتوكول الثالث ص١٦٨ .

لايوجد بالنسبة للفلسفة الديالكتية شئ قائم إلى الأبد فعلى كل شئ وفى كل
شئ ترى الفلسفة طابع الانحلال ولا يمكن بالنسبة لها بقاء شئ أو
استقراره سوى عملية الظهور والزوال الدائمة والصعود الذى لانهاية له
من الأسفل إلى الأعلى .

وإذا كانت الجدلية ترفض وجود الله (الاله) فهو عين ما دعت اليه نظرية
التطورمن حيث إن الأشياء فى تناقض ذاتى وعلو مستمر من الأدنى الى
الأعلى [٢]حركة آلية بحتة فكل ما فى الكون خاضع لقانون المادية الجدلية
والتى تكشف القوانين العامة كما يرى ستالين (يتطور تبعا لقوانين حركة
المادة وهو ليس بحاجة لأى عقل كلى) [٣]وترتب على القول بنظرية التطور
فى الفكر الماركسى . إنقساما حادا بين أفراده فهناك فئات متطورة صلح لها
البقاء وهى طبقة العمال (البروليتاريا) وهناك طبقة منحلة . رجعية لامكان
لها فى عالم الأقوياء المتطور . وليس هناك أصل إلا بالخلاص من هؤلاء
العالة على المجتمع القوى المتطور، فيجب التخلص منهم لبقاء الأصلح ومن
هنا فالحروب هى خير سبيل للقضاء عليهم وهنا يتضح الأثر الداروينى
ويؤكد مكانته لدى الماركسيين . فالمجتمعات بدأت شيوعية ثم تطورت.
فصارت إقطاعية ومنها تطور المجتمع فصار رأسماليا ثم وقع التطور مرة
أخرى فكانت البروليتاريا ...) [١]

---

[٣] الخطر الشيوعى د/ محمد شامه ص ٣٨ ط مكتبه وهبه الاولى ١٩٧٩ .
(٤) الماركسيه والاسلام د/ مصطفى محمود ص٣٦ ط دار المعارف .
[١] راجع بيان الحزب الشيوعى ماركس انجلز ص ٥٩ . ٦٠ ط دار التقدم موسكو ١٩٦٨م

ومن هنا فلا مكان للسلام والأمان أو العواطف. ألخ إنعدام تام للأخلاق ولامكان إلا للقوى ولاريب أن نظام الطبقات نظام غير متكامل اكد سقوطة عبر العصور المختلفة . وهكذا نرى الحسد والحقد يغلى بة قلوب الماركسين تجاه غيرهم من الشعوب التى يرونها دنيئية لاتصل إلى رتبتهم . ومن هذا الإطار فالحياة فى التطور فلا قيم ولا [illegible]عية أخلاقية تنهى أربابها عن الفحشاء أو تامرهم بالمعروف لأنهُ لا إله لديهم فكل شئ آلى تحكمه المادة الطبيعيةومن هنا فالحزب الشيوعي هو الذي يحدد الأخلاق للمجتمع وليس هناك قيم أخلاقية يرجع إليها الجميع ومن هنا فإن أهواء رجال الحزب متغيرة ومتطورة حسب أمزجتهم وطبقا لمبدأ التطور الداروينى . فهم يرون إن الدين مخدر للشعوب والأخلاق عائقة عن التقدم فلا بد من إزاحتها وابعادها عن ميدان المادة المتطورة ويرى لينين أن الأخلاق لاتقوم إلا إذا كانت منسجمة مع الحرب التى تشنها . إن الأخلاق الشيوعية صورة طبق الأصل من الصراع لتقوية ديكتاتورية العمال .[1]

أرأيتم سفسطة ومغالطة كهذه استغلال الاخلاق فى الحرب والدمار ولقضاء المصالح دون أن يكون لها أى معيار ثابت يرجع إليه إنه تحكم الهوى الاعمى . والتعصب البغيض . والتبعية المميتة للصهيونية العالمية .

ونستمع إلى قول آخر استالين يقول (إننا ننكر بكل شدة جميع هذه الأسس الأخلاقية التى صدرت عن طاقات وراء الطبيعة غير الانسان .... ونوكد ان

---

[1] راجع الاسلام والشيوعية ص ١٣٩.

كل هذا مكر وخـــداع وهـو سـحر على عقـول الفلاحيـن والعمـال لمصـالح الاستعمار والإقطــاع .[٢].

وقد مضى بنا الكلام على الإباحية وصورا منــها لــدى هـؤلاء الشـيوعيين .مـن نحو الزواج الجماعى والإباحيــة المطلقــة ؛ فليــس هنــاك ملكيــة خاصــة فكـل شئ على المشاع وقطعت الشـيوعية كيــان الأسـرة الكاملـة وجعلتــها إباحيــة مطلقــة .[٣]

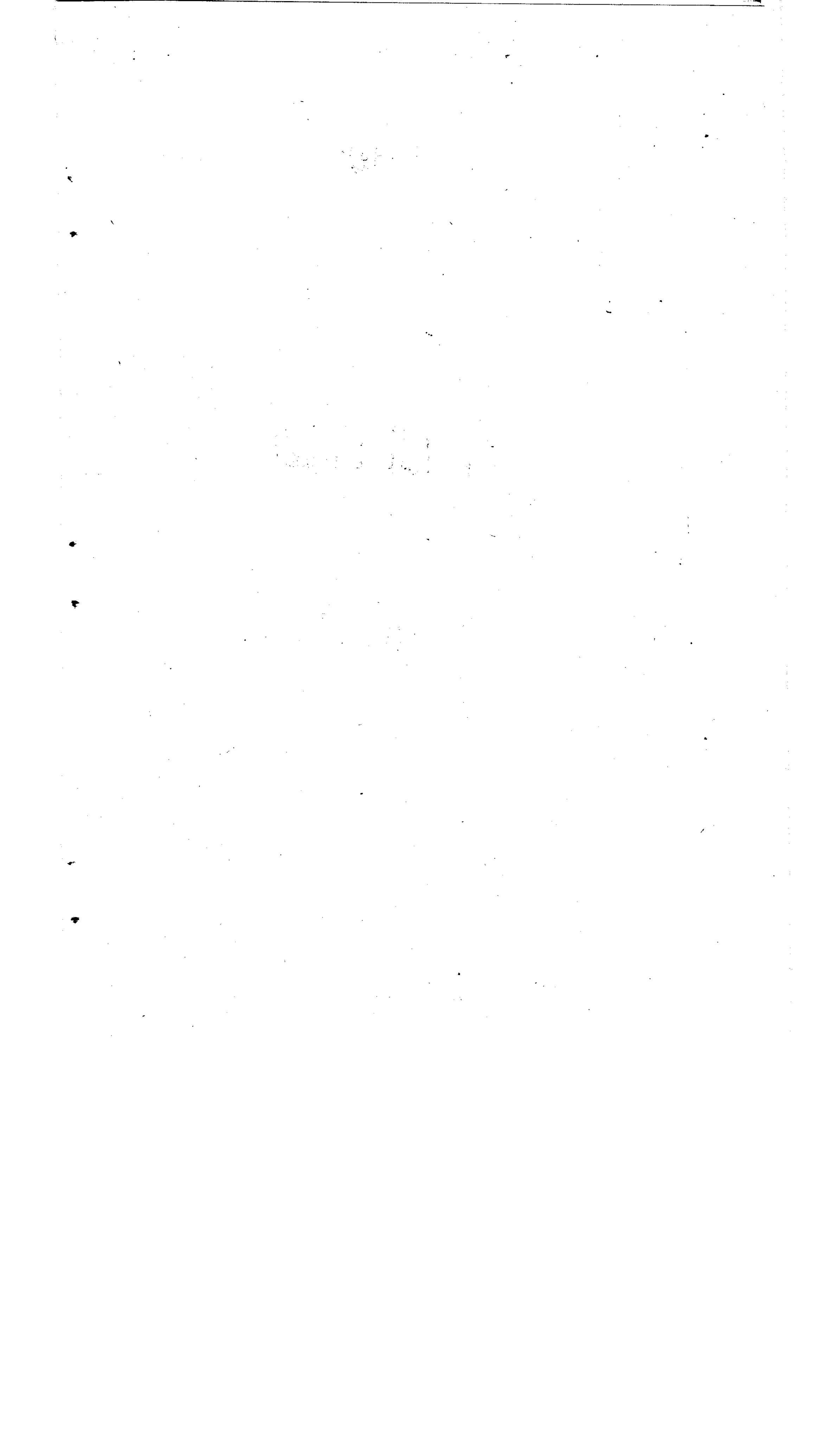
---

(٢) راجع الاسلام يتحدى ص ٣٠.

(٣) راجع ما سبق بيانه حول هذا الموضوع .

الفصل الرابع

الإسلام والتطور



تساءل 'توماس هكسلي' في القرن التاسع عشر ولم تكن ثمة اجابة عن هذا سوى الاعتذار بأن السجل الجيولوجي لم يكن قد اكتمل بعد وأن البحث عن أسلاف الإنسان وقتئذ لم يكن قد تناول سوى اليسير من سطح الأرض [١]

وبعد ثمانين سنة من ظهور مذهب دارون يقول 'كريس موريسون' 'على أننا لاينبغي لنا أن نشغل أنفسنا بشكل جدى أكثر من اللازم بما حدث لأسلافنا منذ مليونى جيل على الأقل ومع هذا يبدوا البحث عن الحلقة المفقودة سوف يتضح عبثه" [٢]

علاقة مذهب دارون بالايمان

إن الناظر فى مذهب دارون يرى أنه يرفض القول بأن مذهبه يتنافى مع الإيمان بوجود الله ، بصرف النظر عن عقيدته هو فى وجوده أو المقصود به ،

ولقد سأله طالب المانى سنة ١٨٧٩م هل يتفق مذهب التطور والإيمان بوجود الله ؟ فأوصى أحد أعوانه أن يكتب إليه مافحواه "إنهما يتفقان ، ولكن الناس يختلفون فى فهم المقصود بالإله" وعاد الطالب يسأله ويطلب التفصيل فكتب إليه دارون نفسه فى هذه المرة وقال له " إنه لايرى دليلا على الوحى وان الإيمان بالبعث متروك لكل من يشاء أن يتخذ له فيه معتقدا بين المحتملات المتضاربة" [٣]

---

(١) المصدر السابق صـ٩٨

(٢) العلم يدعوا الى الايمان صـ١٤٦ - صـ١٤٧

(٣) عقائد المفكرين فى القرن العشرين للعقاد صـ٤٥

ومع أن درون يصرح فى رسالتيه السابقتين بأن مذهبه لايعارض الإيمان بوجودد الله على صورة معينة إلا أنه "قد أخذ على دارون أن نظريتهمادية الحادية والواقع أنه لم يشأ أن يستثنى الإنسان من قانون التطور العام ، أو يعلق مسألة النفس الناطقة وذهب الى أن الحياة النفسية فى الإنسان كما فى الحيوان مرتبطة بفعل الأعضاء وقال بدراستها من الدرجات الدنيا الى الدرجات العليا على هذا الأعتبار "(١)

هذا عن علاقة مذهبه بالايمان. هل يتعارض معه أم لايتعارض ؟

ولكن ماعقيدته الشخصية ؟ يلخصها الأستاذ يوسف كرم قائلا : "وقد كان مؤمنا بالله الى وقت ظهور كتابه " أصل الأنواع " وقال فى ختامة : إن الصور الحية الأولى مخلوقة ، ثم تطور فكرة شيئا فشيئا حتى أعلن سفه لإستعماله لفظ الخلق مجاراة للرأى العام ، وصرح بأن الحياة لغز من الألغاز وأن مافى العالم من ألم يعدل بنا عن القول بالعناية الإلهية ، وأنه لاأدرى لايقول بالعناية ولابالصدفة وان الكلمة الأخيرة عنده هى أن المسألة خارجة عن نطاق العقل . ولكن بوسع الإنسان أن يؤدى واجبه " (٢)

ويذكر العقاد فى كتابه "عقائد المفكرين فى القرن العشرين" عدة رسائل تمثل الأدوار التى مرت بها عقيدة دارون بعد كتابة "أصل الأنواع" وهى :

ولما سئل داروين عن عقيدته الدينية سنة ١٨٧٩ قال فى خطاب الى مستر فورد أيس صاحب كتاب ملامح من الشكوكية .

---

(١) تاريخ الفلسفة ليوسف كرم ص٣٥٤

(٢) المصدر السابق صـ٣٥٤ – ٣٥٥

"إن أرائى الخاصة مسألة لاخطر لها ولاتعنى أحدا غيرى ولكنك سألتنى فأسمح لنفسى ان أقول أننى متردد ولكنى فى أقصى خطرات هذا التردد لم أكن قط ملحدا بالمعنى الذى يفهم فيه الالحاد على أنه انكار لوجود الله وأحسب أن وصف ألاأدرى يصدق على فى أكثر الأوقات لافى جميعها كلما تقدمت بى الأيام" (١)

وسأله طالب هولندى نفس السؤال فكتب إليه سنة ١٨٧٣م يقول "إن استحالة تصور هذا الكون العظيم العجيب وفيه نفوسنا الشاعرة قائما على مجرد المصادفة هى فى نظرى أقوى البراهين على وجود الله ولكننى لم أستطع قط أن أقرر قيمة هذا البرهان" .

ويقول العقاد "وآخر ما عندنا من آرائه فى هذا الموضوع ، خطاب أرسله الى "جراهام" صاحب كتاب "عقيدة العلم" كتبه سنة ١٨٨١ وقال فيه "إنك عبرت عن عقيدتى الباطنة إن الكون لم ينجم عن مصادفة ثم عاد يتساءل ماقيمة هذه العقيدة فى إثبات حقيقتها ؟ " (٢)

ويعقب العقاد على هذه الرسائل بقوله "إن دارون كان يأبى أن يوصف بالالحاد ، ويحسب نفسه احيانا ربانيا أى منكرا للمصادفة ومرجحا لعقيدة الربونية ويؤيد الى آخر أيامه أن الاستدلال بمذهب التطور على انكار الإله خطأ كبير وادعاء لاسند له من العلم ولامن التفكير الأمين" (٣)

ويقول الأستاذ اسماعيل مظهر "لايستطيع أحد من الذين استعمقوا فى

---

(١) عقائد المفكرين فى القرن العشرين ص٤٥
(٢) المصدر السابق صـ٤٥
(٣) المصدر السابق صـ٤٦

دراسة كتاب "أصل الأنواع" أن يقول : إن العلامة دارون كان منكرا للألوهية." (١)

وينقل من كتاب "أصل الانواع" قول دارون "هناك مؤلفون من ذوى الشهرة وبعد الصيت مقتنعون بالرأى القائل بأن الأنواع قد خلقت مستقلة أما عقليتى فأكثر التئاما مع المضى مع مانعرف من القوانين والسنن التى بثها الخالق فى المادة" (٢)

وعلى كل حال سواء كان دارون مؤمنا أو ملحدا فإن الماديين قد استغلوا المذهب فى انكار وجود الله واغتصبوه لحساب الإلحاد . يقول بوخنر الفيلسوف المادى فى ترجمة شميل له فى كتابه "فلسفة النشوء والارتقاء" "إن دارون لم يحصر الأحياء فى أصل واحد وربما كان ذلك لعددم جسارته لالسبب آخر ، فجعل الحيوان من أربعة أو خمسة أصول أولية غير أنه لم يصمت عن ذلك كليا أى دارون بل قال فى آخر كتابه : إن المشابهة وأسبابا غيرها تدعونا الى الإعتقاد بأن الأحياء أصلها واحد وان لافاصل جوهرى بين العالمين : عالم النبات وعالم الحيوان" ثم يقول بوخنر "غير أنه يحترس مستدركا على نفسه حيث يقول : إنى أرى فيما يظهر لى أن الأحياء التى عاشت على هذه الأرض جميعها من صورة واحدة أولية نفخ الخالق فيها نسممة الحياة وبما أن اساس هذه النتيجة المشابهة فالتسليم بها وعدمه غير جوهريين"

---

(١) ملقى السبيل صـ٥٨

(٢) ملقى السبيل صـ٦١

ثم يقول بوخنر بعد ذلك ليلوى مذهب دارون الى طريق الالحاد :

"فهذا القول غير قياسى ويجعل المذهب ناقصا وربما نقضه أيضا." ويعقب على ذلك أيضا بقوله "لأننا إذا سلمنا بأفعال خلق خصوصية لثمانية أو عشرة أزواج أصلية فما المانع من اطلاق هذا الخلق على جميع الأجباء وما الدعى بعد ذلك لتفسير ظهورها على سبيل طبيعى لأنه سيان عند الفيلسوف حصول الفعل الخالق مرة أو مرات فالتسليمُ به ولو مرة إقامة للمعجزة مقام الناموس الطبيعى فليس لنا إلا أن نتوسع بمذهب التسلسل الذى وضعه دارون حتى آخره ونجعل العالم العضوى يشتق من صورة واحدة أصلية بسيطة جدا من الكرية أو البيضة."[1]

ثم يعلق الأستاذ اسماعيل مظهر على قول بوخنر هذه بعدة تعليقات :

١ - إنه لم يجد فى كتاب أصل الأنواع لدارون مايصرح بأن الأنواع ترجع الى أربعة أو خمسة أصول أولية سوى قوله "إن فى النظر الى الحياة بما يحوطها من مختلف المؤثرات والقوى نظرة الإعتقاد بأن الله قد نفخها فى بضعة صور أو صورة واحدة بداءةً ذى بدء لعظمة وجلالا." [2]

٢ - إن القول بالتولد الذاتى الذى يحرص عليه بوخنر لاينافى القول بنشوء بضعة صور أصلية لأن التولد الذاتى إن صح وقوعه فى بقعة من بقاع الأرض فلماذا لايصح أن يقع فى أخرى مادامت المؤثرات الطبيعية فى كل البقاع التى يحدث فيها تكون متماثلة وكل ماهو كائن من الفرق بين الرأيين بعيد عن مذهب النشوء ، لأنه يرجع الى فكرة خلق الحياة أو تولدها ذاتيا

---

(١) المصدر السابق صـ ٥٥ - ٥٦ (٢) المصدر السابق صـ٥٦

لاالى نشوء العضويات بعد خلق الصورة الأولى ، فالخلاف هنا على الفكرة المادية ، لاعلى النشوء والارتقاء. [١]

٣ - لايريد الطبيعيون الماديون أن يسلموا بخلق البزرة الحية الأولى التى نشأت منها العضويات. لأنهم "إن سلموا بها مرة لزموا التسليم بخلقها مرة أخرى استنتاجا" إذن فخوفهم من التسليم بخلق الحياة غير راجع الى اقتناعهم بأنها تولدت ذاتيا ، بل إنهم يقولون بالتولد الذاتى فرارا من عدم مقدرتهم على التوفيق بين القول بالخلق والقول بماديتهم التى تنكر على العقل التسليم بشىء يأتى من غير طريق الحواس . وتنكر على الطبيعة خضوعها لقوة أخرى تعتقد بوجودها كفرص ضرورى يحفظ على العقل الفتنه وان عجزنا عن التدليل عليهما عجزهم عن التدليل على قواهم الكثرة التى يعتقدون بوجودها اعتقاداً الزاميا. ولايستطيعون إقامة الدليل العلمى المحضّن على وجودها." [٢]

"إننا لاننكر مطلقا ان مذهب النشوء والارتقاء قد استكشف كما استشف مذهب الجاذبية وغيره من المذاهب كثيرا من السنن التى يعود إليها عديد من الظاهرات الجزئية التى تقع تحت حسنا .

ومن هنا ينشأ الخلاف البين بين الماديين والإلهيين. ذلك لأن الماديين يريدون أن يقولوا إن استكشاف هذا النزر اليسير من السنن الجزئية التى تعود إليها

---

(١) المصدر السابق صـ٥٦

(٢) المصدر السابق صـ٦٢ - ٦٣

الظاهرات كاف لتعليل الكون فى مجموعه ، والإلهيون يقولون بأن حقيقة الكون ومرجعه لايعلله إستكشاف بضعة سنين لايزال علم الإنسان بها ناقصا نقصا فاضحا [(١)]

يقرر دارون فى مقدمة كتابه أصل الأنواع أنه لايشك فى أن القول بالخلق المستقل خطأ محض ، وأن القول بنشوء الأنواع بعضها من بعض حقيقة لايشك فيها.

إذا كان قد قرر هذا فى مقدمة كتابة وقد كتب المقدمة بعد إنتهاء الكتاب ، وهذا واضح لمن يراجع التاريخ المكتوب فى نهاية المقدمة ، هو إذن بعد انتهائه من تأليف الكتاب سنة ١٨٥٩ لايشك فى مذهبه ويعتبره مذهبا علميا محققا ولكن الناظر فى كتابه بعد ذلك يرى فى ثناياه اعترافات كثيرة بأن المذهب تكتنفه صعوبات كثيرة جعلته يشك فى كثير من الأحيان . [(٢)]

وقارىء الكتاب يستطيع أن يخرج منه بأن "دارون" لايستطيع أن يدعى لمذهبه بأنه أكثر من فرض .

ولذلك لابد من إيراد بعض النصوص التىتلقى ضوءا على موقفه من الاعتراضات التى توجه لمذهبه ومدى الصعوبات التى اعترف بوجودها .

يقول دارون "لايبلغ القارىء الخبير الى هذا الموطن من البحث حتى تعتوره صعاب شتى ومشكلات عديدة تزعزع من ثقته فى صحة مذهبى

---

(١) المصدر السابق صـ٦٧

(٢) الفكر االمادى الحديث وموقف الاسلام منه د/ محمود عثمان صـ١٥٨

ولاجرم أن بعضا من تلك المشكلات فى الغاية القصوى من الشأن حتى أنى مافكرت فيها إلا ودخلنى الشك وخفت بريب ماغير أن العديد الأوفر من تلك المشكلات ظاهرى لامناقضه فيه لحقيقة مذهبى ، والبقية على فرض صحتها لاتقوص دعائم المذهب ولاتنفيه جملة على مارأى ."(١)

وتلك المشكلات هى :

أولا : إذا كانت الأنواع قد تدرجت متسلسلة عن أنواع غيرها متحوله فى خطى دقيقة من النشوء فلم لانرى فى شعب النظام العضوى تلك الصور الوسطى التى تربط بين بعضها ؟

ولماذا لانرى الطبيعة فى تهوش وتخالط يقتضيها تسلسل الصور ، بل نرى الأنواع صحيحة لاخلل فى نظامها ولاالتباس

ثانيا : هل من المستطاع أن حيوانا له تركيب الخفاش وعاداته مثلا قد يستحدث بالتهذيب وتغاير الصفات من حيوان آخر مختلف عنه اختلافا بعيدا فى العادات والتركيب العضوى ؟

وهل تقوى على الاعتقاد بأن الانتخاب الطبيعى فى مستطاعه أن ينتج من جهة عضوا فى الغاية الأخيرة فى اتصاع المكانة كذنبت الزرافة الذى تستخدمة لدفع الهوام عنها وأن يحدث من جهة أخرى عضوا غريب التركيب دقيق التكوين متعدد المنافع كالعين مثلا .؟

ثالثا :" هل من المستطاع كسب الغرائز وتهذيبها بالانتخاب الطبيعى وماذا نقول فى تلك الغرائز العجيبة التى تسوق النحلة الى بناء خلياتها على

---

(١) أصل الأنواع صـ٣٢٨ جـ١

صورة من الإتقان بـزت بالسبق إليهـا مستكشـفات عظمـاء لريـاضيين وأهـل الرآى منهم خاصة ؟

رابعا : بم نعلل عقم الأنواع لدى تلاقحها وانتاجها انسالا عقيمة . لاتلد ، بينما يزيد التلاقح من صبوة التنوعات ويضاعف من قوة الإنتاج . [١]

ومن هذا القول يتضـح أن دارون عندمـا عرضـت لمذهبـه تلـك الاعتراضـات السابقة أقربأنها اعتراضات قوية وحيرته طويلا وأدخلت الشك الـى نفسـه فـى صحة المذهب وأن بعضا من هذه الإعتراضـات قـد يكـون صحيحـا ، ولكنـه لاينقص المذهب بالجمله ، وإن كان يهزه هزا عنيفا ، ولكى يتضح هذا أكبر نورد موقفه بازاء بعض هذه الاعتراضات التى لم يصل فى الإجابة عليها الى حلول حاسمة تخرج المذهب من مجال الفرص الى مجال الحقيقة ونقتصر هنا على محاولاته بازاء الحلقات الوسطى والأعضاء التى بلغت مبلغا عظيما مـن الكمال كالعين ، وتعقيبا يوضح قوة الاعتراض على المذهب بعقم الأنواع .

أولا : إن الإعتراض بفقدان الحلقات الوسـطى فـى سلسلة التطـور التـى رسـمها القائلون بتطور الأحياء بعضها من بعض اعتراض قوى أقلق القائلون بنظرية التطور وأقروا بقوته وبتهديده لصحة االمذهب ، ولهـذا حـاولوا الإجابـة عليـه باجابـات مختلفـة لاتقـوى علـى رده بحـال . يقـول دارون يقـول بعـض المعترضين إن مذهب النشوء لامحالة قاص بأنه حينما يوجد كثير من البقاع

---

(١) المصدر السابق صـ٣٢٨ - ٣٢٩ جـ١

فلابد من أن نجد فيها فى الزمان الحاضر كثيرا من الصور الوسطى التى تربط بينها ولكن لم لانرى فى البقاع التى تقع فيما بين مآهل نوعين من الأنواع تلك البقاع التى تختص غالبا بحالات حياة تتوسط بين الحياة الخاصة بمآهل الأنواع الأصلية كثيرا من التنوعات الوسطى المترابطة بالأنساب . ؟ ذلك اشكال كبيرا استغلت دونى أبواب الرشد فى بحثه زمنا طويلا" .(١)

وقول دارون هذا يصور الاعتراض الذى حاول الإجابة عليه ويقر بأن هذا الاعتراض حيرة طويلا .

وقد حاول دارون أن يجيب على هذا الاعتراض الذى حيره زمنا طويلا فأجاب بإجابتين : الأولى : تتمثل فى بيان أن المعلوم لنا من الأرض قليل وأن معرفتنا بالأرض تقف أمامها صعوبات كثيرة .

الثانية : تتمثل فى أن الد ور المتوسطة لاتوجد إلا نادرا ولتوضيح هاتين الإجابتين نورد بعض التفاصيل عن كل منهما فأما عن الاجابة الأولى فإن دارون يرى أن المعلوم لنا من الأرض قليل جدا ويترتب على هذا أن يكون المعلوم عن الأحياء الأولى ناقصا جدا والذى يجعل معرفتنا بالأرض وبالأحياء الأولى قليلة هو الصعوبات التى تقف أمامنا فى سبيل المعرفة الأوسع وهذه الصعوبات تتمثل فى :

١ - أن ثلاثة أرباع الأرض مغطى بالمياه وقسما كبيرا من الربع الباقى تحول دون معرفته موانع كثيرة أهمها الجبال والباقى معرفتنا عنه محدودة .

---

(١) المصدر السابق جـ١ صـ٢٣٠ - ٢٣١

٢ - إن الأحياء لاتحفظ غالبا ، واذا حفظ منها شيء فبعض هذا المحفوظ لابد من شروط خاصة تساعد على بقائه ، فمثلا الأجسام الرخوة لاتبقى وكذلك الأصداف والعظام لايبقى منها شيء إلا ماكان مدفونا فى الأرض غيرمعرض للفساد ..

٣ - ويورد دارون سببا آخر جوهريا وهو أن توالى الحوادث الجيولوجيةتحدث تغيرات فى أماكن مختلفة من سطح الأرض فتخفض أماكن عاليه وتغمر بالماء فتظهر الأحياء التى كانت عليها وترتفع أماكن أخرى ينحصر عنها الماء فتنشأ عليها أحياء حديثه مع انها أقدم من الطبقات السالفة الذكر فيضل الباحثون إذ يظنون أن تلك الطبقات أحدث منها وسببه هو ماسبق(١)

ومن اجابة دارون هذه يتضح لنا أنه سلم بأنه لاتوجد معلومات كافية عن الأرض والأحياء الأولى التى يمكن أن تكمل الحلقات المفقودة فى سلسلة تطور الأحياء .

وكل مافعله هو أنه بين الصعوبات التى تحول دون اكتشاف هذه الحلقات ووضع أمله فى الكشوف المقبله التى بدأت تباشرها فى عهده .

ثانيا : لقد أورد دارون فى كتابة أصل الأنواع اعتراضا فحواه أن الأعضاء التى تبلغ مبلغ الكمال مثل العين لايمكن أن تفسر بمذهب النشوء حسب ماتقضى به قوانين الانتخابات الطبيعى وهويعبر عن صعوبة هذه المشكلة بقوله :

---

(١) المصدر السابق جـ٢ صـ١٣٤ - ١٣٥

"إن مجرد القول بأن عضوا بلـغ مـن الكمـال مبلـغ العيـن قـد يمكـن اسـتحداثه بتأثيـر الانتخـاب الطبيعـي لكـاف وحـده لإدخـال أكبر شـك فـى معتقـد أى انسان ." [١]

ويرى أيضا أن الناظر الى القول بأن العين على مافيها من خصائص غريبة نشأت بطريقة الانتخاب الطبيعى يراه لأول وهله وخالفا لبديهة العقل . [٢]

وعليه فان العقل يحدث نفسه بأنه اذا استطاع أن يتتبع مراحل التحـول التى مرت بها العين فإنه يكون بذلك قد ذلل صعوبة كبرى فـى طريـق القـول بأن العين قد تطورت الى هذه الدرجة من الكمال بالانتخاب الطبيعى .

ولكن هل يستطيع دارون أن يتتبع تطور االعين في مرحل نشوئها إنه لم يستطع ويرى أن البحث فى تطور الجهاز العصبى هـو كـالبحث فـى اصـل الحياة التى أعلن فى موضع آخر من كتابه أصل الأنواع أن البحث فيها يؤدى الى ترجيح مذهب القائلين بالخلق على مذهب القائلين بالانتخاب الطبيعى .

وإذا كان البحث فى تطور الجهاز العصبى لايمكن الوصـول فيـه الـى النتيجـة المطلوبة فإن هناك بديلا يمكن الاعتماد عليه وهو أن بعض الحيوانـات الدنيـا التى لايوجد بها جهاز عصبى قد تكون قادرة على الإحسـاس بـالضوء وعليـه فليس من المستحيل أن يجتمع فيها بعض عناصر الحساسية وتنمو حتى تصبح مراكز عصبية تستطيع بها أن تكشف الضوء يقول دارون فى هذا (أما بحث

---

(٢) المصدر السابق صـ٣٥٠ جـ٢

(١) المصدر االسابق جـ١ صـ٣٤٩

الكيفية التى يصبح بها تركيب عصبى ماذا قدرة على كشف الضوء فأمر لانعنى به إلا بقدر مانعنتى فى أصل الحياة ذاتها فوق الأرض ، ولكننا مع هذا لايجب أن ننسى أن بعض العضويات الدنيا التى لاتستطيع أن نستبين فى تكوينها لدى البحث أى تركيب عصبى ، قد تكون قادرة علىكشف الضوء ومن هنا لايستعصى أن تتجمع فيها بعض عناصر الحساسية وتنمو ، حتى تصبح مراكزعصبية فيها من قوة الحس ماتقتدر به على كشف الضوء . "(١)

ويرى دارون أننا إذا أردنا أن نعرف المراحل التى مربها عضو مافى تطوره ، وجب علينا أن نبحث عن آبائه الأقربين والتغيرات التى مربها الاسلاف وورث حتى وصل العضو الى الدرجة التى هو عليها الآن من الكمال ، ولكن هذا غير ممكن فى كل الأحيان ، بل انه لايتحقق إلا فى النادر القليل جدا من الحالات فقط . ولهذا يضطرنا البحث الى أن نتأمل أمثاله الناشئين معه من أصل واحد ، لكى نعرف مراحل تطوره والعقبات التى وقفت فى سبيله . فإننا وان لم نستطيع أن نتتبع مراحل النشوء التى مربها العضو الذى نريد بحثه فاننا نستطيع أن نقيسه على مثيله الذى استطعنا بحثه . (٢)

ويطبق بعد ذلك هذه الطريقة فيتتبع بعض الحيوانات والحشرات المختلفة ليرى مايمكن أن تكون قد احتوته من أعضاء قد تكون مرت بها

---

(١) المصدر السابق جـ١ صـ٣٥٠

(٢) الفكر المادى الحديث وموقف الاسلام منه صـ١٦٦ د / محمود عثمان وأصل الأنواع لدارون جـ١ صـ٣٥٠

العين الكاملة فى تطورها ثم يقول (فإذا تدبرنا هذه الحقائق التى أوجزنا القول فيها وماشبناها حتى نبلغ بها تلك التراكيب المتغايرة المتخالطة فى خطى التدرج التى تلحظها فى تكوين العين فى الحيوانات الدنيا من النظام العضوى ووعينا أن عدد الصور التى تعمر الأرض الأن ضئيل لدى قياسه بعدد الصور التى عمرت الأرض فى ساف الأزمان ثم انقرضت ،فهنالك تزاح كثير من الصعاب التى تقوم حائلا دون الإعتقاد بأن من الجائز أن يكونالانتخاب الطبيعى بماله التأثير البين فى تراكيب الصور الحية قد هذب من تكوين الجهاز العصبى المبصر المحوط بتلك المادة الملونة المهيأ بذلك الغشاء المضىء ومضى به سمعنا فى سبيل التهذيب والارتقاء ، حتى أصبح فى زمان مآله مبصرة تبلغ من حيث الكمال ورقة التركيب مبلغ أمثالها فى أية صورة من صور الحيوانات المفصلية ." (١)

وهكذا لم يسيتطع دارون أن يتتبع مراحل التطور التى مرت بها العين حتى وصلت الى ماهى عليه من الكمال ، ولكنه تتبعها فى حيوانات وحشرات مختلفة كل واحد منها فى مرحلة معينة وخرج من هذا بأنه من المحتمل أن تكون العين قد وصلت الى الكمال عن طريق الانتخاب الطبيعى ، اعتمادا على هذه الحقائق ، وأحس بأن الطريقة التى اتبعها فى بحث هذه المسألة لاتقنع الكثيرين فطالب أولئك الذين لايقتنعون هكذا أن يمدوا أنظارهم الى مسائل اكثر تعقيدا قد أمكن حلها على أساس من قانون التغاير بطريقة الانتخاب الطبيعى .

---

(١) أصل الأنواع صـــــ٣٥٢ جـ١

وتابع كلامه ثم يعجب ممن يستبعد حصول أثر الانتخاب الطبيعى الى هذه الدرجة من الكمال إلا بعد أن بذل كثير من العلماء جهودا ضخمة فى سبيل تحسينة . ويمكن القول بأن العين قد تكونت بمايشبه هذه الطريقة ، ويستشعر صعوبة تصور هذه المقارنة ثم يتساءل عما إذا كان من الممكن أن يخطر على أذهاننا أن الخالق العظيم يدبر الكائنات بقوة عقلية مشابهة لقوة الإنسان ،ويتصور بقوة الوهم المراحل التى يمكن أن تكون قد مرت بها العين فى تطورها (١) على هذا النحو فيقول "أما إذا لم يكن بدمما ليس منه بد ومضينا فى مقارنة العين بآله مبصرة أينبغى لنا أن نكون بقوة الوهم صورة طبقات متراكمة من أنسجة مشقة بين بعضها وبعض مادة سائلة ، ومن وراء ذلك جهاز عصبى كاشف للضوء حاسب له ، ثم نفرض من بعدهذا كله جزء من أجزاء هذه الطبقات ماض فى سبيل التغاير من حيث ثقله النوعى وكثافته مستمر فيه ببطء عظيم متجهة تلك الأجزاء نحو التمايز بالانفصال بعضها عن بعض الى طبقات مستقلة يختلف ثقلها النوعى كما تختلف كثافتها ثم تأخذ أوضاعا فى ابعاد مناسبة فى حين أن سطح هذه الطبقات يكون ممعنا فى سبيل التحول من حيث الصورة والشكل ثم نقول إن من وراء ذلك كله قوة نمثلها لأنفسنا باصطلاحها نضعها كالانتخاب الطبيعى أو بقاء الأصلح ، ملاحظة بعين المجاز ، كل تحسين أو تهذيب وصفى يطرأ على تلك الطبقات المشقة ماضية حين تأثرت هذه الطبقات بمختلف الظروف التى تحوطها فى

---

(١) الفكر المادى الحديث وموقف الاسلام منه صـ١٦٧ - ١٦٨ واصل الانواع صـ٣٥٤ جـ١

الاحتفاظ بكل شكل من أشكال التحول ، أيا كانت وسيلته ومهما كانت درجته ، متى كان من شأنها الكشف عن هذه الصور بصورة أكثر دقة "(١)

واذا كانت هذه المراحل التى يمكن أن تمربها العين قد استغرقت مليونا من السنين أو يزيد والانتخاب الطبيعى مجد فى عمله أفلا يجوز بعد ذلك القول بأن العين يمكن أن تصل الى هذه الدرجة من الكمال بطريقة الانتخاب الطبيعى ويكون الفرق بينها وبين الآلات البصرية الصناعية كنسبة الفرق بين تدبير القوة الخالقة العظيمة وبين الصناعات البشرية . (٢)

وهكذا أجاب داروين على هذا الاعتراض بطريقة غير مقنعه فهو لم يستطيع أن يتبع مراحل تطور العين ذاتها ، وأقر بأن البحث فى كيفية احساس الجهاز العصبى صعب مثل البحث فى أصل الحياة ذاتها .

ثالثا : ويتحدث عن مشكلة عقم بعض الاناث التى تنشأ عن التلاقح فيقول "بل سأقصر الكلام على معترض سبق الى حدسى لدى تأملى منه لأول وهله أن دفعة غير مستطاع .

وظننت أن مذهبى لامحالة مقضى عليه بالزوال واقصد بهذا الاعتراض حالات الاناث المحايدة أو العواقر التى نراها فى جميع الحشرات لأن هذه الاناث فى غرائزها وتراكيبها مختلفة اختلافا بينا عن الذكور والاناث الولود ،

---

(١) أصل الأنواع جـ١ صـ٣٥٤

(٢) المصدر السابق جـ١ صـ٣٥٥

وفضــــلا عـــن ذلك فانها لعقمها لاتكون قادرة على الاكثار مـن نوعها وبقائه." (١)

رابعا : ويتحدث عن قوة الاعتراض بكيفية نشوء الغرائز وتطورها ويضاف هنا الاعتراض بالغرائز "إن فى كثير من الغرائز البواعث على التأمل والاستبصار حتى ان التفكير فى كيفية نشوئها وتطورها لتزود القارىء بصعاب جلى قد تكفى فى نظره لنقص مذهبى جملة "(٢)

خامسا : واذا كان دارون يقول بحتمية وجود قوانين يسير عليها الكائن الحى فى تغيره ، فقد عقد فصلا وضع فيه خلاصة أبحاثه فى هذه السنن ولكن ماتقدير دارون لهذه السنن ؟

انظر اليه يقول (لقد تكلمنا فى الفصول الأولى من هذا الكتاب فى التحولات وأثبتنا أنها كثيرة متعددة الصور متنوعة الأشكال فى الكائنات العضوية ، إذ تحدث بتأثير الإيلاف وأنها أقل حدوثا وتشكلا إذ تنشأ بتأثير الطبيعة المطلقة ، وغالبا مانسبنا حدوثها الى الصدفة ، على أن كلمة الصدفة هنا اصطلاح خطأ محصن ، يدل على اعترافنا بالجهل المطلق وقصورنا عن معرفة السبب فى حدوث كل تحول بذاته.يطرأ على الأحياء ." (٣)

ويقول أيضا (إن جهلنا بسنن التحول كبير - ولانستطيع أن نعين فى

---

(١) - المصدر السابق جـ١ صـ٣٥٥

(٢) - المصدر السابق جـ٢ صـ٦٦

(٣) - المصدر السابق جـ١ صـ٢٨٥

حالة من مائة السبب الصحيح فى تحول هذا العضو أوذاك ، اما إذا تهيأت لدينا أسباب لموازنة بعض الحالات ببعض وضح لنا أن سننا طبيعية ثابتة قد أثرت فى استحداث تحولات نراها ضعيفة الأثر فى ضروب النوع الواحد وتحولات نراها أكبر شأنا فى أنواع كل جنس معين " (١)

سادسا : وهنا اعتراض قوى يضرب هذه السنن ضربة قوية فى صميمها ، ولذلك نقول مع اسماعيل مظهر (إذا عمدنا الى ذلك ونظرنا نظرة تدبر فى نواميس االعلامة "دارون" ألفينا أنها تنتمى بعد البحث الدقيق الى ناموسين اثنين يتضمنان بقية كل النواميس التى ذكرها فى كتابة العظيم وهما :

١ - توارث مؤثرات الإستعمال والاغفال ، وبالأحرى مؤثرات العادة ، وهذا الناموس هو بعينه ماوضعه العلامة "لامارك" الفرنساوى واتخذه الدعامة الوحيدة فى سبيل تغاير الأنواع .

٢ - قابلية التغاير لحد غير محدود فى كل اتجاه من الاتجاهات التى تتمشى فيها العضويات متطورة على قاعدة أن كل تغاير فردى إنما يبدأ ضئيلا غير محس وأن تأثير المناخ هو الذى يجعل نظام الأنواع العضوى مرنا قابلا للتشكل بسهولة .) (٢)

.. ولدى الباحثين ثلاث وسائل يمكن أن ينتج من طريقها سلالة صحيحة :

الأولى : بإمكان تلقيح بويضات حيوان أو نبات خنثى تلقيحا ذاتيا .

الثانية : بتربية نسل أنثى تتناسل عذريا .

---

(١) - المصدر السابق جـ١ صـ٣٢٥

(٢) - ملقى السبيل اسماعيل مظهر صـ٣٢١

الثالثة : بأنسر نسل "بروتوزون " (أى حيبوين) بعينه فى امكانه أن يتكاثر بـلا تلقيح من طريق الإنقسام .

ولقد طبقت هذه الوسائل الثلاث عمليا . فالاستاذ "جوهانسن" انتج محصولا كاملا من حبة فول واحدة بأن زرعها وبعد أن بلغت لقح أزهارها تلقيحا ذاتيا بنقل لقحها من أعضاء التذكر وبذلك حصل على نسل صحيح من حبة فول واحدة . وبعد أن جمع نتاجها فصل بين حبات الفول وجعلها قسمين وضع فى الأول الحبات الخفيفة الوزن وفى الثانى الحبات الثقيلة ثم زرعها وبعد أن بلغت أعاد تلقيحها ذاتيا فوجد أن الناتج من أخف الحبات وزنا مساويا فى الثقل للناتج من أكثرها ثقلا وبان له أنه من المستعصى عليه أن يستحدث أى أثر تغايرى فى صفات مجموعته الوراثية ولو بتعريضها لمؤثرات الانتخاب الصناعى عدة أجيال متعاقبة .. وعلى ذلك يمكن أن يقال بحق إن الإنتخاب يتعطل تاثيرة إذا فنيت كل السلالات عمليا ماعدا سلاله واحدة [١]

وطبق الطريقة الثالثة الأستاذ "جننجس" بعزل "جيبوين يسمى بارا ميسيوم واستحدث نسل له بالانقسام فوصل الى عين للنتائج التى وصل إليها آجار و "جوهانسن" "إن اتفاق هؤلاء الثلاثة الباحثين فى النتائج شىء يحتاج الى كثير من انعام النظر فإن الانسان لايستطيع أن ينتخب من عالم الحياة كل ثلاثة أحياء عضوية بعضها يختلف عن بعض فى مراقى النظام الطبيعى أكثر

---

(١) المصدر السابق صـ٣٢٣ - ٣٢٤

من نبات مزهر ، وحيوان صدفى وحيوين ذى غزارة . [١]

"لهذا سبق الباحثون فى أوائل القرن العشرين الى نتيجة محصلها أن ليس هنالك شواهد تدل على وجود قابلية التغاير غير المحدود فى اتجاهات النشوء والإرتقاء التى كان العلامة "داروين" أول من قضى بأنها منتجات التغاير العضوى ومؤدى ذلك القول أن التباينات الضئيلة التى تفرق بين أعضاء نسل واحد غير متوازثه والعادة المتبعه الآن بين الطبيعيين أن تعزى أمثال هذه التباينات الى مقدار التغاير فى التغذية سواء أقبل الميلاد أم بعده وتدعى عادة "بالمراوحات" [٢]

وهذه الأبحاث كانت قد أجريت فى ظل صيحة علت فى أمريكا فحواها : أن نظرية "داروين" لاتتفق مع المشاهدات الحديثة فصرح دكتور "باتسون" أمام جماعة التقدم العلمى بمدينة "تورنتو" سنة ١٩٢١ "أن جزءا جوهريا من نظرية النشوء العضوى ، ذلك الجزء الذى يبحث فى اصل الأنواع وطبيعتها لايزال فى حيز الآراء العميقة المستعصية على العلم . وأننا اليوم لانشعر ذلك الشعور الذى كنا نشعر به من قبل والذى كان يوحى إلينا بأن منهج التغاير الذى لابد من أن يكون مستمر التأثير دائب الفعل فى عصرنا هذا مطاوعة لنظرية النشوء هو بدء عمل عضوى كماله ومنتهاه .

ولقد بلغت حملة دكتور "باتسون" على نظرية النشوء غاية مايمكن أن

---

(١) المصدر السابق صـ٣٢٤

(١) المصدر السابق صـ٣٢٤ - ٣٢٥

تبلغ حملة علمية من التأثير على مذهب قلب وجه العلم والفلسفة فى ثلاثة أرباع قرن من الزمان فان عودة ذلك الباحث قد امتدت الى نواح من أوروبا وكانت على أشدها فى ولايات أمريكا المتحدة وكندا ، حتى أن ولاية "كانساس" قد أصدرت قانونا يحرم على جامعتها تدريس مذهب النشوء وبثه فى عقول طلابها" (١)

وتأكدت فكرة عدم وراثة الصفات االمكتسبة وعدم وجود أدلة يقينية فى النصف الثانى من القرن العشرين يقول "هانز ريشنباخ" "هناك أمران نستطيع اليوم أن نقررهما على نحو قاطع : أولهما أن جميع الشواهد التجريبية المتوافرة اليوم تكذب القول بوراثة الصفات المكتسبة ، وثانيهما ان الداروينية لاتحتاج الى أية مسلمة من هذا النوع وقد استطاعت البيولوجيا الحديثة عن طريق الجمع بين فكرة داروين فى الانتقاء الطبيعى وبين كشوف تجريبية معينة أن تقدم تفسيرا مرضيا للتغير الوراثى "الموجه" وبذلك تحررت من "أللاماركية" أى نزعة لامارك .

هذا التفسير مبنى على الإثبات التجريبى للتحولات أى التغيرات فى المادة الوراثية للأفراد مثل هذه التحولات يمكن إحداثها صناعيا بأشعة اكس أو بالحرارة ، وهى تحدث في الطبيعة بفعل أسباب عشوائية ، ولاترجع إلى أى تكيف للفرد مع ظروف حياته . وعندما تحدث هذه التحولات يكون الكثير منها معدوم القيمة ، ولكن إذا حدثت تحولات مفيدة فانها تكسب الفرد قدرات أعظم على البقاء وعندما يتم إثبات وجود تحولات وراثية راجعة الى أسباب

---

(٢) المصدر السابق صـ٣١٥

عشوائية فإن الباقى يترك لقوانين الإحتمال التى تؤدى بمضى الوقت على الرغم من بطء تأثيرها الى إيجاد أشكال للحياة تزداد علوا بالتدرج" (١)

وأخيرا : فان داروين يعترف بأنّ اجاباتته على الاعتراضات التى يعترف بقوتها لم تتعد أكثر من أنها لاتنقض المذهب جملة ، وإن كانت هذه الاجابات لاتعنى أن المذهب أصبح حقيقة علمية ثابتة تنفى الشكوك من حوله فلم التمسك به إذن ؟ إنه يرى أن المذهب ينير السبيل الى حل بعض المشاكل التى تغمض علينا إذا فسرناها على أساس من الخلق المستقل يقول "داروين" "ناقشت فى هذا الفصل طائفة من تلك الصعاب والمشكلات التى تقام على مذهبى فى التطور وإنى لأسلم بأن بعضا منها كبير الشأن عظيم الخطر غير أننى أظن فى غالب الأمر أن مناقشتى إياها فى هذه الصفحات القليلة قد أنارت لنا سبيل الوصول الى حقائق عديدة تغمض علينا أسبابها إذا مضينا فى بحثها قانعين بنظرية الخلق المستقل . " (٢)

ومما تقدم يتضح أن مذهب دارون ليس إلا فرضا لايمكن تبين صحته ، والذى دعا الماديين الى التمسك بتلك النظرية بالرغم من عدم ثبوتها هو انكارهم لوجود خالق لهذا الكون

لذا يقول "أرثركيث (الإرتقاء غير ثابت ولايمكن إثباته ونحن نؤمن بهذه

---

(١) نشأة الفلسفة العلمية صـ١٧٨ تأليف هانز ريشنباخ ترجمة د/ فؤاد زكريا المؤسسة العربية للدراسات والنشر الطبعة الثانية ١٩٧٩م

(٢) أصل الانواع جـ١ صـ٣٨٦ ترجمة اسماعيل مظهر

النظرية لأن البديل الوحيد هو الإيمان بالخلق المباشر وهو أمر لايمكن حتى التفكير فيه) (١)

نقد علماء الغرب لنظرية التطور :

بأدنى تأمل نجد أن هذه النظرية عبارة عن فرض لم تثبت صحته بعد ، ولذلك وجه العلماء إليها النقود التى جعلتها تنهار من أساسها . فاننا نرى الأستاذ بيشوب قد ألف كتابا سماه "النشوء منتقدا" ثم بنى انتقاده للمذاهب على مطالبة النشوئيين بالدليل ، لأن العصور الجيولوجية لم تتكشف قط عن انسان يخالف فى تكوينة الثابت تكوين النوع الإنسانى فى صورته الحاضرة ، ولم تبق آثار الطوارىء الجيولوجية بقية من أنواع الأجياء الأولى ، بل يرجح أن أقدم هذه العصور لايعود بنا الى مسافة أبعد من منتصف الطريق ، كما رأى "ولاس" شريك "دارون" حيث يقول فى كتابه عن عالم الحياة "إنه لمن المحتمل جدا أن السجلات الجيولوجية الباقية لاتحملنا الى أبعد من منتصف العمر الذى عمرته الحياة على الكرة الأرضية فليس فى السجلات الجيولوجية دليل ولاقرينة تؤيد القول بتطور الإنسان من نوع آخر ، وأهم من ذلك أنه لايوجد أمامنا دليل يؤيد تحول الأنواع فى عالم الحيوان أو عالم النبات وأن تشابه الأجنة الذى يتخذه بعض النشوئين دليلا على التشابه القديم بين أنواع الحيوانات دليل مكذوب ، لأن صور الأجنة الصحيحة لاتبرز هذا الشبه ، وماعدا ذلك ، من الصور المتشابهة فهو مزور باعتراف واضع

---

(١) الدين فى مواجهة العلم صـ٣٨ تأليف وحيد الدين خان ترجمة ظفرا الإسلام خان الطبعة الرابعة ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م طبعة دار النفائس بيروت .

تلك الصور العالم الألمانى أرنست هكل ، فإنه أعلن بعد انتقاد علماء الأجنة له اضطر الى تكملة الشبه فى نحو ثمانية فى المائة من صور الأجنةلنقص الرسم المنقول . (١)

ولم يدع بيشوب دليلا علميا بغير تعقيب عليه ، يستند الى أقوال العلماء المختصين فقال "إن حصان الحفريات على أقدم صورة لها يثبت من نسبته الى نوع الخيل غير الأسنان وان الطائر الذى قيل أنه الحلقة المفقودة بين الزواحف والطيور لم يتبعه قط فى تسلسل الحفريات طائر ذو أسنان" (٢)

وأيضا فإن مذهب التطور قد قوبل بانتقاد شديد من علماء الطبيعة الذين ناقشوه بالأدلة العلمية وطلبوا من دعاته دليلا محسوسا على فعل الانتخاب الطبيعى فى تحول الانواع ، ولاسيما نوع الإنسان .. يقول توماس هكسلى وهو صديق داروِن وصهره ومدره "إن الانتخاب الطبيعى يفسر لنا جملة من الظواهر والمشاهدات تبقى بغير تفسير لولم نتقبل مبادىء الانتخاب الطبيعى كما عرضها داروِن بعد تعديله لأراء لامارك ويرى العالم البيولوجى الكبير ان نظرية التطور على أساس الانتخابالطبيعى إنما هى نظرية منطقية وليست بالنظرية التى تعتمد على شواهد التجربة والأدلة الحسية ." (٣)

ويقول "جين روستند" عضو الاكاديمية الفرنسية للعلوم وعميد علماء

---

(١) الانسان فى القرآن للعقاد صـ١١١ - ١١٢

(٢) المصدر السابق صـ١١٢

(٣) المصدر السابق صـ١١١٥ - ١١٦

البيولوجيا الفرنسية (ان نظرية التطور بمعناها الحرفى قد غدت الآن شيئا ماضيا وأنه لايجوز تفسير التطور بمثل هذه الغيرات السطحية التافهة ، كاصطفاء الطبيعة للجنس الأصلح لمجرد أن علماء البيولوجيا قد أخفقوا حتى الوقت الحاضر فى اثبات ماإذا كان بالمستطاع التأثير على تغير الأجناس أو التحكم به أو خلقه عن طريق العملية نفسها .

وإذا كانت الزرافة ذات العنق الذى يبلغ طوله ثمانية أقدام هى نتاج الاصطفاء الطبيعى ، فكيف يكون الحال مع الخروف الذى لايزيد طول رقبته عن بضع بوصات أليست الزرافة والنعجة بنات عم تماما ثم تكاد أن تكون أختين فى المملكة الحيوانية فقد تولد كلاهما من اصل واحد ، فكيف يمكن تفسير بقاء بنتى عم كل منهما أصلح للبقاء من الأخرى إحداهما بسبب طول عنقها والأخرى بسبب قصر ذلك العنق . (١)

نقد علماء الاسلام لنظرية التطور :-

لقد سلك علماء الاسلام فى الرد على مذهب التطور والقائلين به عدة طرق .

الطريق الأول : ويمثله الشيخ جمال الدين الأفغانى ، فى كتابه

"الرد على الدهريين" حيث يقول "رأس القائلين بهذا القول داروين وقد ألف كتابا فى بيان أن الانسان كان قردا ثم عرض له التنقيح والتهذيب فى صورته بالتدريج على تتالى القرون المتطاولة وبتأثير الفواعل الطبيعية الخارجة حتى ارتقى الى أول مراتب الإنسان .

وعلى زعم داروين هذا يمكن أن يصير البرغوث فيلا بمرور القرون

---

(١) سقوط نظرية دارون صـ٧ - ٨ للأستاذ أنور الجندى دار الإعتصام .

وكر الدهور وأن ينقلب الفيل برغوثا كذلك ، فإن سئل داروين عن الأشجار القائمة فى غابات الهند والنباتات المتولدة من أزمان بعيده لايحددها التاريخ إلا ظنا وأصولها تضرب فى بقعة واحدة وفروعها تذهب فى هواء واحد وعروقها تسقى بماء واحد ، فما السبب فى اختلاف كل منها عن الآخر فى بنيته وأشكال أوراقه ، وطوله وقصره وفخامته ورقته وزهره وثمرة وطعمه ورائحته وعمره ، فأى فاعل خارجى أثر فيها حتى خالف بينها مع وحدة المكان والماء والهواء ؟ أظن لاسبيل الى الجواب سوى العجز عنه." (١)

ثم يقول "وان قيل له هذه أسماك بحيرة أورال وبحر كسبين تشاركها فى المأكل والمشرب وتسابقها فى ميدان واحد ترى فيها إختلافا نوعيا وتباينا بعيدا فى الألوان والأشكال والأعمال – فما السبب فى هذا التباين والتفاوت ، فلا أراه يلجأ في الجواب إلا إلى الحصر ." (٢)

"وهكذا لو عرضت عليه الحيوانات المختلفة البنى والصور والقوى والخواص ، وهى تعيش فى منطقة واحدة ولاتسلم حياتها فى سائر المناطق من الحشرات المتباينة فى الخلقة المتباعدة فى التركيب المتولدة فى بقعة واحدة ولاطاقة لها على قطع المسافات البعيدة .. فماذا تكون حجته فى علة اختلافها .. بل إذا قيل له أى هاد هدى تلك الجراثيم فى نقصها وخراجها وأى مرشد أرشدها الى استتمام هذه الجوارح والأعضاء الظاهرة والباطنة ووضعها على مقتضى الحكمه وإبداع كل منها قوة على حسبه ونواطها بكل

---

(١) الرد على الدهريين صـ٢٠

(٢) المصدر السابق صـ٢٠

قوة فى عضو أداء وظيفته وإيفاد عمل حيـوى مما عجـز الحكمـاء عنـه درك سره ووقف علماء الفسيولوجيا دون الوصـول الـى تحديد منافعـه ، وكيـف صارت الضرورة العمياء معلما لتلك الجراثيم وهاديا خبيرا لطرق جميع الكمالات الصورية والمعنوية فلاريب أنه يقبع قبوع القنفد وينتكس ببين أمواج الحيرة يدفعه ريب ويتلقاه شك الى أبد الآبدين .

وكأنى بهذا المسكين ومارماه فى مجاهيل الأوهام ومجاهيل الخرافـات إلا قرب المشابهة بين القرود والإنسان ، وكان ما أخذبـه مـن الشـبهة الواهيـة ألهية يشغل بها نفسه عن آلام الحيرة وحسرات العامية .

"وانـانورد شيئا ممـا تمسك بـه فمـن ذلـك الخيل فـى سـيبريا وبـلاد الروسية أطول وأغزر شعرا من الخيل المولدة فى البلاد العربية

وانما علة ذلك الضرورة وعدمها ، ونقول : إن السبب فيما ذكره هـو عين السبب لكثرة النبات وقلته فى بقعة واحدة لوقتين مختلفيـن ، حسـب كـثرة الأمطار وقلتها ووفور المياة ونزورها أوجد علة النحافة ودقة العود فى سكان البلادد الحارة والضخامة والسمن فـى البـلاد البـاردة يعترى البدن مـن كـثرة التحلل فى الحرارة وقلته فى البرودة .

"ومن وهايته ما كـان يرويـه داروين مـن أن جماعـة كـانوا يقطعـون أذناب كلابهم كلما واظبوا على عملهم هذا قرونـا صـارت الكـلاب تولـد بـلا أذناب .

كأنه يقول حيث لم تعد للذنب حاجـة كفت الطبيعـة عن هبتـه ، وهـل صحت أذن هذا المسكين عن سماع خبر العبرانيين والعـرب ومايجرونـه مـن الختان ألوفا من السنين لايولد مولود حتى يختن ، وإلى الآن لم يولد واحد

منهم مختونا إلا لإعجاز ."(١)

"ولما ظهر لجماعة من متأخرى الماديين فساد ماتمسك بـه اسلافهم ، نبذوا آراءهم واتخذوا طريقا جديدة فقالوا ليس من الممكن أن تكون المـادة العارية عن الشعور مصدرا لهذا النظام المتقن والهيئة البديعة والأشكال العجيبة والصور الأنيقة وغير ذلك مما خفى سره وظهر أثره ، ولكن العلة فى نظام الكون علويه وسفليه ، والموجب لاختلاف الصور والمقدر لأشكالها وأطوارها ، ومايلزم لبقائها تتركب من ثلاثة أشياء ، مادة وقوة وإدراك ، وظنوا إن المادة بمالها من القوة ومايلامسها من الإدراك تجلت وتتجلى بهذه الأشكال والهيئات ، وعندما تظهر بصورة الأجساد الحية نباتية كانت أوحيوانية تراعى بما يلامسها من الشعور ومايلزم لبقاء الشخص وحفظ النوع فتنشىء لها من الأعضاء والآلات مايفى بأداء الوظائف الشخصية والنوعية مع الالتفات الى الأزمنة والامكنة والفصول السنوية . هذا أنفس ماوجدوا من حلية لمذهبهم العاطل بعد مادخلوا ألف حجر وخرجوا من ألف نفق وما هو أقرب إلى العقل من سائر أوهامهم ولا هو بالمنطبق على سائر أصولهم فإنهم يرون كسائر المتأخرين أن الاجسام مركبة من الأجزاء الديمقراطيسية – نسبة إلى ديمقراطيس – ولاينطبق رأيهم الجديد فى هذا النظام الكونى على رأيهم فى تركيب الأجسام وذلك لانه يلزم عن القول بشعور المادة أن يكون لكل جزء ديمقراطيس شعور خاص ، كما يلزم أن تكون له قوة خاصة ينفصل بها

المصدر السابق صـ٢١

عن سائر الأجزاء ، اذ لايمكن قيام العرض الواحد وحدة شخصية بمحلين. فلايقوم علم واحد بجزئين ولابأجزاء [١]

وبعد ذلك فإنى سائلهم كيف اطلع كل جزء من أجزاء المادة مع انفصالها على مقاصد سائر الأجزاء ، وبأية آلة أفهم كل منها باقيها بماينويه من مطلبه ؟ وأى برلمان أو أى سنات – مجلس شيوخ – عقدت للتشاور فى ابداع هذه المكونات العالية التركيب البديعية التأليف ؟ وأنى لهذه الأجزاء أن تعلم وهى فى بيضة العصفور ضرورة ظهورها فى هيئة طير يأكل الحبوب فمن الواجب أن يكون له منقار وحوصلة لحاجته فى حياته إليهما .." [٢]

والشيخ الأفغانى فى ردوده على التطور بين كان سائرا على منهج القرآن الكريم ، ذلك المنهج الذى نبه الأذهان وايقظ القلوب إلى النظر والتأمل فى الصنع ،والى الإحكام فى الخلق ، فقد أبطل الأساس الذى يقوم عليه المذهب ، وهو تأثير الفواعل الطبيعية ووراثة الصفات المكتسبة ، وفى النهاية أثبت عجزهم بضرب الأمثلة الكثيرة من الحيوانات المختلفة فى الهيئة والبنية والصورة والقوى والخواص إلى آخرة ، فالبيئة واحدة والطعام والشراب واحد والظروف متحدة ، فمن الذى نوعها ،ومن الذى أعطاها الخواص لابد أن يكون لذلك منوعا ومدبرا لأمرها

وصدق الله العظيم حيث يقول "وفى الأرض قطع متجاورات وجنات من

---

(١) المصدر السابق صـ٢٢

(٢) المصدر السابق

أعناب وزرع ونخيل صنوان وغيرصنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الأكل إن فى ذلك لأيات لقوم يعقلون" (١)

فنبه الأذهان إلى العناية المبثوثة فى الكون ثم العناية المبثوثة فى الأنفس ، وهذا مايسمى بدليل العناية .

وفى الرد على القاعدة القائلة بوراثة الصفات المكتسبة نرى الأستاذ الأفغانى يذكرنا بصورة حقيقية واقعة بين أيدينا نراها جميعا وهى عادة الختان عند العبرانيين والعرب ، اننا توارثناها جيلا بعد جيل ومرت على ذلك عدة قرون فمع وجود عنصر الزمن كما ادعى . داروين ، إلا أننا لم نر واحدا قد ولد مختونا إلا نادرا وذلك خرقا للسنن الطبيعية على سبيل الاعجاز .

الطريق الثانى : ويمثله الشيخ محمد رضا آل العلامة التقى الأصفهانى وهو باحث فاصل من علماء الشيعة بكربلاء المعلى تحرى الدقة والنظر فى مجموعة وافية من مراجع مذهب النشوء العربية والأفرنجية التى وصلت الى الشرق الاسلامى بعد كتابة " الرد على الدهريين "

وقد خرج لنا بعد هذه القراءة الواسعة المستفيضة بمذهبه عن النشوء والارتقاء فى كتابه الذى ألفه المسمى " نقد فلسفة دارون وقد أعطى المذهب التطورى ماله ، وماعليه ، وهذا هو شان الباحث المنصف ، فيبين أن المذهب لاينفى الدين ، فيقول المؤلف عن فلسفة النشوء والارتقاء إنها "ليست مما ينافى الدين إذ الذى يجب علينا اعتقاده هو أن جميع الموجودات بأراضيها

---

(٢) سورة الرعد آية ٤

وسماواتها ومافيها من صنوفها المخلوقات من نباتاتها وحيواناتها والبشر على صنوفها واختلاف لغاتنا ، صنع إله واحد قادر حكيم قد وسع كل شيء علما وأتقنه صنعا.. خلق جميع الأصناف من جميع الأنواع عن قصد واختيار ، وهذا أمر متفق عليه فى جميع الأديان ».

وأما كيفية الخلق وأن هذه الأنواع كلها خلقت خلقا مستقلا ووجدت من كتم العدم ابتداء ، وأنها لم تتغير عما وجدت عليه فى أوائل الخلق ، فهذا أمر لم يرد فيه نص صريح من الكتاب ولامتواتر من السنة ، وسواء كانت آباء الجمل جمالا أو كانت ضفادع تنق الماء والجد الأعلى للفيل أو "سنونوا" يطير فى الهواء فان أدلة الصنع عليهما فى الحالين ظاهرة ، وفيها على وجود الصانع الحكيم آيات باهرة ففرحة الملاحدة بهذه الآراء وجعلها أساسا للإلحاد من أغرب الأشياء ." (١)

وبعد توقفة فى الأنواع نجده بعد ذلك يتطرق الى الحديث عما يخالف الدين أو يمس العقيدة فيقول "وأماما يخالف الدين من هذه الآراء فأعظمها فى مبدأ الإنسان إذ المعلوم بالضرورة من هذا الدين بل أمهات الأديان الثلاثة أن أصل جميع البشر انسان ابتدع الله خلقه من تراب ومن امرأة ابتدع الله خلقها أيضا ، ولم يكن قبل ذلك حيوانا ولانباتا فنوع الانسان مستقل فى الخلق عن سائر الأنواع وكونه ضروريا أوضح لديهم ولدى غيرهم ممن عرف مذهبهم " (٢)

---

(١) الإنسان فى القرآن للعقاد صـ١٢٥ - ١٢٦

(٢) نقد فلسفة دارون جـ١ صـ٤٢ - ٤٣

وبعد هذا كله يأخذ المؤلف فى بيان قيمة المذهب من وجهة نظر العلم كما ناقشه مناقشه مستفيضة مع بيان تهافت أدلتهم وفساد رأيهم وفى نهاية المطاف يوصلنا إلى نتيجة مؤداها أن أدلة المذهب ليست أكثر من فروض وتخمينات أورجم بالغيب وهى النتيجة التى أعلنها بصراحة عند بيانه للعلاقة بين الدين والعلم نستمع إليه يقول "أما المسائل اليقينيه منالعلم الثابتة بالبراهين القطعية فليس فيها مايخالف المعلوم من صحيح الأديان ، بل إن هذا القسم منه من أقوى جنود الدين وأحسن أعوانه ، أما القسم الذى دليله الحدس والتخمين ، وأقصى مدارجه أول درجة الظن فضلا عن اليقين فأسعده ماوافق شيئا من ظواهر الدين ، وأشقاه مابلى بتكذيب الصديقين وهذه الآراء من القسم الثانى ، ولهذا يقال لها باصطلاحهم نظرية دارون" ، ثم يتحدث عن مدى صلابتها فيقول "ولعمرى إنها إن لم تكن من أضعف النظريات فماهى من أقواها فهل مبانيها إلا حد سيات جيولوجية وأدلتها الأعضاء الأثرية والصور المزورة الجنينية ؟ وأن أراء تلك مبانيها وهذه أدلتها لجدير بأهلها بأن لايحاربوا بها الأديان ، بل يجنحوا للسلم ويقنعوا بالكفاف.. " (١)

ثم يذكر الصعوبات التى واجهت دارون باعترافه فيقول "وكان دارون معترفا بأن أراءه تخمينية ، بل عالما بأنه سوف يتضح فساد بعضها فقال فى كتابه أصل الأنواع "إن كثيرا من الآراء التى بسطتها تخمينية للغاية ، ولاشك فى أنه سيتضح فساد بعضها بالبرهان القاطع ولكننى وضحت الأسباب التى

---

(١) المصدر السابق جـ١ صـ٣٦

قد ساقتنى إلى التمسك برأى دون رأى . " [١]

الطريق الثالث : ويمثله الشيخ حسين الجسر :

وقبل أن يبسط رأيه فى مقولة التطور يقدم لذلك تمهيداً يتضمن مقدمتين :

المقدمة الأولى : ويقول فيها "إن النصوص التى يعتمد عليها فى الإعتقاد والأحكام والأعمال فى الشريعة الاسلامية تنقسم إلى قسمين : متواتر ، ومشهور ، فالمتواتر ماثبت قطعيا وروده لما توفر فيه من الأسباب الموجبة للعلم اليقينى والمشهور ماثبت قطعيا وردوده ثبوتا قريبا من القطعى لما توفر فيه من الأسباب الموجبة لطمأنينة القلب وهى فوق الظن ودون اليقين .

ثم ان كلا من المتواتر والمشهور ، إما أن يدل على معنى لايحتمل الدلالة على ماسواه ، فلايقبل الصرف أو التأويل إلى معنى آخر وهو مانسميه متعين المعنى .

وهذا القسم لايوجد منه فى الشريعة الاسلامية مايتعارض مع الدليل العقلى القاطع ، وإنا أن يدل كل من المتواتر والمشهور على معنى ظاهر متبادر منه ، ويكون محتمل الدلالة على معنى آخر وان كان بعيدا وهو مانسميه ظاهر المعنى ، وهذا القسم قد يوجد منه فى الشريعة المحمدية مايتعارض مع الدليل العقلى القاطع .

ثم إن حكم النص المتعين المعنى أنه إن كان متواترا أو مشهور ايجب التصديق بمعناه المتعين ، ولايجوز تأويله وصرفه إلى معنى آخر ، إذ هو

---

(١) المصدر السابق جـ١ صـ٣٦

لايحتمل التأويل، ولايناقص شيء منه الدليل العقلى القاطع حتى يحتاج لتأويله ، واما حكم النص الظاهر المعنى فهو أنه إن كان متواترا أو مشهورا ، يجب التصديق بمعناه المتبادر الدليل العقلى القاطع وانما جاز بحيث يصح التوفيق بينه وبين ما دل عليه ولايجوز تأويله إلا إذا اقام دليل عقلى قاطع يدل على مايناقص معناه المتبادر منه فحينئذ يؤول ويصرف إلى معنى غير معناه المتبادر. حينئذ تأويل النص الظاهر المعنى ، لأن الجمود على اعتقاد المعنى المتبادر منه ورفض مايدل عليه الدليل العقلى القاطع ، يقتضى هدم الأصل وهو العقل الذى ثبتت به رسالة الرسول المتكلم بتلك النصوص الشرعية ، إذ لولا العقل ، لما وصلنا إلى الإستدلال على صدق دعواه الرسالة فاذا هدم الأصل هدم الفرع لامحاله ، فرفض الدلائل العقلية رجوع على الدلائل النقلية بالنقض ، وهكذا الحكم فى كل نص ظاهر المعنى ناقضة الدليل العقلى القاطع وأما إذا كان الدليل الذى قام على مايناقض ظاهر المعنى دليلا غير قطعى فلا يسوغ تأويل النص وصرفه الى معنى آخر ، ومن المعلوم أن الدليل القاطع هو الذى دل على مدلوله دلالة يقينية لاتحتمل النقيض وأما الدليل العقلى الظنى غير القاطع هو الذى يدل على مدلوله دلالة راجحة تحتمل النقيض ولو احتمالا بعيدا ، فبهذا الاحتمال ينزل عن درجة اليقين ولايجوز عنده تأويل المعنى الظاهر البتة . (١)

وأما المقدمة الثانية فيقول الجسر فيها (إن الشريعة المحمدية بل

---

(١) الحصون الحميدية للمحافظة على العقائد الاسلامية صـ١٢١ الطبعة الثانية ١٣٧٥هـ – ١٩٥٥م مطبعة الحلبى بمصر ، تأليف الشيخ حسين الجسر

وسائر الشرائع المنزلة ، إنما يقصد منها بيان مايرشد الخلق الى معرفة الله تعالى ، واعتقاد وجوده ، واتصافه بصفات الكمال ، وإلى كيفية عبادته ، والى الأحكام التى توصل العباد الى انتظام المعاش وحسن المعاد ، وأما تعريفهم بمباحث العلوم الكونية من كيفية خلق العالم والنواميس القائمة فيه ، وغير ذلك ، فإنه ليس من مقاصد الشرائع ، بل تلك معارف يتوصلون إليها بعقولهم ، والشرائع لاتلتفت إليها أولا وبالذات ، ولاتعنى بتفاصيلها ، وتكتفى بذكر شيء مجمل من أمرها على قدر مايكون له دخل فى مقاصدها الأصلية ، فتذكر مثلا خلق السماوات والأرض وابرازهما من العدم ، وخلق أنواع المخلوقات وكيفية تدبير الأكوان ، ومافيها من النظام على سبيل الاجمال ليكون ذكر ذلك دليلا عقليا للناس على وجود إله خالق قادر عليم حكيم .) [١]

وبعد هاتين المقدمتين يشرع الجسر فى بيان رأية فى مذهب النشوء والارتقاء فيقول (إلا أن الذى ورد فى الشريعة المحمدية من النصوص المتواترة أو المشهورة بشأن خلق الأكوان وتنوع الأنواع ، إنما هى نصوص لم يبين فيها تفاصيل الخلق وكيفياته ، فقد ورد أن الله خلق السماوات والأرض ومابينهما فى ستة أيام وورد انه تعالى استوى الى السماء وهى دخان فسواهن سبع سماوات ، وقد اختلف المفسرون فى تفسير هذه الأيام الستة فأكثرهم قال إنها كايامنا ، وقال بعضهم أنها أيام من أيام الآخرة ، التى

---

(١) المصدر السابق صـ١٢٥ ، وقصة الايمان للشيخ نديم الجسر صـ٢٠٩

ورد عنها أن يومها كألف سنة من سنينا ، وقال بعضهم اليوم من تلك الأيام الستة .

يطلق على خمسين ألف سنة وورد أيضا فى النصوص أن السماوات والأرض كانتا رتقا ففتقهما الله تعالى ففسر بعض المفسرين ذلك بأن السماوات والأرض كانتا شيئا واحدا ملتزقا إحداهما بالأخرى ، ففصل الله تعالى بينهما .." (١)

ثم يقول "وإذا نظرنا الى التفاصيل التى تذكرونها ، أيها الماديون فى خلق السماوات والأرض ، بعين الإنصاف ، ظهر أنها فروض وتخمينات ، فيجوز أن يكون الله تعالى كونها على تلك الطريقة التى تقولون بها ، ويجوز أن يكون الحال بخلاف ذلك ، ولكن إذا ثبتت تلك الفروض بالدلائل القاطعة التى لاتحتمل النقيض ولامجال للعقل فى رفضها فإن المسلمين يقولون بها مع اعتقادهم أن الله تعالى هو الذى أوجد الشمس وكونها وفصل منها الكواكب والأرض على الكيفية التى تذكرونها ، والنواميس التى قلتم بها تكون عندهم أسبابا عادية لاتأثيرلها فى نفسها والمؤثر الحقيقى هو الله تعالى . " (٢)

ثم يقول الجسر "وبناء على ماتقدم من تلك النصوص،وبحسب القاعدة المتقدمة من أن الواجب فى الشريعة المحمدية ان يعتقد أتباعها المعانى المتعينة أو المعانى الظاهرة من نصوصها المتواترة أو المشهورة مالم يعارض

---

(١) قصة الإيمان بين الفلسفة والعلم والقرآن صـ٢١١ للشيخ نديم الجسر .

(٢) المصدر السابق صـ٢١١ – ٢١٢

المعانى الظاهرة دليل عقلى قاطع نعتقد أن الله خلق كل نوع مستقلا ابتداء ، ولم يخلقها بطريقة النشوء ، وان الله كان قادرا علـى كلتـا الصورتين ، وأمـا أن كل نوع خلقه دفعة واحدة أو بتمهل وترق بسبب نواميس وضعها الله فهذا سبيله عندنا التوقف ، إذ لـم يـأت فـى الشريعة مـايفيد القطـع بـأحد الأمرين ولايسوغ لنا أن نعدل عن اعتقاد الظاهر الى خلافه من أمر النشوء ، واشتقاق بعض الأنواع من بعض ، مادام لم يقم دليـل قـاطع يضطرنـا الـى تـأويل تلـك النصوص . ومتى قـامت الأدلـة العقليـة القاطعـة علـى صحـة مذهـب النشـوء وأصل الأنواع ، كان علينا أن نؤول ظاهر تلك النصوص ونوفق بينهـا وبيـن ماقام عليه الدليل القاطع . " (١)

وبهذه البينـات الرائعـة نستطيع أن نقـول أن أحكـام الديـن لايمكـن أن تصادم حقائق العلم التى يقوم عليها الدليل القاطع .

ثم يقول الجسر للقائلين بأن الإنسان حيوان من جملة الحيوانات حادث بطريق النشوء والارتقاء ، وللقائلين بعدهم بأن الانسان والقرد من أصل واحد

" لقد ورد فى نصوص الشريعة المحمدية التى عليها مدار الإعتقاد فى خلق الانسان : أن الله بدأ خلقه من طين ، ومن حمـأ مسـنون ومـن صلصـال كالفخـار ، وورد أنـه خلقـه مـن مـاء ، وقـد قـال بعـض المفسـرين أن الـتراب والماء أصلان للانسان ، أى أنه خلقه منهما فتارة تذكر النصوص هـذا وتـارة تذكر ذلك ، وورد أن الله خلق الانسان بيديه وورد أنه خلق البشـر مـن نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء . فهذه النصوص

---

(١) المصدر السابق صـ٢١٣ - ٢١٤

تفيد ظواهرها أن الله خلق الانسان نوعا مستقلا لابطريق النشوء والاشتقاق من نوع آخر ، وان كان كلا الأمرين من الجائز العقلى الداخل تحت قدرة الله

نعم ليس فى تلك النصوص صراحة بأن الله خلق الإنسان الأول من تراب دفعة واحدة أو بتكوين منمهل على انفراده ، فسبيل هذا عندنا التوقف ، وعدم الجزم بأحد الأمرين ، وإن كان قد يظهر من بعض النصوص الأحادية أن تكون الانسان الأول وهو آدم كان بتمهل ومرت عليه مدة من الزمان ، ولكن ظواهر النصوص التى عليها مدار الاعتقاد تدل على الخلق المستقل ، ولايجوز تأويل هذه النصوص وصرفها عن معناها الظاهر ، إلا إذا قام الدليل العقلى القاطع على مذهب النشوء والإرتقاء ، وعندما تقوم الأدله العقلية القاطعة على وجود الإنسان بطريق النشوء ، يمكن تأويل هذه النصوص ، والتوفيق بينها وبين ماقام عليه الدليل القاطع ، ولاينافى ذلك اعتقاد المسلمين فى شىء مادام الأصل عندهم أن الله تعالى هو خالق الانسان فى كل حال " (١)

هكذا يبرهن الجسر على أن دين الاسلام لايتصادم ولايمكن أن يتصادم مع العلم ، إذا تأيد هذا العلم بالدليل العقلى القاطع .

ويصرح بأنه لافرق فى نظر الدين بين أن يكون ايجاد الله للعالم بطريق الخلق الدفعى أو الخلق المتمهل أو بطريق النشوء والإرتقاء فالخلق على كل حال بارادة الله وقدرته وحكمته وليس أحد المذهبين بأدل على الله من الآخر.

---

(١) المصدر السابق صـ٢١٤ - ٢١٥

وبهذا نرى الانسان الذى ميزه الله بالعقل وجعله خليفة له فى أرضه قد خلق خلقا مستقلا ، لاكما يزعم التطوريون يقول الاستاذ يوسف كرم (قد نسلم بالتطور ، ثم ترانا مضطرين إلى اعتبار الإنسان نوعا قائما بذاته بسبب مايختص به من علم وفن وصناعة وخلق ودين ، وهى مظاهر للعقل لانظير لها ولا أصل فى سائر الحيوان .." [١]

(١) تاريخ الفلسفة الحديثة يوسف كرم صـ٣٥٥

المبحث الاول

نشأة الإنسان فى ميزان الإسلام

قررت النصوص القرآنية المتعلقة بخلق الإنسان حقائق عديدة منها : -

أولاً :- إنه كائن مساوٍ لغيره من الكائنات فى الخلق وإن علا عليهم فهو علو كرامة وتشريف.. فقال الله تعالى :

(ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر....)

وقال (لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم)

وقال (ربنا الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى)

ثانيا :- إنه مستقل فى نشأته بشأن الكائنات الأخرى قال تعالى (الذى أحسن كل شىء خلقه وبدأ خلق الانسان من طين)

فلم يتطور عن شىء آخر كما أنه خلق فى أعلى مراحل النضج البشرى كما أشارت سورة التين..

قال تعالى (سبحان الذى خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لايعلمون.) [1]

---

[1] الاسلام والاتجاهات العلمية الحديثة د/ يحى هاشم فرغل ص٦٣ وما بعدها .

ثالثا :- إنه مختص باستقلالية وله منهجه الخاص بـــه وكـل ميسـر لمـا خلـق له . فقد سخر الله له النبات والجمـاد والأنعـام وكـل مـا فـي السـماوات وما في الأرض مسـخر للانسـان .

رابعا :- أشارت الآيات الخاصة بخلق آدم عليـه السـلام إلـى خلقـه مـن طيـن كما جاء في قوله تعالى (إني خالق بشرا مـن طيـن) وقـد أشـارت الآيـات الأخرى إلى مراحل تكوين الطين فـهي أمور مندرجـة فـي جنـس الطيـن وعقـد هذا الأمر قولة عليه الصلاة والسـلام فـي الحديـث الـذى رواه الترمذى عـن أبى موسى الاشعرى رضى الله عنه قـال : سـمعت رسـول الله صلـى الله عليـه وسلم يقول (إن الله تبارك وتعـالى خلـق آدم مـن قبضـة قبضـها مـن جميـع الأرض فجاء بنو آدم على قدر الارض منـهم الأحمـر والأبيـض والأسـود بيـن ذلك السهل والحزن والطيـب والخبيـث .

خامسا :- إن خلق آدم عليه السلام تم بمعجـزة خارقـة للعـادة بـالأمر التكوينـى وهذا الأمر لايتصوره الماديون فضلا عن إيمانـهم بـه وقـس علـى ذلـك خلـق عيسى عليه الصلاة والسلام والذى يقـول الله فيـه (إن مثـل عيسـى عنـد الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كـن فيكـون)

وقد ثبت فى الصحيح إن رسول الله صلى الله عليـه وسـلم قـال (أيـها النـاس إن ربكم واحد وإن أباكم واحـد كلكـم لآدم ولا فضـل لعربـى علـى أعجمـى ولا أبيض على أسود إلا بـالتقوى) فمـاذا يقـول هـؤلاء عـن خلـق آدم وعيسـى عليهما السـلام .

سادسا :- فيما يتعلق بأطوار الانسان وانتقاله من النطفة إلى العلقة الى المضغة .... ألخ هذه هى مراحل الخلق ولا علاقة لها بالتطور الداروينى أو على حد تفسير المفسرين لها - أطوارا - صبيانا ثم شبابا ثم شيوخا - وضعفاء ثم أقوياء وقيل أطوار - أنواعا صحيحا وسقيما وبصيرا وضريرا وغنياو فقيرا.وقيل إن أطوارا اختلافهم فى الأخلاق والأفعال.

ولقد تحدث القران الكريم عن هذه المراحل الفرعية بقوله تعالى (الله الذى خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة) - يقول موريس بوكاى (إن مقولات القرآن عن التناسل البشرى تعبر فى ألفاظ بسيطة عن حقائق أولية أنفقت البشرية مئات السنين لمعرفتها)

-حاولت النظرية الداروينية فما زعمته بنظريتها التقليل من شأن الإنسان والحط من درجته وإسناد الأهمية الكبرى للمادة المصخرة له من قبل الله الذى لايؤمنون بوجوده .

-فهم يرون أن الحياة مادة وأن الوعى إنعكاس للموجود)

-كشفت الآيات القرآنية المتحدثة عن الدواب والأنعام ... ألخ عن استقلاليتها الخلقية فمن ذلك قوله تعالى (والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشى على بطنة ومنهم من يمشى على رجلين ومنهم من يمشى على أربع يخلق الله ما يشاء إن الله على كل شىء قدير) .فهناك الزواحف والطيور الجارحة وهناك أيضا الإنسان وكل شىء يدب فهو من ماء التناسل

أيما كانت شكله وخصائصه وهذا اعجاز ما بعده إعجاز (فبأى حديث بعد الله وآياته يؤمنون .)

-أعطت الازدواجية الآدمية شكلا جديدا للإنسان فهو مكون من روح وجسد يسعى بهما لإكمال شخصيته . وهو لايعترف بالروح فقصر الأمر على الجسد فلا مكان للعواطف والأحاسيس والمشاعر ... الخ . فداروين لم تقف مشكلة النفس فى مذهبه حجر عثرة .) وذلك كما علمنا لدعوته إلى المادية المتطرفة وآليته المسرفة .)

- إن قيام نظرية التطور على قوانين حتمية لايعنى إلغاء الإرادة الالهية كما يزعم أرباب التطور فالخطأ الذى وقع فيه هؤلاء أنهم تجاهلوا وجود خالق مبدع جبار هو الذى خلق هذا الكون وأبدعه ....)

مدرسة التحليل النفسي

النزعة الفرويدية

مدرسة التحليل النفسى [٢]

نشأت هذه المدرسة فى بداية القرن العشرين ومن أشهر رجالها سيجموند فرويد (١٨٥٦ – ١٩٣٩ م) [٣] ، وتقوم هذه المدرسة على أساس من التداعى الحر للأفكار . والذكريات و فيها يطلب من المريض عادة أن يستلقى و يطلق العنان لأفكاره و ذكرياته فلايعترض طريقها ، وأن يذكر كل ما فى رأسه مهما كان تافها أو مخزيا أو مخالفا للعرف أو التقاليد . فى الوقت الذى يقوم فيه المحلل النفسى بحث المريض على تكملة سلسلة الذكريات .) [٤] وقد كان تركيز فرويد على الناحية اللاشعورية إذ هى مكان الذكريات

---

(٢) التحليل النفسى اصطلاح (أطلقه فرويد على إحدى طرق البحث والعلاج فى علم النفس المرضى . وقد انتشر هذ الاصلاح فى علم النفس الحديث حتى اطلق على جميع التقنيات المستعملة فى دراسة الأفعال النفسية الشعورية كانت أو اللاشعورية .)

– راجع . المعجم الفلسفى / جميل صليبا . الجزء الأول . ص ٣٥٧ط . دار الكتاب اللبنانى ، ١٩٧٨م .

(٣) طبيب عقلى عصبى نمساوى مؤسس التحليل النفسى ولد فى فرايبرغ مورافيا (بريبو تشيكوسلوفاكيا حاليا) عام ١٨٥٦م من أبوين يهوديين . تابع دراسته فى جامعة فيينا حيث تأثر بالعالم الفيزلوجى أرنست فلهم ريرفون بروكه وتخصص فى علم الأعصاب وأصبح دكتورا فى الطب فى عام ١٨٨١م أنجز أبحاثا عديدة حول النخاع الشوكى والكوكايين والشراجه .. ألخ سافر إلى عدة بلاد أوربية كفرنسا وأمريكا .. وأسس الجمعية النمساوية للتحليل النفسى ١٩١٠م وأكد على آثر اللاوعى والغريزة الجنسية فى تكوين الشخصية أصيب بالسرطان حوالى عام ١٩٢٣م ومات به ومن أشهر أثاره . دراسات فى الهستيريا ١٩٩٥م وتأويل الأحلام عام ١٨٩٩م . وتوفى فى لندن عام ١٩٣٩ م .

– راجع . معجم أعلام المورد – ص ٣٢٣م .

– راجع . المعجم الموسوعى لعلم النفس . نوربير سيلامى . ترجمة رالف رزق الله ، ص ١٣٨ .

(٤) فى علم النفس العام . محمد الطيب ، محمود منيسى ، ص ٤٧ ط الانجلو المصرية . الثالثة . ١٩٩٢م

المكبوتة والمؤلمة والتى يحاول أن ينساها المرء كلما ذكرها ولاتظهر الافى موافق معينه . فالاولى تمثل (غريزة المحافظه على الذات وعلى النوع . والثانية تمثل غريزة الهدم أو الموت.)[١]

كما أعطى للغريزة الجنسية شأنا عظيما ، فكل شى مادى يعبر عن الجنس أو الليبيدو [٢] وفسر على أساسها علاقه الأبن بوالدته والبنت بأبيها وبذلك قضى على أرقى المعانى الأخلاقية مما كان سببا فى انتقادات عديدة وجهت إليه منها (توسعه فى شرح مفهوم الغريزة الجنسية كما أخذ عليه جعله العدوان يطلب لذاته. أى جعله غريزة قائمة بذاتها أو مظهرا لغريزة العدوان.)[٣]

وجاء من بعده تاميذه أدلر (١٨٧٠ -١٩٣٧)[٤] والذى رفض التسليم فرويد بما قاله وذهب إلى أن الذى يحدد شخصية المرء هو غريزة السيطرة وليس الجنس.

---

(١) المعجم الموسوعى النفس .ص ١٣٩

(٢) الليبيدو: كلمه يطلقها فرويد (على الرغبة الجنسية أو الطاقة الجنسية أو الجوع وهو المحرك الأصلى للسلوك غير خاضع للبحث العلمى) كما أنها قوة (متغيرة من حيث الكم ويمكن استخدمها كمقياس للعمليات والتحولات التى تحدث فى مجال التهيج الجنسى.)

-راجع فرويد .فاخر عاقل ص ١٠٣ وما بعدها. مجلة العربى .عدد ٩ يونيو. ط الكويت ١٩٦٥ م.

-ثلاث رسائل فى الجنس .فرويد ترجمة محمد عثمان نجاتى. ص ١٥٨ ط دار النهضة ١٩٦٠ م .

(٣) العلوم السلوكيه . حسن محمد خير ص ٧٥.

(٤) طبيب وعالم نفس نمساوى ولد فى فيينا عام ١٨٧٠ م حصل على شهاده الطب من جامعه فيينا عام ١٨٩٥ م وعمل طبيبا للعيون عام ١٨٩٧ م مارس الطب فى المدينة التى كان يعيش فيها فرويد وتعرف عليه عام ١٩٠٠ م ودافع عن أفكاره ثم أصبح تلميذا له ثم ما لبث إن انفك عن ارائه . حيث قلل من أهمية العقد الجنسية وغيرها فى تكوين الشخصية . انفصل عن

وذلك لشعور المرء بالنقص الدائم فهو يحاول التعويض و يسعى نحو الكمال و تأكيد الذات .ولم ينكر أدلر الغريزة الجنسية وإنما اعترف بوجودها فهي في نظرة عامل مساعد لمسايرة الحياة حيث يقول (إنه من غير المستطاع قدر العوامل الجنسية قدرا صحيحا إلا في صلتها بطريقة حياة الفرد ...... إننا لا نستطيع النفوذ ببصرنا إلى حياة الفرد الجنسية بكل طرقها المتشعبة وترددتها و مداوراتها إلا بمقدار ما نستطيع

تبين طريقة حياته.) [١] كما أنه من جهة أخرى أنكر الكبت اللاشعوري؛ ورأى أن الجوانب الثلاثة التيعرضها فرويد للنفس الإنسانية وهى (الأنا - و الهو - والأنا الأعلى)[٢] ينظر إليها على أنها وحدة متكاملة تتصل بالعالم الخارجي وتتغلب على مشكلاتها

الجمعية النمساوية للتحليل النفسي عام ١٩١١ م وأسس علم النفس الفردي عام ١٩١٣ م نظم استشارات طبيه تربوية في مدارس فيينا وجامعة كولومبيا وفي نيويورك .من اشهر مصنفاته في الطبيعة الإنسانية عام ١٩٣٧م و توفي في ابردين سكوتلندا عام ١٩٣٧ م.

راجع: المعجم الموسوعي لعلم النفس ص ١٠ وما بعدها . راجع -معجم اعلام المورد (٥٠).

(١) مدراس علم النفس فاخر عاقل ص ٢١٠ .

(٣) الأنا و الهو الأنا الاعلى هي أقطاب الشعور و اللاشعور عند سيجموند فرويد .

الأنا : تمثل أهتمامات مجمل الشخصية وهي لاشعورية بالأصل و تكبت الرغبات غير المقبولة بالنسبة إليها . فهي شعورية بالأصل ولاشعورية من حيث الكبت . كما أنها وسيلة اتصال بين اللاشعور والعالم الخارجي.

الهو : الخزان النزوي الغرزي. لا شعورية تشتمل على القوى الغرزية لوجود الفرد كما إنها لا تخضع لأي قوانين أو مبادي خلقية وتشتمل على غريزتي الحياة و الموت .

الأنا الاعلى : يسمى بالضمير الأخلاقي و له أوامره و نواه يفرضها على الأنا كما أنه لا شعوري ومن خلال الصراع بين هذه الأقطاب الثلاثة ينشأ الكبت و العقد النفسية .

جعل إطار فعل المرء يدور حول المجتمع و العمل و الحب ، و بذلك تسود السعادة ويتحـــرر الفرد من القلق الاجتماعى ، وينأى عن عقدة النقص . كما عارض أدلر فرويـــد فـــى كـــون الأحلام لاتفسر الأمور الماضية فحسب . بل تتصل بالمستقبل أكثر من اتصالـــها بالمـــاضى . كما كان يعالج مرضاه على خلاف ما كان يفعل فرويد حيث كان يعمد للتحاور مع مرضـــاه إلى جانب إبراز بعض المواقف النقدية لأسلوب المريض و عرضها عليه لينقدهـــا بنفســـه و بذلك (يكون المعالج النفسي بالنسبة لأدلر مربيا.)[٣]

على عكس ما كان يفعله فرويد من ترك المريض ليتداعى بأفكار دون تدخل منه فـــى حلـــها وبذلك يكون التفاعل الإيجابى سمة مشتركة عند أدلر بين المريض والمعالج النفسى . ومـــن بعده جاء يونغ "كارل غوستاف " (١٨٧٥م -١٩٦١م)[٤] صديق سيجمند فرويـــد الـــذى

راجع فى النفس العام محمد الطيب ، محمود منيسى ص ٦٥ ، و ما بعدها .

راجع ايضاً الموسوعى ص ١٣٩ .

(٣) المعجم الموسوعى لعلم النفس . ص ١٣ .

[٤] يونغ (كارل غوستاف) عالم نفسي وطبيب عقلي سويسري ولد في كسويل عام ١٨٧٥، بعد أن علم سيكولوجية التصرفات لبيارجانية ومارس التنويم المغناطيسي . اهتم بالتحليل النفسي ودافع عن فرويد وتم أول لقاء بينهما في عام ١٩٠٧م . وبعد خمس سنوات انفصل يونغ عن معلمه فرويد ولعب كتابه تحولات الليبيدو ورموزها دورا حاسما في هذا الخصوص . استقال يونغ من رئاسة الرابطة الدولية للتحليل النفسي وأسس مدرسته الخاصة وهي مدرسة علم النفس التحليلي . وقام بعدة رحلات لبلاد مختلفه كأوربا - أفريقيا والمكسيك ... من مصنفاته : أنماط نفسية .جدلية الأنا واللاوعي . الإنسان يكتشف روحه : علم النفس والدين . توفي في كونساخت قرب ميونخ عام ١٩٦١م .)

توسع في المفهوم الجنسي (على أساس من الطاقة الحيوية التي تستهدف النمو والفاعلية والإنتاج .) [٥]

فدار المفهوم الجنسي لديه في الإطار الكلي للحياة . وقد ذهب مناهضا لفرويد في فكرته التي تجعل الإنسان يميل إلى أهله جنسيا حيث وصفها بأنها (أمر يجب أن يوصف بما هو اسوأ من السخيف.) [١]

كما ذهب إلى ما عرف فيما بعد بالإبدال والإعلاء . وهو الجانب التهذيبي حيث خفف من الثورة الجنسية التي أشعلها فرويد اليهودي ، وذهب إلى (توجيه الطاقةمن فاعلية جنسية إلى أي فن أو أي نوع أخر من أنواع التسامي فإنها تتحول ولا تبقى على شكل رغبة جنسية رغم احتفاظها ببعض أثار منبعها المباشر.) [٢] .

فالليبدو أو الطاقة الجنسية ليست مقصورة على الجنس وفقط بل تشمل (الطاقة النفسية بمجملها التي تحدد قوة النسق النفسي.) [٣]

وقد عارض فرويد أيضا فيما ذهب إليه من الكبت اللاشعوري وفسر نقده بان ذ لك يعد إهمالا من الإنسان لجانب من أفكاره اللاشعورية . كما عالج يونغ المشكلات النفسية بالرجوع والا رتداد الى مراحل مبكرة من حياة المرء كالبكاء عند مواجهة مشكلة ما. وكانت له تقسيماته الخاصة بالإفراد من نحوالانبساطية والانطوائية .

---

[٥] راجع المعجم الموسوعي – ص ٢٣٢ وما بعدها . أيضا – إعلام المورد – ص ٥١٠ .

[١] مدارس علم النفس . ص ٣١٩ .

[٢] نفسه . ص ٣١٦ .

[٣] المعجم الموسوعي لعلم النفس . ص ٢٣٣ .

والخلاصة إن نظرية الغرائز قد تعرضت لعدة انتقادات منها:-

أولاً: اختلاف أصحابها في الكم العددي لهذه الغرائز كما رأينا سابقا. وذلك راجع لتصوراتهم الخاصة بأحوال السلوك الإنساني.

ثانياً: انها تسير في دائرة مغلقة حيث يتوقف الشيء فيها على ما توقف عليه سابقه. فعندما نقول (إن لدى الكائن الحي غريزة البحث عن الطعام . فإذا سألنا ما هو الدليل على وجود تلك الغريزة ؟ كان الجواب عندما ينقطع الكائن الحي عن الطعام مدة معينة فإنه يبحث عنه. وإذا سألت عن البحث ؟أجابك لوجود غريزة كذا .وهكذا ندور في دائرة مغلقة .)[1]

ثالثاً: إغفال أصحابها لغرائز عديدة لها أهميتها في تفسير السلوك الإنساني. فمثلا وليم مكدوجل نراه قد(اغفل غريزة الشراب عند الإحساس بالظما.)[2] وغيرها كثير من الغرائز التي لها شأن في حياة الانسان.

رابعاً: انتقدها بعض علماء النفس بأنها نظرية من نسج الخيال وقبولها مشكلة وذلك (لأن النفس وحدة لا يمكن تجزئتها فكيف تقسمها نظريات الغرائز أقساما منعزلة.)[3]

خامساً : اخفاق وليم مكدوجل في تحديده للانفعالات الخاصة بالغرائز.فهناك غرائز ذكرها لم تقتضي انفعالا (كالحل والتركيب والا قتناء.) [4]

---

(١) المدخل الى علم النفس .عبد الله عبد الحي ص . ١٩٤.

(٢) أسس التربية الإسلامية : عبد الحميد الزنتاني ص ٥٦٠ .

(٣) العلوم السلوكية . حسن محمد خير .ص ٧١.

(٤) نفسه . ص ٧٣ .

كما أغفلت الجانب اللاشعورى والذى ظهر فيما بعد على يد علماء التحليل النفسى.

سادسا: فصل مكدوجل بعض الغرائز عن البعض الآخر كالجنسية عن الوالدية مع أنهما متكاملتان (فقد أودع الله تعالى فى الإنسان والحيوان غريزة الجنس لاللمتعة فقط بل لتكون وسيلة للتكاثر واستمرار البقاء.) (٥)

سابعا: عجز مفهوم الغرائزعن تفسير السلوك فيما يقع من أفعال ويبدو ذلك واضحا فى غرائز كالعدوان والتملك إذ تختلف أشكالهما من قبيلة لأخرى بصورة واضحة . وهذا ما أكده علماء الأنثروبولجيا . حيث قرروا (وجود التباين الضخم فى أنماط السلوك عبر الثقافات وعجز مفهوم الغرائز عن تفسيرها.) (٦)

لكل هذه الانتقادات وغيرها قلل العلماء من قيمة الغريزة وأحلوا مصطلح الحافز مكانها لكن من المعروف (أن النظرية لاتموت ولكن تحل محلها نظرية أخرى ومن ثم حل مفهوم الحافز محل مفهوم الغريزة.) (١)

ومنهم من أجرى الدافع مكانها مع تقسيمه إلى فطرى ومكتسب .

---

(٥) أسس التربية الإسلامية . ص ٥٦٠ .

(٦) الدافعية والانفعال . محى الدين حسين ؛ عبدالسلام الشيخ .ص ٢١ مكتبة طنطا ؛ ١٩٨٦م .

(١) الدافعية والانفعال . ص ٢١ .

تعقيب

مما سبق يتبين لنا :-

أولا : إن هذه الأراء السابقة الذكر بينها تفاوتا واختلافا وان تلاقت فى بعض الأفكار.

ثانيا : إن كل مدرسة كان لها إطارها الخاص.حيث عبر صاحب كل مذهب عما يكنه وما يريد إضافته وإرسائه على مجتمعه وعلى غيره .

ثالثا : إن هذه الأفكار وإن أفادت الفكر على نحو رأى بعض الباحثين ؛ وساعدت على تأصيل الجانب النفسى حيث لم (يظهر التعصب لمذهب معين الإبين أقلية ضئيلة من الباحثين)[٣] الا أنها :-

أ- ضيقت الإطار الفكرى للإنسان ككيان شامل متكامل حيث وضعته فى رتبة أقل من رتبته والتى خلقه الله من أجلها . وظهر ذلك في إغفالها للجانب الروحى على نحو ما سبق بيانه.

ب- إن بعض هذه النظريات طبق على الحيوانات وهى أقل شأنا من الإنسان . فما يصلح للحيوانات والحشرات قد لايصلح للإنسان . قال تعالى (ولقد كرمنا بنى ادم وحملناهم فى البر والبحر وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا .) [٤]

جـ- إن بعض هذه النظريات كان لها أهداف خاصة . كاستغلال نظرية الغرائز (سياسيا فى الفترة ما بين ١٩٣٠ م . ١٩٤٠ م لإثبات سيادة جنس على جنس. على أساس أن الأجناس

---

[٣] علم النفس التعليمى . أحمد زكى ص (١٥) .

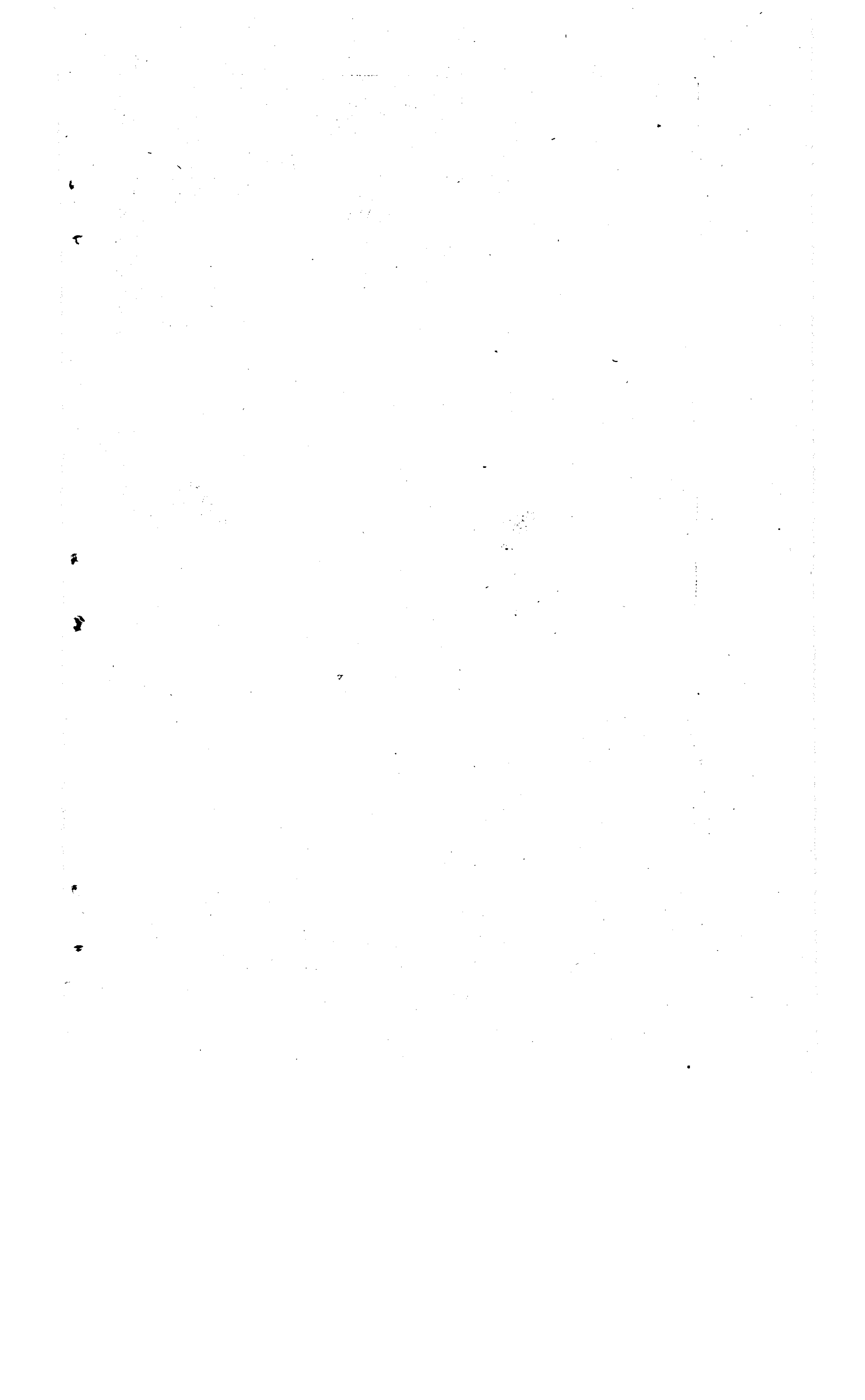
[٤] سورة الإسراء الأية رقم (٧٠) .

الراقية قد ارتقت بغرائزها . بينما ظلت الأجناس المنحطة تتحكم فيها هذه الغرائـــز . وحـق للأجناس الراقية أن تسود وتتحكم فى الإجناس المنحطة. وقد اتخـــذت هــذة الفكــرة مــبررا لسيطرة الرجل الابيض على غيره.) [1]

---

[1] علم النفس التربوى الرياضى . سعد جلال . ص ١٦١ . ط دا ر المعارف . ١٩٧٦م

عقدة أوديب



عقـــدة أوديـــب [1]

فـــي ظـــل الأبـــوة الصـــالحة والأمومـــة الواعـــية ينمو الطفل ويشب بين أبويه نشأة صـــحيحة ســـليمة ، ويـــتطور الطفـــل عـــبر مـــراحله المخـــتلفة عقلاً وجسماً . حيث يـــنظر لوالدتـــه علـــى أنهـــا مصـــدر الـــرعاية والحـــنان ، فقد حملته ثم أرضعته ثم

---

[1] قصة إسطورية لمسرحية إغريقية شهيرة للمؤلف الإغريقي . سوفو كليس وتسمى باللغة العربية أوديب الملك وكلمة عقدة معناها واسع فهي تشمل (التركيب والنقص بالإضافة إلى معنى الشد والصراع ، ويمكن القول بأن مفهومها يدور حول (مجموعة من الإتجاهات الوجدانية المتعارضة وهي لا شعورية " أي أنها تثبت قبل أن تصل إلى مستوى الشعور وكلمة أوديب وهي (مسمى لشخص ما وتعني باليونانية (الرجل ذو القدمين المتورمتين) فهناك نقص لدى صاحبها . ووقع فرويد (١٨٥٦م – ١٩٣٦م) على هذه المسرحية وما صنعه أوديب بأبيه وأمه فعزى كل ذلك إلى ظاهرة نفسية تتلخص في رغبة الإبن اللاشعورية وهي في حوالي سن الرابعة في قتل أبيه والتزوج من أمه ، كما جاء في الأسطورة اليونانية وتتلخص فيما يأتي أن الملك أريوس ملك طيبه ببلاد اليونان رزق بطفل من زوجته " جوكاستا " وكان المنجمون قد حذروه من هذا الطفل لأنه سيقوم بقتله عندما يشب فأمر بالتخلص منه وإلقائه من فوق جبل سيثارون ، ولكن منفذ الحكم وهو " الراعي " أخذته الشفقة بالطفل فسلمه لراع آخر من رعايا الملك " بوليبوس " والذي تبنى هذا الطفل . وشب أوديب في بيته الجديد . وقد تعرض للتشكيك في نبوته من أحد أصدقائه مما دفعه للسفر إلى مدينة دلفي مهبط الوحي عندهم . وهناك أخبرته الآلهة بقتله لأبيه وبالتزوج من والدته . ففزع لهذا الأمر وقرر عدم العودة لموطن أبيه المزعوم وأثناء سيره قابله والده الحقيقي " أريوس " والذي كان يسير في كوكبة من أتباعه فرغبوا في تنحية أوديب عن طريقهم بطريقة غير لائقة . وتسبب في نشوء النزاع بينهم . فقتل أوديب أباه الحقيقي وهو لا يدري . ويعود أوديب لطيبة موطنه الأصلي حيث تعرض جائزة لمن يجيب على أسئلة الوحش الذي يهدد المدينة وهي (الزواج من الملكة جاكوستا) أمه الحقيقية ويستطيع أوديب فعل ذلك ويتزوج والدته وهو لا يدري وتمر الأيام ويعم البلاء البلاد ويقرر المنجمون أن رفع هذا البلاء لن يكون إلا بطرد قاتل الملك " أريوس " ويخبر أحد الكينة أوديب بأنه هو القاتل وأثناء هذا الأمر يستدعي أوديب لرئاسة مملكة أبيه الحقيقي " لكنه يرفض العودة معتقدا أنه سوف يقتل أباه ويتزوج بأمه كما أخبرته الآلهة في معبد دلفي .، وهنا يظهر الراعي الحقيقي الذي أنقذه من الموت ، ويعلم أوديب بقصته وأنه تسلمه من أحد رعايا الملك " أريوس " وهنا تتواصل الحلقات وتتكامل الأفكار عند أوديب فيفقد أعصابه ويقوم بفقء عينيه ويتحول إلى رجل أعمى ليكفر عما فعله تجاه أبويه . وتلك نهاية (تسفر عن شعور بالذنب وصراع عاطفي يخوضه الإبن) وهكذا نرى اعتماد مدرسة التحليل النفسي على الأساطير اليونانية في إرساء أفكارها العلمية .

احتضـنته وأحاطـته بحـنانها ورعايـتها ، ومـا زالـت تسعى معه في هذه الحياة ، وكذلك ينظر لوالده على أنه مصدر العطاء والإحسان .

هـذه الأفكـار وغـيرها تـتطور مـع العمر الزمني للطفل . فتفكير الطفل غير الراشد وهـذه الأمـور تحـتاج لتربـية خاصـة . تسـتدعي مـراعاة هذا التفاوت ومدى ما يخـص الطفـل فـي مـراحله الأولـى ، ثـم فـي طوره الثاني ليكتمل رشده . حيث يخـرج الطفـل مـن إطـاره المعـتاد ويتوجه بحبه وعاطفته نحو إخوانه في مجتمعه . وينأى عـن مـرحلة الإلتصـاق بوالدته ، وكذا البنت فالطفل في مراحله الأولى لا يعـامل معاملـة منطقـية لفكـره كمـا عـند الراشد فأقرب المناهج صدقاً للكشف عن سـمات الطفـل هـو الحـدس لا الإسـتدلال المنطقـي الصـارم (١) ومع هذا التطور العقلـي يتكـيف الطفـل مـع بيئـته الإجتماعـية لكـن فرويد عالم التحليل النفسي (١٨٥٦م – ١٩٣٩م) لـه نظـرة أخـرى . فالتصـاق الطفـل بأمـه يعني استحواذه علـيها دون الأب فهـو يمـثل له عبـئاً وعقـداً نفسـية حيث يشاركه في هذا الأمر ، ويرغـب الولـد فـي تنحـية والـده عـن أمـه بشتى الحيل بدافع الجنس " فلا يقدر علـى ذلـك فينشـأ لديـه هـذا الـنقص أو مـا يسمى " بعقدة أوديب " والتي اعتمد علـيها فـرويد فـي تمثـيل مـا يحـدث للطفل . وقد مر بنا أنه استقاها من أسطورة يونانـية . والأمـر علـى خـلاف ذلـك . فلـيس هناك ما يستدعي كما ذهب فرويـد

عمرية تحتاج وتستدعي تأديباً إسلامياً من الأبوين فالمسئولية مشتركة بينهما حيث أن الإطار الجنسي التكاملي لا يقوم إلا ببناء عقلية متفتحة تعي أن لكل من الرجل والمرأة صفاته الخاصة بدونها تتحدد علاقته الإجتماعية بمن حوله . ولم يقل أحد كما زعم فرويد أن التدليل المفرط من الأبوين يؤدي إلى إيقاظ الغريزة الجنسية مبكراً أي قبل ظهور الشروط البدنية للمراهقة وسبب ذلك كله هو الحب المفرط ، ولا ريب أن هذا الأمر فيه تفويض للأسرة ومفهومها السليم . فميلان الطفل لأمه بعيداً عن الأب (يمكن أن يفسر في ضوء العلاقات الإجتماعية داخل الأسرة بدلاً من النظر إليها في ضوء مصطلحات جنسية). [1] نحو ما رأى فرويد – أيضاً محاولة تقريب وتبسيط الصورة الجنسية للطفل عبرمراحله يزيل تماماً الحرج ومن ذلك تكون النظرية بعيدة كل البعد عن النواحى التربوية ،لأفتقارها إلى الدليل العلمى .كما أنها خبرة ذاتية. إلى جانب تأثير فرويد فيها بالفكر الداريني الذى يرى تطور الأنسان فى التكوين الخلقى عن الحيوان ،وبالتالى فصفات الحيوانية هى صفات الأنسانية. فحياة الأنسان بادىء ذى بدء حياة حيوانية بحته وكلها جنس منذ لحظة الميلاد وكل أعمال الأنسان جنس)[2]

---

[1] الشخصية ، ريتشارد لازاروس ، ترجمة سيد غنيم ، محمد عثمان نجاتي ، ص ٨٥ ط. دار الشروق ١٩٩٦ .

[2] الإسلام والإتجاهات العلمية الحديثة ،يحى هاشم فرغل ،ص ٤١ ط دار المعارف ،١٩٧٧ م

وقــد ثبــت بطـــلان هـــذه الـــنظرية فقد قامت على (عدد من ألإفتراضات غير العامية وغير الملزمة. فضلاًعن كونها حالة شاذة لايقاس عليها)(٣)

يضـــاف لهـــذا نـــزعة الـــرجل الـــيهودية ومـــا كـــان يشعر به من الزلة والإضطهاد، وكراهـــية العـــالم للـــيهود وقـــد (نـــزع إلـــى التشـــكيك فـــى القـــيم الروحية والدينية والخلقية وفى عواطف الحب والتراحم......)(٤)

فأصـــابع الصـــهيونيةمن وراء هـــذا ألأمـــر وهـــى الـــتى روجـــت له من ذلك قولهم (.لاتتصـــوروا أن تصـــريحات كلمـــات جوفـــاء ولاحظـــوا هـــنا أن نجـــاح دارمـــن ومـــاركس ونيتشـــة قـــد رتبـــناه مـــن قـــبل وألأثر غير ألأخلاقى لاتجاهات هذه العلوم فى الفكر ألأسمى "غير اليهودى"سيكون واضحا لنا على التأكيد)(١)

---

(٣) دراسات فى النفي ألإنسانية محمد قطب،ص ٣٢٤،ط دار الشروق،١٩٩٣ م

(٤)ألإسلام والعلاج النفسى الحديث. عبد الرحمن العيسوى ،ص ٩٤ ، ط دار النهضة،١٩٨٨ م

(١) بروتوكولات حكماء صهيون .كتاب الخطر اليهودى ،ترجمة محمد خليفه التونسى ،ص ١٦١ ،وما بعدها ،ط دار التراث،١٩٧٧

فــي عقدتــه أن يجــامع الولــد أمــه فذلــك اختلاق وافتراض باطل . ولعل ذلك راجع لطول المدة التي قضاها فرويد مع مرضاه الهيستريين . [١]

ولــم يكــتف بذلــك بــل ألصــقها بكــل شئ حوله وأضفى عليها إطاراً جنسياً فالعقدة ترمــز إلــى كــل شــهوة جنســية مكــبوتة وهي تتمثل في (التوحد بالجنس المماثل والإســتيلاء علــى الجــنس المقــابل) [٢] فالبنت ترغب في إزاحة والدتها من طريق والدهــا لتــنفرد بــه ويعــرف هــذا الأمــر بعقــدة الكترا عند فرويد بل (يصل الأمر بالإبنة إلى اشتهاء أبيها جنسياً مما يضاعف من حقدها على أمها) [٣] .

وتلك مبالغات أقل ما يقال فيها أن صاحبها مصاب بهوس جنسي .

وفــرويد يــرجع تلــك العقــد لمــرحلة مبكرة من عمر الإنسان فالرضيع عنده يمتص حلمــة ثــدي أمــه بلــذة جنســية وتلــك هــي المرحلة الفمية عنده ثم تليها المرحلة الشــرجية ثــم القضــيبية وذلــك كــلام متهافت ذلك (لأن الرضيع لم يباشر اللذة بعد بحكم تخلق جميع أجهزته وهو بالتالي غير قادر على تذوق هذه اللذة) [٤].

فكــل شــئ عــنده يــدور فــي إطار الجنس والحيوانية ناسياً أن غرائز الإنسان غير غرائــز الحــيوانات فهــي (أســلس قــياداً وأعظم مرونة بسبب تنوعها وتعارضها)

---

(١) راجع سيجمند فرويد – فاخر عاقل – ص (١٠٦) ط مجلة العربي – الكويت – العدد (٧٩) يونيو – ١٩٦٥م.

(٢) علم النفس محمود بركات ، ص ٩٥ ط. دار سكرين .

(٣) راجع قاموس الأمراض العصبية والنفسية – أميل بيدس ، ص ١٩٩٧م .

(٤) علم نفس قرآني جديد . مصطفى محمود ، ص ١٦ ط أخبار اليوم ١٩٩٧م .

[1] فالإنسان يمر بأطوار عديدة لكل منها مرحلته التربوية الخاصة ، ثم إن الطفل الذي كان قبل ملتصقاً بأمه يصبح فيما بعد مراهقاً ، وكذا البنت وهما في تلك المرحلة يبدوان عليهما الحساس بالرجولة والإنوثة وشئ من الحرية فتلك المرحلة فيها (تتكون الرغبات الجنسية على أشدها) [2]

ويزعم أيضاً أن البنت تظهر في أمرها الأول حبها لوالدتها ثم تتغير مشاعرها وتعود بحبها نحو والدها وهذا تطور نفعي وهدم أخلاقي نقله عن أسلافه وديانته المحرفة التي اتفق أربابها على إفساد أخلاق المجتمعات لينفرد لهم الأمر فهم الذئاب وما عداهم قطيع من الأغنام (وماذا تفعل الغنم عندما تدخل الذئاب إلى الحظيرة إنها تغمض عيونها عن كل شئ) [3].

وقد ساد مجتمعه كبتاً جنسياً (فقد كان الدافع الجنسي يلقى شيئاً كبيراً من الكف) .[4].

وقبعوا على أنفسهم مدة من الزمن حتى وصلوا إلى عشق المحارم ، لكن الإسلام له نظرته الخاصة فالبنت وإن كانت تنظر إلى أبيها على أنه مصدر العطاء والحب والحنان فإن هذا لا يعني نظرة جنسية . فهي تمر بمراحل

---

[1] دراسات إسلامية ، عبد الله دراز ص ٩٤ ط دار القلم ١٩٧٣م
[2] الدافعية والإنفعال إدوارد ج موراي ، ترجمة : أحمد سلامة . محمد عثمان نجاتي ص ٩٢ . دار الشروق الأولى ١٩٨٨) .
[3] بروتوكلات حكماء صهيون ، شوقي عبد الناصر ص ١٢ ط. دار الدعوة ، الرابعة ، بدون تاريخ .
[4] الدافعية والإنفعال ص ١٠٠

تعقيب

من خلال ما سبق يتبين لنا :-

أولاً : إن الإنسان يتشكل تبعاً لتأثير بيئته عليه، وفرويد من أبوين يهوديين ومعروف عنهم أنهم ماديون وقد ظهر ذلك فى أمور إمتلأ بها كتابهم المحرف فى الجوانب الثلاثة العقدية والتشريعية والأخلاقية[٢]

ثانياً : حاول فرويد أن يطبق ما عاينه على مرضاه المشعوزين فى مجتمعه وغيره من المجتمعات الأخرى . فمن خلال جلساته مع الشواذ كانت هذه الإراء والتى لا تمثل شياً فى جانب العقلانية الواسعة.

ثالثاً : إختلاف المجتمعات والثقافات لا يعنى أنحلالية الأخلاق وتطورها فالفطره السليمة واحدة نقية وأن تعاقبت عليها العصور ،كما أنه لا يمكن النظرة إلى ألإنسان من خلال غريزة واحدة كما زعم فرويد.

رابعاً: تأثر فرويد بداروِن التطورى (١٨٠٩ م-١٨٨٢ م)[٥] والذى رجع ألإنسان للحيوانية . وكلاهما على الدرب يسير .فداروِن يعطى للإنسان صفة

---

[٤] راجع على سبيل المثال ما ورد فى سفر التكوين ،الإصلاح التاسع عشر . فقرات (٣٠-٣٧)

[٥] الشخصية ،ورتشار لازاروس ،ترجمة سيد غنيم ،محمد عثمان نجاتى ،ص ٨٥ ط دار الشروق،١٩٩٦

الحيوانـية ليتصـرف كمـا يشـاء دون سـلطة ضابطة من عقل واع أو رادع أخلاقى ينأى به عن هذه الإمور الشاذة ،وفرويد أشرب نظرية دارون وحاول تطبيقها

خامساً : التشابه الواضح فى الأسماء ، فالبنت لدى سارتر تدعى إلكترا وهى عند فرويد تسمى عقدتها "الكترا" وصدق الله إذ يقول (تشابهت قلوبهم ....)[٤] فالكفـر ملـة واحـدة ،والبنـت تسـاعد أخاهـا فـى والدتهـا و عشيقها لأنها قتلت والدها ،وكذا الأبن الذى يريد أمه لشخصها .

ونقـول لهـم هـاتوا بـرهانكم إن كنـتم صادقين على فساد الإخلاق ،وإنحلال الفطره السليمة . فلا يجدون جواباً ويكون الأمر من أنفسهم . ألاساء ما يحكمون؟

سادساً : كانـت محاولـة فـرويد قضـاءا على النواة الأولى للمجتمع وهى الأسرة وحصـول التفكـيك بهـا والإتجـاه إلـى عشـق بعضـها بعضـاً، وضـياع الأنساب وإخـتلاط الحـابل بالـنابل يـؤدى ذلـك لإنهـيار المجتمعات وتلك أمانى اليهود وما قصـدوه ، وصـدق الله العظـيم إذ يقـول(ويسـعون فـى الأرض فساداً والله لايحب المفسدين)[١]

---

[٤] سورة البقرة ،الأية رقم (١١٨)

(١) سورة المائدة ،الأية رقم (٦٤)

الوجودية

مـــن التيارت المادية والتىاعلت من السيادة الإنسانية حتى صـــار (الإنســـان)كأنـــه الإله فهو صاحب الحرية والارادة والاختيار المطلق دون موجه ودون حاكم فاذا كان قد خلق مـــن العدم وسائر اليه وله حياته المحدودة فلا سلطان عليه الا نفسه فينبغى ان يسارع الى اقتناص الشهوات قبل انتهاء اجله هذا منجهة ومن جهة اخرى فلن الحاد هذا الاتجاه يقوم علـــى رفـــض فكرة الالوهية وليس مجرد انكارها واحلال فكرة الانسان المسيطر وتمرد على الإيمان من اجل الدعوة الى تأليه الإنسان[١٧]

*وقـــد ظهـــرت فـــى ألمانيا بعد الحرب العالمية الأولى ثم انتشرت فى فرنسا وإيطاليا وغيرهما وقد اتخذت من بشاعة الحروب وخطورتها مبررا للانتشار السريع ٠ [١٨]

---

[١٧] المنهج الغربى – أنور الجندى ص ١٩١ وما بعدها ٠

[١٨] راجع الإسلام والتيارات الفكرية المعاصرة د/عابد منصور ه ص ٨٥ وما بعدها ٠

فالإنسان هو السيد الذ ى لايدين لاحد بوجوده ويرجع بعض الباحثيـــن هذا التمرد على فكرة وجود الإله ربما ترجع الى التمرد على سلطة الأب الكنسى فى العقيدة المسيحية .فضلا عـــن كونها قد تأثرت بالعلمانية وغيرها من الحركات التى صاحبت النهضة الاوربية وكذا تأثرت بما دعا اليه سقراط مـــن معرفة النفس وكذا بالرواقيين فى بيان سيادة النفس فهى خليط لعدة اتجاهات تدعو للالحاد والاباحية .

ونظرا لهذا التذبب لم تستطع الوجودية أن تأخذ مكانها فى العقائد والأفكار . ([١٩])

مـــن أشهر زعمائها سورين كير كجورد ١٨١٣م وسارتر المولـــود ١٩٠٥ م ....ألخ وإليك طرفا من آرائها :-

*انكـــار المغيبـــيات ومنها انكار وجود الله ورسله وكل ما جاءت به الاديان

*الإقرار والإيمان بالوجود الانسانى فهو المنطلق لكل فكرة الـــى جانـــب كونه اقدم شئ فى الوجود وان وجوزده سابق لماهيـــته وأنـــه حـــر فى أفعاله وعليه أن يطرح الماضى وينكر كل القيود سواء كانت اجتماعية ام فلسفية ام منطقية

---

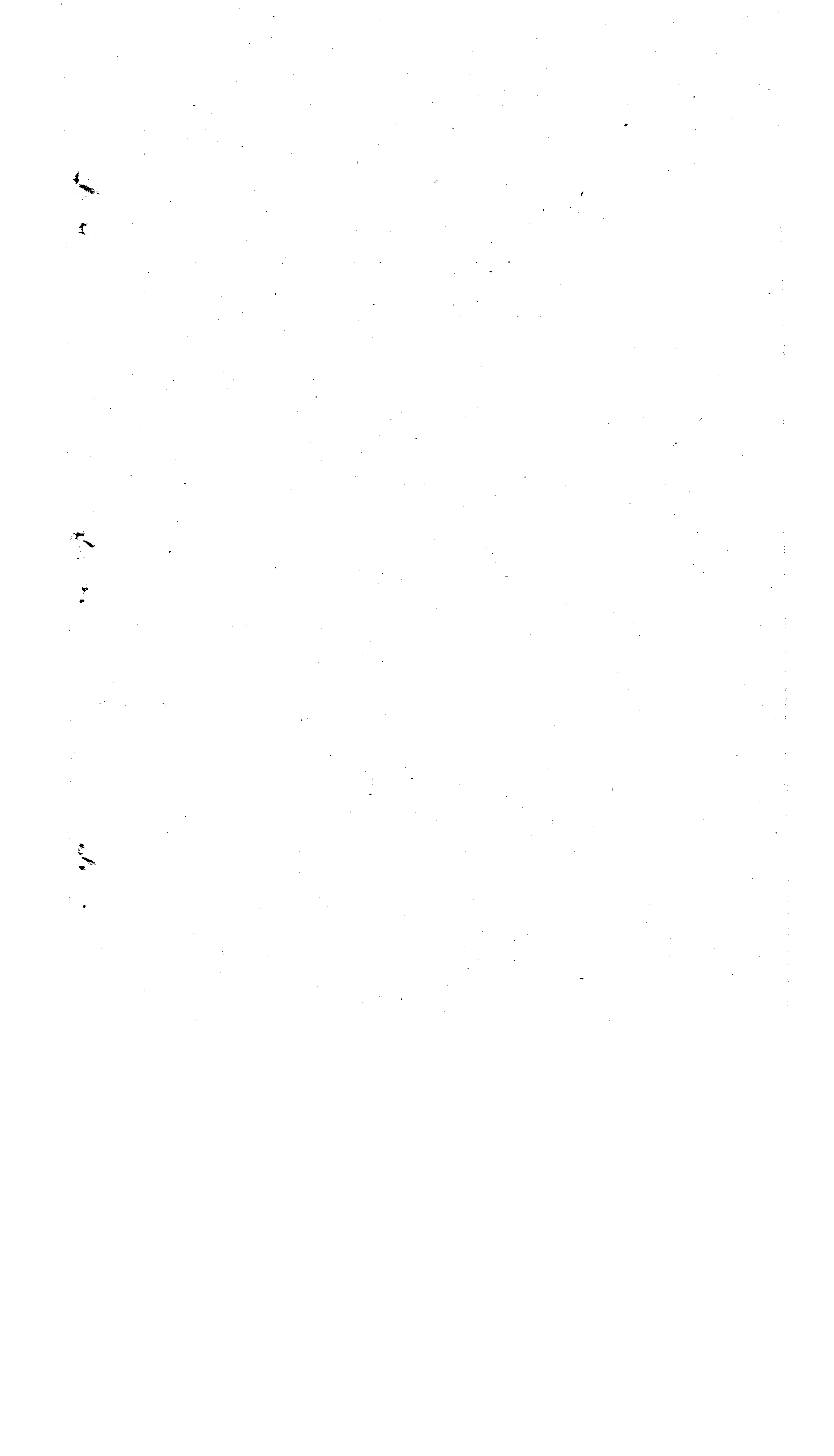
[١٩] الموسوعة الميسرة فى الاديان والمذاهب ص٥٥٥٤٣

الغاء القيم بل رفضها أصلا وعدم الاعتداد بها وبالتالى أدى هذا الأمر إلى حلول الفوضى والتحلل والفساد ٠

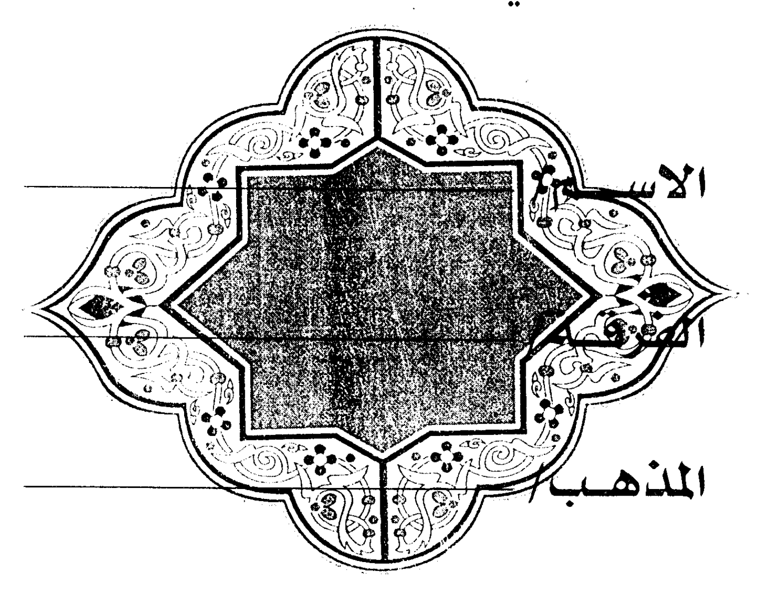
الحـــرب الدائمة على الواقع التاريخى وعلى التراث الضخم الذى خلفته ىالانسانية

*تعتـــبر الوجودية مظهرا من مظاهر الصهونية التى تعمل علـــى هـــدم الاخلاق وذلك بماتبنته من هدم للقيم والعقائد والأديـــان ٠وقـــد انتشـــرت تلـــك الأفكـــار بين المراهقين والمـــراهقات فـــى فرنسا وإيطاليا والسويد والنمسا وأمريكا ......[٢٠]

(٢٠) راجع الوجودية المومنة والملحدة د غلاب ٠ الوجودية وواجهات الصهيونية د محسن عبد الحميد ٠ العالم الإسلامى والمكائد الدولية فتحى يكن ٠



محاضرات في التيارات والمذاهب الفكرية



الاسـم/ ____________

الفرقـة/ ____________

المذهـب/ ____________